الدكتور
رشيد عبد الرحمن العبيدي

مشكلات في التأليف اللغوي

في القرن الثاني الهجري

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م

مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر ـ بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

أهـداء

الى

أم أحمد

اسماء

ثناء

اسراء

أحمد

وفاق

اهدي لهم هذا الجهد

رشيد العبيدي

تلك اللغـــة !

بقلم : د . علي شلق

إذا كان أمر اللغة أنها تسمية تدور حول حرف « الغين » ، وهذا الحرف يختصر الهاء والجيم من كلمة (لهجـــة) المنسولة من « اللغة » ،

وأن أية لغة نبعت وتكونت من « الحادثة » العارية التي تطلب ثوبا ، فجاء الصوت ، فالحرف ، فالمقطع الثنائي وسيلة كالجســـر الى الكلمة في التعبير ، فان اللغة العربية هنا ، لا تختلف عن أية لغة أخرى ولكنها بما لها من تجربة في الصدام ، والمعاناة لدى كل موجـــود ، تميزت بالأمور التالية :

أولا : الاستفاضة الرحبة ، حتى لكأنها لغات كثيرة في جســـد لغة ، وإطارها .

ثانيا : الطواعية المدهشة لتقبل أية خاطـــرة تهندم لها ثيابا ، أو ترمز بها .

ثالثا : التناغم الرياضي ، الموقع بموسيقية رائعة في تركيب الحروف ، والانسياب التأليفي ، والوقف .

رابعا : التناسل المتوالي في الاشتقاق ، أفخاذاً ، وقبائل ، يكمن في اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، والمصادر على الأغلب .

• • •

ثم ، اذا كان اسم الفاعل بديل الفعل المضارع صدى للزمنية في

حركة الفعل ، وتولد المادة المكانية ، فان الصفة المشبّهة التي هي ظاهرة عجيبة في اشتقاق اللغة العربية والتي تدل على لصوق الصفة بالموصوف كأنها من جوهره ، وذلك يدل على شدة ارتباط العـــربي بالشمائل ، ووفائه للسجايا ، نظراً لما تتميز به الصفة المشبهة من رشاقة وفاعلية ، الشيء الذي يلغي حركية الزمن فيها خلافا لاسم الفاعل ، ويضعها في الحضور التام خارج نطاق الوجودين : الزمان والمكان .

من هنا يبدو لنا أن حضارة العربي في هـــذه البقعة التي يطرّز إطارها وجود مصر ، فلسطين ، بصرا ، اليمن ، الحيرة ، الشام ، فينيقيا ، ومن قبل مادي ، وبابل ، وأشور ، تلك البلدان التي سبقت في الظاهــر حضارة العرب بالاسلام ، ولكنها في حقيقة الامر وجوهره مسبوقة ، وان بلاد الشمال من شبه الجزيرة أقـدم بكثير من بابل أو مصر ، في مضمار الحضارة ، والشاهد على ذلك أمران : هذه اللغة بمنظور التراث الجاهلي ، والى جانبه المعمار العربي الماثل في بطرا في تدمر ، والحضــر والاخيضر ، والذي هو صورة لما هو مغمــور تحت رمال الأحقاف ، ويبرين ، وعبقر ، ووبار ، وسواها .

والثاني : مناخ هذه البقعة الشمالية ، وروعتها في جذب الأنسان ليزرع ويثمر بين ربوعها لدى الماء الدفّاق ، والخضــرة المشعشعة ، والتربة المشبوبة الشّبقة الى العطاء .

قد يعجب العاجب لهذا القول ، ولكنه سيجد فيه نمطا من الفكر الرياضي ساعة يعلم ان تبدلات جيولوجية حصلت في شـــبه الجزيرة العربية في الشمال خصوصاً ، وانها كانت مولد البشرية الأولى في القديم، وبذا نشأت لغة مخمّرة ، مكثفة ، غنية ، مازالت تحفظ لنا بحق فكـــر

العربي القديم ، اذ هي كائن اجتماعي ، فلسفي ، فني ، يضم كل شؤون القبه المتحضر في وجه الشمس(١) .

لسنا في حاجة الى التاريخ ، فكثيراً ما يجور أو يخطىء أو يضيع ، فيستبهم ، ولنا في ألفاظ اللغة غنية ، ومنطلق علمي دقيق ، لذا لن أبحث في الاسماء والافعال ومشتقاتها بمقدار ما أبحث في الحروف ، تلك الحوادث الصّور في الابجدية ، التي منها تتركب الالفاظ في التعبير ، وتلك الحروف الرمزية التي تشير الى الروابط بين الكلمات ، مثلما هي قائمة بذاتها اكتفاءً ، وحضوراً .

أخطأ الصرفيون والنحاة في جعل الاسم والفعل صاحبي معنى مستقل ، أو مع الزمان ، وأن الحرف لامعنى له الا بسواه من فعل أو اسم ، وفي يقيني أن الحرف أدقّ في الدلالة على المعنى المكتفي المستقل .

العربية أغنى لغات الارض بالحروف الرامزة ، وقرآنها العظيم شاهد ، وهي تشير الى أرقّ وألطف ما في الزمان والمكان من مقصد ، وتقدست العربية ، التي بها شعشعت قداسة القرآن .

هناك حروف الجر ، الاستفهام ، الشرط ، التعجب ، التأكيد ، المصدر ، تلك التي وسمها الصرفيون والنحاة بالابهام .

الابهام في الفن لزوم لما يلزم ، إذ أنّ الوضوح موت ، والموت انقطاع لنشوء ولادة جديدة مثل بيت « پول إيلوار » .

« الانسان تحت التراب يفسح مجالا للانسان فوق التراب » .

لذلك فالابهام رمز للحياة بكل مشوّقاتها ، ومثيرات السعي في متاهاتها ، ولكي تحاول النفس دوماً أن تجد لها طريقاً في شعابها ، ومن

هنا كانت « النكرة » في العربية مثار السؤال ، وفضاء لاينتهي في تحريك الرؤية والرؤيا ، وما هذا التنوين الذي يصادف آخر النكرة الا رصدي لكثير منطو ، وللسؤال ، واحتدام العزيمة نحو الفوق ، والتحت والأفقية ، وكأن ما يحصل في جوف الأرض من ارتماض ساعر يغلي ويتوق الى الظهور هو بالذات ما يحصل في داخل الانسان ، وعلى شفة اللفظة النكرة .

لو أننا تتبعنا دلائل أدوات الأستفهام عن الزمان والمكان ومثلها سائر المبهمات ، لوجدنا أنها برزخ بين الاسمية ، والفعلية ، والحرف ، وأن لها قوة ثلاثية هائلة ، مثل قوة الهرم المتركز على دعائم ثلاث .

اذا قلت : متى تذهب ؟ فهذه العبارة مختصرة من قول هو الاصل : « في أي وقت يحصل منك ذهاب » وهذه جملة مؤلفة من ست كلمات ، بينما الأولى من اثنتين . فاذا قلت : أتذهب ؟ تكون قد صغت التعبير في لفظة واحدة ، علقت بها الهمزة ، فالهمزة هذه حرف استفهام وهي بقية قديمة من الصوت ذي النبرة الواحدة الذي لم يصل الى المقطع ، ولكنه في الوقت ذاته يشير الى المعنى التالي : « في أي وقت تذهب ؟ والى أي مكان ؟ »[٢] فالمجموع سبع كلمات ، وهنا نجد أن علامة الاستفهام الهمزة ، قد سئل بها ضمناً عن الزمان والمكان ، بينما الاسم متى ؟ سئل بها عن الزمان فقط ، ومن هنا يتبيّن لنا أن « الايجاز » الذي عرفنا في قولنا « أتذهب ؟ » والذي هو معيار البلاغة العربية ، والقرآن الكريم ، تقدس وتبارك ، هو سبيل الأحديّة التي هي غاية كل الفنون ، تلك التي غايتها الجمال ، وغاية الجمال الله والأنسان لان الجمال جمع ، وانسجام ، فهو توحيد ، وبمقدار ما يجيء الايجاز حلواً

يكون توحيداً ، وذا يرسم الرجعى الى مصدر الوجود ، والأرتماء في حضنه الفردوسي ، سبحانه !

• • •

عندما اختلفت اللهجات الشمالية ، تبعاً للبيئة والمناخ ، والوراثة ، والمزاج ، كان مشروع لغات يتلجلج ، لِتَتَبَعَّد كل لهجةٍ عن أختها ، كما بعد « لسان حمير » عن أخيه « العدناني » .

وعندما أصيب شعر النابغة بمرض الاقواء ، لم يعد الامر شنشنة ، أو فحفحة أو طمطمانية أو كسكسة ، بل أصبح الحال يدعو الى تقعيد ، ومعنى ذلك دخول اللغة حرم العالميّة ، والرصف الهندسي مع العالم ، مرتبطةً بسواها ارتباط نسقٍ بنسقٍ ، ولذا كان « عمر » ذكياً جداً ، وعثمانُ وفياً جداً ، بحزم انماز به موقفه هذا ساعة وحّد لغة المصحف الحبيب ، وجاء بعدهُ ابو الاسود الدؤلي ، فالحجاج ، ونصر بن عاصم لرسم خط منسوق للكتابة ، ولصيانة اللغـــة لفظاً وكتابة ، وتعبيراً واللغة هي الوطن الحقيقي الذي يسكنه المتواجدون ، المتناغمـون في إنسانيةٍ مثلى ، من اجل الاندغام في الله .

وساعة خرج « ابن المقفع » وقبله عبدالحميد ، وسالم ، من اطار الانشاد ، إطار هزهزة الجدار في شعر ونثر كان ذلك عنوانا على عظمة صنيع عبدالملك بتعريب لغة الدواوين ، وان اللغة وضعت في مناخ الهوى الداخلي الذي يفرخ شعوراً ، ويثمر عقلا .

بعد مرحلة التناغم الشكلي بالايقاع العفوي ، حضـرت مرحلة الخليل الفراهيدي ، المتجلّي بعبقريته « مذ هبت » اللحن الانشادي في الشعر ، ومدّت النثر على بساط آخر سوى سجع اللهاث ، والتقطيع ،

الى انسياب بديع جديد ، فجاء ذلك مثلما يضع الرياضي قوانين للموسيقى ، والاعداد ، وهي في حدّ ذاتها نوع من المنطق الذي يجدل حصل التعبير .

عنّي « الخليل » بالحرف يكتب صدىً للصورة ، وهذه تراها العين ، وبها نغمة تلتقطها الاذن ، وحركة ينطق بها الفم ، هذا الفم العجيب الذي هو باب" للقمة العيش ، وكلمة الوعي ، وشتان بين وظيفة الفم وهو يلتقم ، ويزدرد ، ويبتلع ، وبين وظيفته وهو يُقيم مخارج الحروف !

الرقم ، النوطة ، الحرف ، ثلاثة تنبع من مصدر واحد ، ولعل علماء التجويد الذين مهّدوا لعلماء فقه اللغة أدركوا هذه الحقيقة ، فأسدوا للغة خدمة لاتقدر بميزان .

الرقم حضور" ماثل في الشيء الاحد .

النوطة صدى للموجود في ضمير الوجود .

الحرفُ همّاه ونسل" يضيف الجديد الى الحياة ، فهو بذلك يحتوي على خصوصيتي النوطة والرقم ، فانمّيازه انميازاً ، يجيء بفرادةٍ مزهوّة .

• • •

« جابر بن حيّان » ، « عبدالرحمن بن خلدون » ، « أندره بروتون » ومن قبلهم « فيثاغورث » و « هرمس » و « المعرّيّ » ، وسائر السّيمائيين ، وجدوا في الحرف سحر العدد ، جوهراً . حتى ان « جابراً » صاح : « الاسم عين المسمى » . و « كل شيء قابل للتحوّل الى اي شيء » هذا مزج للأشياء في الكون ، بتذكرة سفر ،

وفعل من الحقّ الأعلى ، وبذا تمتزج الموجودات فتتوحد ، وتستعلم أنها نبعت من مصدر واحد ، ولعمري تلك الصلاة المثلى لجلال الحق الأعلى ، اذ هي صوفية الفلسفة ، وأحدية الوجود ، وما بعد ذلك بعده .

لا بأس بقراءة ما كتبته دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية عن « جابر » واحد العصور الوسطى وما كتبه ابن خلدون في المقدمة تحت عنوان « علم اللغة واسرار الحروف » والتي أوحت لصديقنا الشيخ عبدالله العلايلي كتابه عن المصري الهائل (المصري ذلك المجنون) وما ترسمه السوريالية الغربية ، ليدرك أن اللغة ليست بألفاظها كائنة اجتماعية فحسب ، بل حي حُضُوْر" فلسفي ، يسكنه سرّ الله سبحانه ، ويضيء من خلاله .

• • •

صديقي الدكتور رشيد العبيدي ، من أجد مناغياً في روحي فضله ، وشمائله ، متوفر على الدراسات اللغوية في مدى تراثنا الرحيب الكثيف ، ينماز بزخم لايفتر ، ودقةٍ لاتتورط في مشتبهٍ أو مغلق ، إلى حبٍّ نقيّ يتوهج به قلمه لاغناء البحوث في رفوف مكتبتنا العربية ذات الاستطالة على مكتبات البشر ، روّى في كتب اللغة ، وفي أنماطها المختارة ، فسمق له عنان تشهد له العقول القارئة .

كتابه المخطوط : « مشكلات في التأليف اللغوي في القرن الثاني الهجري . » واحد من كتبه متأهّب ليأخذ مجراه في سلسلةٍ أرجو أن تكون كشجرة « سدرة المنتهى » في الأثر الكريم عمل فيه بعقل الباحث الجدليّ ، الطالع من أفق التتبّع والاستقراء الى الحكم المطلق

العلمي ، ترسيخاً لنسبة ، ودفعاً لاشتباه ، فأضاف الى ما سبق في جو التأليف عن تلك الحقبة دراسة تأخذ موضعها باعتداد ، ناسلاً خيوط مصادره ومراجعه من مزدهيات الكتب اللغوية في تراثنا .

مهره بمقدمة موجهة ، وافتتح الدراسة بالباب الاول عن كتاب سيبويه ، والجيم ، وفي الفصل الاول من الباب الاول استفاض في الكلام عن بواكير الدراسات اللغوية في المائة الثانية ، لكنه اقتصر على الجهود العربية ولم يربط حلقاته بجهود السّريان الذين هم اساتذة العرب بحق ، وبأولئك الفرس الذين سبقوا في فن التأليف وان كان الشعبان لم يبلغوا مبلغ اليونان في ذلك . وحين غمض أمر الكتاب اللغوي عن الجاهل به ، قادنا في المبحث الثاني الى مكان الكتاب اللغوي العربي بين التقليد والابتكار ، ودلنا بأصالة على أصالة التأليف اللغوي عند العرب .

في الفصل الثاني مدخل الى المشكلة مع سيبويه ، وهنا نجد أن الدكتور الباحث أعاد وكرّر ، ولعله اسلوب المعلمين الجاحظيين . أما الفصل الثالث فقد جاء حول الجيم والعين ، والفصل الرابع قصره على الشيباني في جيمه ، مفصحاً عن سبب التسمية ، وحقيقة نسبة الكتاب ، ونميّز حرف الجيم ورمزيّته ومنهجيّته خاتما هذا الباب في فصوله الاربعة بخاتمة مضيئة .

في الباب الثاني ـ الفصل الأول عرّف الخليل بن احمد ، وكتابه ، والّليث بن سيّار وقضية « العين » بينهما ، وفي الفصل الثاني من هذا الباب عرض لآراء علماء العربية حول كتاب العين ، وفي الفصل الثالث منه تناول الثلاثي : العين ، والّليث ، والنضر بن شميل ، وصلة النضر بكتاب العين ، وعرض للسجستاني وابن راهوية ، والهروي ، والمبرّد ،

وثعلب ، والعسكري ، وابن المعتز ، والمفضل بن سلمة ، وابن ولاد التميمي ، وابن دريد ، والكرماني ، والمنذري ، والزجاجي ، وابن درستويه ، وابي الطيب اللغوي الحلبي ، والسيرافي ، والازهري ، وابن المراغي ، والزبيدي ، ولم ينس الصاحب بن عباد ، وابن النديم ، وابن فارس ، وابن جني ، وحمزة الاصفهاني ، وابن سيده ، وأبا عبيد البكري ، وأبا البركات الانباري ، وياقوت الحموي ، والقفطي ، وابن خلكان ، وابن نباته ، والسيوطي ، والمرتضى الزبيدي ، وجميعهم ما بين عالم لغوي ، ومؤرخ حضاري ، أو مفهرس ، أو متأدب ، ومقدار ملامستهم هذا الكتاب الخطير من قريب في الزمن أو بعد ذلك بمئات السنين ، وختم الباب بخلاصة تشير الى أن الخليل ألف كتاب العين ولم يتمه ، وأن الليث ساعد ، وأتم ، ولكنه لم يكن في مستوى عظمة الفراهيدي .

في الفصل الرابع من الباب الثاني ، تناول الدكتور العبيدي موضوع الدراسات حول كتاب العين ، وأثره في مجرى فكر العرب وعلمهم اللغوي ، واشار الى الكتب التي اتخذت من هذا الكتاب أستاذاً لها تقفو أثره ، وتنسج على منواله ، كما تحدث عن الذين اختصروه ، والذين استدركوا عليه ، أو أطلقوا اسمه على بعض مؤلفاتهم ، وأنهى دراسته بخاتمة مروية ، مستوعبة .

• • •

كتاب « العين » للخليل بن أحمد الفراهيدي ، وكتاب سيبويه « قرآن النحو » أو « الإمام » أو « البحر » وكتاب « الجيم » لابي عمرو اسحاق بن مرار الشيباني ، كانت فلكاً دار فيه كوكب بحثه ،

راسمة خطاً متهجيداً له تسلسله الحسابي ليصل الى نقطة إيجابية من حيث التأكيد على حقيقة هذه الكتب ، ونسبتها الى مؤلفيها الاصليين ، ونفي ما علق بالأذهان من ضبابيات مدّها حسّاد الخليل ، وسيبويه ، وسواهما .

إن الشك في وجود مؤلفين تخطوا عصرهم ، وجنسهم الى العالم ، وإثارة الاسئلة والشبهات حول المؤلفات والآثار ، شيء قديم عرفه المطلعون منذ فجر الحضارة الانسانية .

هذا « هوميروس » صاحب الاليـاذة ، والأوديسة ، الملحمتـين النموذجيتين ، الخالدتين انكر وجـوده كثيرون إلى أن جاء من يدحض تخرّصات المبلبلين كسليمان البستاني مترجم الالياذة .

من مثل ذلك تحويم الشبهات حول « كليلة ودمنـة » من حيث أنها ترجمة ابن المقفع أو تأليفه ، واتهام الكثيرين ذلك الاديب الشعوبي بوضعه نيلاً من ادب العرب ، وتحدياً سافراً له بالجديد الجليل مع العلم أن للكتاب نسقاً هندياً ، وأصلاً اعجمياً ، الى جانب إقرار ابن المقفع نفسه ، أنه ترجم ولم يؤلف ، وذلك الصدق بعينه لأن اسلوب الرجـل يختلف في كتبه عن اسلوب كليلة ودمنة مع احتمال إضافة على الكتاب .

الى جانب هذا ما نعانيه من قضية الانتحال في الشعر الجاهلي ، وما تتعرض له من تحقيق عسير الدروب لنتاج كثير من أدبائنا وشعرائنا ، لا في عصر الجاهلية ، بل في مجـمـوع عصر بني العباس ، وعند قمته الشامخة ، حيث نضجت العقلية العربية ، واتسعت آفاق الثقافة ، ومع كل هـــذا فالناس تشككت في نسـبة كتاب « المحاسن والاضداد » و « النساء » للجاحظ ، كما شككت في نسبة أبيـات وقصائد الى ابي

نواس ، وابن الرومي ، والمتنبي ، ازاء شعر كثير ، وكتب كثيرة لأبي العلاء وسواه ، مثل إخوان الصفاء ، والخيام ، وبعض الفلاسـفة .

والاهم من ذلك كله نسبة كتاب « ألف ليلة وليلة » لمؤلفين متعددين ، ولغير العرب ، وهذا ما دفعناه في بعض دراساتنا عنه ، هنا في بغداد ، وما عرضنا جانباً منه في كتابنا : « نقاط التطور في الادب العربي » وما سنندفع متحدّين بسببه كل متنقصٍ من مجد حضارتنا على الزمن .

غير أن تسمية كتابي الفراهيدي ، والشيباني بالعين والجيم ، مما يثير الاسئلة حقاً ، ويدفع مثل صديقنا « العبيدي » على اقتحام الغموض ، وتحقيق النسبة ، وسبب ذلك الاحجام من جهة ، والرمز من جهة أخرى ، فهل الجيم محرف الختم ، وهل العين بفتح الحرف أو كسره ؟ وهل قصد هذان العالمان الى الرمز بحرفين من الابجدية متميزين بموسيقى خاصة جرياً على طريقة السيمائية التي ولدت مع بحوث « معاوية بن يزيد » واستهلكت بتلميذه بعد ذلك جابر بن حيان ؟

بل ربما قصد هذان العالمان بتسميتهما تقليداً للقرآن الكريم في فواتحه الرمزية ذات الحرف الواحد ، أو أن ملاحظة الجزء المعبر عن الكلّ كانت من خواطر بالهما .

ولا يفوت بال الباحث حسد الحاسد ، وحزبية المتقفين بين البصرة والكوفة ، وبين العرب والعجم ، الى نقطة هامـــة تكمن في تلاميذهما الكثيرين ، وتشوفهم الى اختلاس المجد والشهرة بادعاء المشاطرة في التأليف ، او التكملة ، وما أشبه ذلك .

* * *

أشار الباحث « العبيدي » في الصفحة العاشرة الى قضية اتهامه

بين الحروف ، وتدرّج الخط العربي رسماً الى ما وصل اليه في عهد النبي الكريم ، وعهد نصر بن عاصم الليثي منحازاً الى موقف الدكتور « ناصر الدين الاسد » من أن العرب قبل الاسلام عرفوا الخط مشكولا منقطاً ، جاهزاً .

الحقيقة أن العرب الذين كتبوا الوحي الشريف إنما كتبوه حروفاً غير معجمة ، ولذلك وقع القراء في مشاكل مختلفة أرعبت عمر بن الخطاب (رض) وهزت ابا بكر (رض) وشحذت همة عثمان (رض) فجمع القرآن من الجلود ، واللخاف ، والرّقاع ، والعسب .

هذا عمل هائل ، أمين ، جعل كتابنا السماوي فوق الاشتباه الذي لحق أيّ اثر في تاريخ الناس ، لكن المشكلة بقيت قائمة ، فهذا القرآن جُمع ، وهو صحيح مُعافى ، بيد أن قراءته كيف يجب ان تتم بين عرب عرفوا الفحفحة ، والكسكسة ، والطمطمانية وسواها ؟

يجيء عهد عبدالملك العظيم ، فيعرّب لغة الدواوين ، ويعمد واليه على العراق الحجاج وهو الاديب المعلم ، المتمرس الى دعوة بعض النابهين كي يضعوا الشكل ، والنقط ، لتصحّ القراءة ويستقيم المعنى ، وبذلك ونبت العربية الى أفق التقعيد ، وتَعَقلَنَتْ .

ومن هذا القبيل قضية نوع الخط العربي الذي به كتب الكاتِبُونَ الوحي الشريف ، وذا يدعو الى تحقيق ذلك وأنه الخط الحميري المستفاد من اليمن ، والنسخي المستفاد من الانباط ، والجانبان عربيان غير معجمين ، عرفتهما « مكة » بوصفها مدينة تاجرة تحتاج الى ضبط الصادر والوارد والخزين مثل فينيقيا التي استفادت من المسماري ، والهيروغليفي ، فرسمت أبجدية قبسها البشري من كل انحاء العالم(٣) .

تبقى قضية التأليف اللغوي في مجرى القسم الاخير من القرن الهجري الاول ورحابة الثاني ، التي تعود الى باعثين مهمين : الأول خدمة القرآن الكريم ، ينبوع الخطط الدراسية ، والثاني حضاري ذو شقين : رغبة العرب المسلمين ، وإرشاد السريان حفظة ، وورثة التراث اليوناني في بقعة امتدت من انطاكية الى جنديسابور ، وبينها مدارس الاديرة الرها ، قنسرين ، حران ، رأس العين نصيبين وسواها ، وهذه السريانية الآرامية ، كانت لغة الحضارة طيلة خمسة قرون قبل الاسلام ، وفي مدى أرض البابليين الذين هم من أساتذة اليونان ، وصناع حضارة من اعرق حضارات الشعوب ، ولولا هم لما ترجمت الكتب اليونانية الى العربية ، ولما عرف العرب كيف ينسقون تأليف الكتب(٤) .

تقعيد اللغة العربية واجب ديني ، وعلمي ، لذا فمحصول الامة في باديتها ، ورواتها ، وعلمائها محصول . ومراسيم النحو لدى السريان واليونان مراسيم . وقد ظهر أثر اليونانية فيما أثبته الاوائل من اسم فاعل ، واسم مفعول ، وصفة مشبهة ، ازاء الفعل الماضي والمضارع والامر وما يمكن أن يدخل من عامل الذرّية ، أو الفاعلية الزمنية ، وهذا ما سبق اليه اليونانيون وما سجل من علامات امتزاج الحضارات وتلامحها على وجه الدهر .

. . .

هنالك مؤلفات كثيرة للعلماء العرب في الاطار الزمني الذي حدده مؤلف هذا الكتاب ، ضاعت والتبست ، وتحرّفت ، وكم نكبت مكتبتنا العظيمة نكبات لم تحقْ بسواها من خزين فكر البشر ، وحسناً كل الحسن في الاحسان أن يجهد قلمه الدكتور رشيد العبيدي بمثل هذه

الاصالل بالمضيئة ، ولعنا إذ نشكر ، ننتظر ، في لعجـلب لاتنيل اوراقه المنضرله لدى بفصل من فصول الحيلة •

دكتور علي شلق

بغداد ـ ٣ـ ١٩٧٨

---

(١) من اراد الاطلاع برحابة على حضور العرب قبل الاسلام في القمـــة الوجودية فما عليه الا أن يتصفح كتاب الدكتور « جـواد علي » عن حضارة العرب قبل الاسلام وكتاب الدكتـــور جوستاف لوبون في الموضوع ذاته ، وكتابنا نقاط التطـــور في الادب العربي ، وكتاب جرجي زيدان عن العرب القدماء •

(٢) في الحقيقة ان السؤال لم يكن عن زمن الذهاب ولا مكانه وانما جاء السؤال عن الذهاب من الآن فصاعدا (المؤلف)

(٣) ت • نولدكه : T . Noldeke في دراسته من القرآن الكريم ص٧٠ والزنجاني في كتابه « تاريخ القرآن » ص٣ـ٤ وما اليها •

(٤) قول صديقي الدكتور علي شلق : : « لما عرف العرب •• الخ » فيه نظر ، فإن المبحث الثاني من الفصل الاول من هذا الكتاب موضوع في أصالة البحث اللغوي عند العرب ، وكيف لايكون الكتاب العربي منسقا ودقيقا وقد فرضت عليهم الحياة العلمية والثقافية تنظيم أمورهم الدينية والدنيوية وتقسيمها •

تقـديم

أقدم بين يدى القارىء الكريم دراسة جديدة ، تطرح مشكلات حول الكتاب اللغوي العربي ، وتحاول ان تهدي الى السبيل الصحيح لحلها وتبيان وجه الحق منها فبواكير التأليف عند العرب لم تنـج من مزاعم وتقولات كثيرة حول عنوان الكتاب ، ونسبته الى مؤلفه ، ومنهجه، ومادته وموضوعه الذي وضع فيـه وذلك ان الكتاب العربي الاول وأعني الاول : ما وضعه علماء العربية من مؤلفات في أول عهد العلمـاء العرب في التأليف ، والتصنيف للعلـوم والمعارف والدراسات كانت تؤخذ من مؤلفيها رواية وسماعا ، وقـراءة ، وقليلا ما كانت تنتسخ انتساخا ، وفي جميع ذلك ما فيه من عوامل التغيير والغلط ، والتخليط ، واحتمالات النسيان والفقد .

١ ـ فقد ينسى الرواة أشياء قالها المؤلف ، أو يغيرون نصـوصا سمعوها عن المؤلف فتكون النتيجة ان يختلط كلام هذا بكلام ذاك ، وسهو هذا بسهو ذاك ، ونسيان هذا بزيادة ذاك ونسبة كتاب هذا الى ذاك وأمثلة هذا الخلط كثيرة ، كما نسب كتاب المحاسن والاضداد الى الجاحظ (٢٥٥هـ) وغيره ، وكتاب الفصيح لثعلب أو لابن السكيت أو لابي داود الرقي[١] أو غيرهم ، ثم ذكر أن لابن السكيت (٢٤٤هـ) وابن فارس (٣٩٥هـ) كتابين بأسم (الفصيح) ، غير كتاب ثعلب المذكور .

أ ـ وقد يقع الناسخون في التصحيف والتحريف والتغيير بسبب

عدم فهم هذه اللفظة أو تلك ، كما يحتمل ان تسقط مما يكتبون اسطر، وربما صفحات تشوه الكتاب ، وتخل به . واكثر ما وصل الينا من مثل هذه المخطوطات أخل به الناسخون .

ب ــ ان جهل بعض النساخ والوراقين بأصول موضوع الكتاب ومنهجه وزمن تأليفه ، وعصره يجر الى أن يحشر الناسخ في متن الكتاب كثيرا من التوقيعات والحواشي والتعليقات والزيادات التي يعلقها بعض القراء والدارسين على حواشي الكتاب فيحسبها الناسخون الجاهلون جزءاً من الكتاب ويوقعونها في المواقع التي يجدونها فيها ، مما يؤدي أخيراً الى اختلال نسخ الكتاب ، واختلاف نصوصه وموضوعاته ، كما يؤدي الى حشر اسماء أعلام وشخصيات ، ربما تكون متأخرة عن مصنف الكتاب ، فيظنها الدارسون من أصل الكتاب وهنا يقع الوهم ، أو الشك في نسبة الكتاب الى مؤلفه الاول وفي مثل هذه الحالة ينبغي للمشتغلين في مضمار التحقيق العلمي ونشر كتب التراث ، نفي الشبهة عن نص الكتاب ، وتنزيهه مما لحق به من زيادات المتزيدين ، وجهل الناسخين وعبث المتطفلين الجهال ، ممن يلحقون أشياء غير صحيحة ، في هوامش الكتب المخطوطة .

٢ ــ من مجموع هذه المشكلات التي عاناها الكتاب العربي ــ عامة ــ وكتاب اللغة ــ خاصة ــ تَحَصَّل خلال تاريخ علوم العربية أن اضطربت نسبة كتب الى مؤلفيها ، واختلفت نصوص كتب اخرى ، وتغيرت عنوانات كتب ثالثة بحيث أصبحت مهمة ناشر الكتاب التراثي ، ومحققه ــ هذا اليوم ــ شاقة وصعبة للوصول الى أقرب نص أراده المؤلف ، وثبته بيده في كتابه .

ان كتاب النوادر لأبي زيد الانصاري (٢١٠هـ) مشبع بالزيادات والالحاقات المتأخرة ، لم يستطع المحقق ان ينفيها عنه ، فجاءت طبعته الأوربية ممسوخة ، بعيدةً عن الأصل ، بحيث ترى أقوالا تنسب لعلماء من القرن الرابع الهجري .

ومثل هذا الكتاب صور كثيرة تحتاج الى كشف دقيق وعمل مركز متقن يتحمل اعباءه المحققون .

واذا كان لابد — من كلمة نقولها هنا للمحقق ، اوفي المحقق ، فهي :—

١ — كونه مثقفاً ثقافة تراثية جيدة ، يستطيع بها ان يميز بين عمل وعمل أو نص ونص ، أو موضوع وموضوع .

٢ — كونه بصيرا بمناهج التحقيق العلمي الحديث ، ومناهج التحقيق العربية القديمة ، المعروفة لدى علماء العربية ، كالمقابلة بين النصوص وتثبيت الأصل ونفي ماسواه الى حواشي الكتاب وهوامشه .

٣ — كونه ذا نظر دقيق ، ومعرفة بالنسخ والخطوط وأنواعها ليستطيع الوصول الى صحة ما نسخ بأقلام الناسخين .

٤ — كونه مستقصيا لاكثر عدد من نسخ الكتاب ، لتكون مقابلاته ومعارضاته للكتاب كاملة ، وليصل الى الحقيقة من أقرب طرقها .

٥ — كونه عارفا بمصادر مادة الكتاب ، ومراجعها ، ليستطيع بها أن يسد النقص الذي يحتمل وقوعه ، وخصوصا عند توفر نسخة واحدة من الكتاب التراثي ، أو نسخ مشوهة النصوص ..

٦ — يتحمل المحقق توضيح بعض النصوص والعبارات والالفاظ التي

ترد في النص معتراة ببعض الغموض، والغرابة ، أو اختلال المعنى والغرض .

هذه أهم الالتزامات التي ينبغي للمقدم على تحقيق كتاب قديم ان يرجع اليها ، وان يجعلها ميزاناً لعمله ، ليصبح عملا متقنا جيدا يؤدي به خدمة ، للعلم والعربية وليس مهمة هذا الكتاب أن يرشد الى هذه الملاحظات التي اقتضتها ظروف المقدمة ، والحرص على ان يُقدّم تراث العربية أبيض ناصعا لاغبار عليه من عبث الزمن وأيدي الجهال ، ولكنه وضع لكي يجلو الحقائق ، ويمهد السبيل للوصول الى الحقيقة .

ولما كنا نرى ان اعظم تراث العربية في القرن الثاني الهجري هو ثلاثة كتب ، هن أمهات التأليف اللغوي عند العرب عقدنا العزم على البحث فيهن فكان في بابين : أولهما في أعطاء فكرة عن بواكير الدراسات اللغوية ، وأصالة التأليف اللغوي عند العرب ، ووضع كتاب سيبويه في وسط المشكلة . ثم مناقشة ما دار حوله من أوهام وأخبار ، ثم كتاب الجيم للشيباني ومناقشة ما دار حوله من أخبار ملبسة لايهتدي الدارس من بينها الى الحقيقة إلا بعد التأني والدرس والبحث الطويل الدقيق .

وكان الباب الآخر خاصاً بكتاب العين للخليل لكثرة ما دار حول مؤلفه ، ومنهجه من تقولات ، لنخرج من ذلك كله برأي ربما خالفنا به كثيراً من الدارسين قديما وحديثا .

وربما وجد القارىء أننا أهملنا الرجوع الى الدراسات الحديثة في هذه المؤلفات لأننا أردنا أن نطرح آراء المتقدمين وحدهم للمناقشة وان نخرج منها بما نجده حقاً وعدلا ، فالمتقدمون من أئمة الدارسين أقرب

الى جذور المشكلة وأعرف بها ، أما معظم الدراسات الحديثة ، فمآلها جميعا الى ما نقل المتقدمون ، وسائرها تعتمد على الحدس والتخمين والاحتمالات التي تحملها الاخبار والنصوص .

ولعل القارىء يرى أنني أسميته بـ (مشكلات في التأليف اللغوي) ، ولم اسمه بـ (مشكلات التأليف) وذلك أنني قصدت الى عرض جانب من المشكلات التي حامت حول عدد من كتب اللغة ، لا الى كل المشكلات التي واكبت التأليف اللغوي عند العرب ، فان لمثل هذا الموضوع مجالا أوسع ، وباباً أكثر انفتاحاً ، ربما لايتسع له مثل هذه الصفحات القليلة . وأرجو أن يكون هذا الكتاب مدعاة لغيري الى الأفاضة في معالجة مشكلات الكتاب اللغوي العربي مستقبلا .

والله الموفق .

د . رشيد عبدالرحمن العبيدي
كلية التربية ــ جامعة بغداد

١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م

---

(١) الارشاد : ٢/١٥٣ (ط : مرجليوث) .

الباب الأول

« كتاب سيبويه »

الفصل الأول

أ ـ بواكير الدراسات ـ اللغوية في المئة الثانية الهجرية

ب ـ الكتاب اللغوي بين التقليد والابتكار

ـ المبحث الأول ـ

بواكير الدراسات اللغوية حتى أواخر القرن الثاني الهجري

قبل الخوض في كتاب أمام العربية في القرن الثاني الهجري ، عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبي بشر سيبويه ، ينبغي لنا أن نقف في هـــذه الصفحات على الأرهاصات التي سبقت ظهـــور هذا الكتاب ، وهي ارهاصات تمثل جهود العلماء العرب في وضع الدراسات اللغوية الأولى التي كانت بمثابة المصادر الرئيسة له .

فقد درج أكثر الدارسين على جعل السبب الاول في توجه علمـــاء العربية الى العناية بآداب العربية ، ومأثورها الفصيح الذي انتقل في النثر والشعر ، ونصوص اللغة ولهجاتها ووضع أسسها لضبط اللسان ، هو ما تركته الألسن غير العربية من أثر في عامة المتكلمين بالعربية في مطلع المئة الأولى للهجرة ، وهو مذهب صحيح الى حد ما ، ولكنه ليس السبب الرئيس في هذا التوجه الكبير الى الاهتمام بالعربية والعناية بمفرداتها ، ودراسة قوانينها ، ووضع أصولها وقواعدها والكشف عن أسرارها . فاننا نرى أن ماذهب إليه كثير من الدارسين في حقيقة الدوافـــع الى الدراسة اللغوية من أنهم خافوا عليها من اللحن والعجمة ، ليس وحده سبباً لوضع القواعد لها ، بل كان هناك دوافع تعد في طليعة الاسباب الى وجود الدراسات اللغوية المنظمة المبكرة ، وهذه الدوافع تتمثل في حرص

الأمة على تنظيم اعمالها وحياتها ، وأفكارها في مجتمع يسوده النظام ، وتحكمه القوانين وتضبط تحركاته الشرائع والعقيدة الجديدة التي جاء بها الاسلام .

لقد انتظمت سياسة الأمة ، وأفكارها وعلاقاتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وأصبحت موارد ذلك كله ما يشرعه القرآن الكريم ، وما يسنه الحديث الشريف وما تأتي به السنّة الشريفه من عمل أو تصرّف ، يكون الرسول (ص) هو القدوة الحسنة فيه ، فكان لابد ــ بعد أن ساد النظام كل شيء أن يتم تنظيم الحياة الثقافية، فيتوجه المجتمع الى العناية بتراثه القومي الذي تشكل اللغة منه أكبر عنصر ودعامة يستند اليها ؛ لأنها لغة الجماعة الأولى التي زحفت بالرسالة وحملت الأمانة ، وبلغت العالم بمضمونها ، فضلا عن أن هذه اللغة كانت الوسيلة التي تنقل بها أفكار الأمة وعقيدتها الى المجتمعات الغريبة البعيدة عن العرب والعربية ، فالقرآن ، والحديث ، والتشريع وما يتصل بهذه الأصول من توضيح أو تبيين ، أو دراسة ، ينبغي لكل ذلك أن تكون العربية واسطة له ، وأداة لحمله وتبليغه الى الأجيال غير العربية من الناس الداخلين في الاسلام .

ومن هذا المنطلق كانت العربية ــ أو اللسان العربي ــ تُشكل جزءاً من الرسالة السماوية ، لايمكن فصله عن أجزائها الأخرى ، فكانت الدعوة واضحة الى حفظ اللسان وتراثه من شعر أو نثر ، من المسؤولين والعلماء على حد سواء ــ يقول الزبيدي : « ولم تزل الأئمة من الصحابة الراشدين ومن تلاهم من التابعين يَحُضّون على تعلّم العربية وحفظها ، والرعاية لمعانيها ، اذ هي من الدين بالمكان المعلوم ،

فيها أنزل الله كتابه المُهَيْمِنَ على سائر كتبه ، وبها بلغ رسوله (ص) وظائفَ طاعتهِ ، وشرائع أمره ونهيه ، وكذلك كانوا يحضون على رواية الشعر الذي هو حكمة العرب في جاهليتها واسلامها ، وديوانها الذي أقامته مقام الكتاب لما تقدم من مآثرها وأيامها ، فكانوا يتناشدون في مجالسهم ، ويتذاكرونه عند محافلهم »[1] . وينقل الزبيـدي مصداقاً لهذا الذي يقدمه : « ان كتاب عمر بن الخطاب أتاهم ، وهم بأذربيجان، يأمرهم بأشياء وذكر فيه : تعلموا العربية »[2] . وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ يكثر من الدعوة الى تعلم العربية لانهـا كما يرى : « تشبّبُ العقول وتزيد في المروءة[3] . ونقـل القفطي[4] عنه (رضي الله) كلاما يدلّ على شدة حرصه على العربية ـ وهو الخليفة الثاني ، والأمـة في مطلع حياتها ـ يقول القفطي : « كتب عمر بن الخطاب ـ رضي ـ الى أبي موسى » : أما بعد فتفقهوا في الدين ، وتعلموا السنة ، وتفقهوا العربية ... وليعلم أبو الأسود أهل البصرة الاعراب » وفي كلام عمر ما يدل على شدة اقتران الدين باللغة ، وتماسكهما .

فتعلم العربية ، والعناية بتراثها ، وتاريخها ، وآدابها ، أمر أدرك أهميته الصحابة الاوائل في زمن رسول الله ـ ص ـ وبعده ـ ، لأنه يمثل صورة من صور التنظيم العام الذي أخذ المجتمع به في حيـاته العقدية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، والثقافية والتراثية ، لأنه أيضا يمثل ركناً كبيراً من أركان الدعوة الجديدة التي سادت المجتمع ، وهذا كله كان قد وقع في مطلع حياة الأمة ، ولم تكن تشعر بخطر يهدد اللغة أو يذهب بتراثها الأدبي والثقافي ، أو القومي .

وفي زمن الرسول (ص) كان وهو صاحب الدعوة يدعو الى حفظ

الشعر والعناية به ، لأنه كان يرى « ان من الشعر حكمةً » وحين تحدث اعرابي أمامه بكلام بليغ قال (ص) : « ان من البيان سحرا ، وان من الشعر حكمة » وتحدث أعرابي أمامه فلحن ، فقال (ص) : « ارشدوا اخاكم فقد ضل » وكان يقول : « اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه »[٤].

ونقلوا عن علي (رض) قوله : « عليكم بالعربية والشعر فأنهما يحلان عقدتين من اللسان : العجمة والدكنة ».

وقالت عائشة : « تعلّموا الشعر فأنه يُعرب ألسنتكم »[٥].

الى غير ذلك من الأقوال التي كان المسؤولون يدعون بها الى تعلم العربية ، وحفظ الأشعار والآداب ، توخياً الى حفظ التراث والمروءة ، واكتساب البيان والحكمة والاعراب ، ثم تخليص اللسان من العجمة والدكنة وذلك كله قد كان في أول أمر الاسلام ولما يدخل الناس من غير العرب في الاسلام الا في بلاد محدودة ولما يختلط العرب في الجزيرة بأمم غير عربية ، فكانت الدعوة إذاً — الى العربية وتراثها وآدابها جزءاً من الدعوة العامة الى الاسلام ونظامه ، وتقاليده ، ولا ريب فان العربية من الدين . وتنقل لنا بعض الأخبار أنَّ هذه الحقبةَ التي مرت ، مُنذ عهد رسول الله (ص) حتى عهد الامام علي ، فما بعده ، كانت قد احتفظت لنا بذكر بعض الأعمال اللغوية ، فقد نسب الى ابن عباس — رض — كتاب في تفسير غريب القرآن ، وكان — رض — يقول : « الشعرُ ديوانُ العرب فاذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي انزله الله ، رجعنا الى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه »[٦] . وكان نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر يسألانه عن ألفاظ ترد في القرآن ، أو اللغة ليفسرها لهما ويطلبان منه ان يأتي لهما بشاهد من كلام العرب ، فكان يفعل لهما

ما يريدان[٧] . لأن ابن عباس كان يعلم أن كلام الجاهليين شعرَهُ ونثرَهُ هو خير ما يستشهد به على لغة القرآن ، فكان يقول : « اذا تعاجم شيء من القرآن ، فانظروا في الشعر ، فان الشعر عربي »[٨] .

وهكذا كان عمل ابن عباس يمثـــل اتجاها واضحاً الى التأليف اللغوي المنهجي الذي أصبح فيما بعد أحد الأعلام في الدراسات اللغوية المعروفة ، بغريب اللغة عند علماء العربية ، بل كان عمل ابن عباس هذا أيضا ــ نقطة بدء لوضع الدراسات المعجمية التي اتجهت نحو التنظيم الدقيق ، والمدرسية الواضحة على يد علماء المعجم العربي في القرن الثاني الهجـري .

وتذكر لنا الأخبار أعمالا أخرى ، تدخل ضمن إطار التوجـه الى دراسة اللغة ، منها : وضع النقط والشكل ، ومنها ترتيب حروف العربية. أ . ب . ت . ث . ج . ح الذي وضعه النصر بن عاصم الليثي (٨٩هـ) ، بعـــد ان كان موضوعا على : ابجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ ، وكان النصر قد اتخذ الشكل أساساً لترتيب الحروف .

ويذهب بعض الدارسين الى ان (النقط والاعجام) الذي اشـار الدارسون الى أنه من نتاج القرن الاول الهجري ، كان معروفاـ غالبا ــ في الجاهليـــة ، فيذهب حفني ناصف الى أن الأعجام انما كان قبـل الاسلام[٩] . وبذلك يقول الدكتور ناصر الدين الاسد : (ان التشابه العجيب بين الحروف ليكاد يجعلنا نظن ان الحرف منذ ان وجد ، وجد معه نقطهُ ، وان النقط ضرورة من ضرورات هذه الحروف منذ نشأتها ، الا اذا كان يفرق بينها بوسيلة أخرى من وسائل الخط توضحها وتمنع

اختلاطها مع غيرها) ، ولذا فهو يذهب الى أن الغالب هو وجود الاعجام والنقط مع الكتابة العربية ، منذ العصر الجاهلي[١٠] . ولكنه بشكل فيه حذر كبير وهو رأي أمْيَلُ الى الصواب ، واشد أسراً به ، وهو يعني ان الحرف العربي وصل الى الامة بعد الاسلام كامل الصورة ، متميزا بعضه من بعض بنقطه واعجامه . ويقوي هذا القول ما سبق اليه حاجي خليفة ، من أن الصحابة ــ رض ــ جرّدوا المصحف من كل شيء حتى النقط»[١١] . وهذا يعني أن النقط موجود مع الحرف وقد عرفه الصحابة الأوائل . وهنا يحسن التساؤل : ماعمل العلماء في القرن الاول للهجرة الذين نسب اليهم وضع النقط والاعجام كأبي الأسود الدؤلي (٦٩هـ)[١٢] ونصر بن عاصم (٨٩هـ) ويحيى بن يعمر (١٢٩هـ): وغيرهم ؟ .

يبدو أن علماء العربية كان لهم دور الكشف ، والبحث من جديد لما كاد أن يندثر من صور الحرف الحقيقية خصوصا أن الصحابة الاوائل قد عملوا على تجريد الحرف من نقطه ، بعد أن اصبح للرواية الشفوية في نقل الخبر قبل تدوينه وكتابته المركز الأول . والكتابة لم تكن معروفة مشهورة شهرة الرواية والحفظ ، والدليل على مانقول أن الرسول(ص) وجد أن أمته كانت أمة أمية جاهلةً أمر الكتابة والتدوين فدعا كل صبيٍّ من صبيان المسلمين في المدينة المنورة عارفٍ بالكتابة أن يعلّم عشرة من المسلمين كما طلب من اسرى بدر العارفين بالكتابة أن يعلم كل واحد منهم عشرة من المسلمين الكتابة ، لقاء حريته ، ليشيع أمر الكتابة ، فضلا عن أنه ــص ــ كان أميا لايكتب ولا يقرأ . فلما وجد العلماء خطورة هذه الحال ، ودعوة الاسلام الى تعلم الكتابة ، عملوا على

أرجاع صورة الحرف بنقطه وشكله ليتخذه بعض كتاب المصاحف في مقدمة الكاتبين ، وسيلة لأظهار شكل الحرف صحيحاً مقروءاً ، لايجر الى اللحن والغلط في القرآن .

على أن مثل هذا الرأي ينبغي ألاّ يجرنا الى الايمان المطلق بأن الحرف العربي كان مألوفا ـ عند العربي ـ في جاهليته بشكله ونقطه . لانقطع بما لم يقطع به من دعا اليه قبلنا ، ولكننا نرى فيه انه يكاد يكون قريبا من الصحة ، وربما كان عدد من يعرف الحرف العربي شكله ونقطه الذي ألفه الناس ، في الاسلام ، قليلا جداً ، كما تذكر لنا الاخبار عن عرب الجاهلية ، والذي يجعلنا لانؤمن الايمان المطلق بهذه المسـألة أن الزنجاني ذكر في كتابه (تاريخ القرآن) ان القـرآن الكريم جمع من العسب واللخاف والجلـود المدبوغة واكتاف الابل ، بلا شكل ولا نقط[١٣] .

وانما جاء الشكل والنقط ـ بعد ذلك ـ في عهد عبدالملك بتوجيه الحجاج بن يوسف ، حين دعا النصر بن عاصم الليثي (٨٩هـ) ويحيى بن يعمر[١٤] لهذا الأمر ، حين انتشر اللحن واختلطت الألسن .

ومن هنا ظهرت البلبلة في رسم الحرف ، ووقع الكثير في التصحيف والتحريف ، ولولا حفظ القـراء والصحابة لكان الخطأ واجداً طريقه الى القرآن ، مع العلم[١٥] بان كثيراً من العلمـاء كان يرفض ان تنقط المصاحف كقتـاده وعبـاد بن عباد والخواص والحسن البصري وابن سيرين .

ثم إن الخط العربي الذي استخـدم لكتب القرآن ونسخه كان من النسخي النبطي ، أو من الحيري أو اليمني الحميري ، والخطـان

الحيري والحميري كانا بالرسم فقط من غير إعجام ، وكان عرب الشمال أهل مشافهة ، سوى مكة ، فان بعض أهلهـــا كانوا يعرفون الكتابة ، وذلك عن طريق التجارة ، ولذا لم يكن رسم الخط مضبوطاً بيّناً .

ولهذا كله لم نقطع بما ذهب اليه الدكتور ناصر الدين الأسد في (مصادر الشعر الجاهلي) بل ذهبنا الى احتمال معرفة شكل الحــرف ونقطه من نفر قليل ، مما جعله في حكم المجهول لدى جمهور العــرب قبل الاسلام ، حتى اذا كان الاسلام ونهد العلماء بهذه المهمة ، كانت لهم في ذلك أوليات غريبة عن جماهير الأمة ، أرادوا أن يرسخوها ، وان يجعلوا لها قواعد واحكاماً ، وطرائق تأخذ سبيلها في الحضارة العربية .

وبذلك وردت الاخبار . فقالوا في أبي الاسود : أول من وضــع العربية ونقط المصاحف[١٦] . وحكوا عنه انه أتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه ، فأتى بآخر من ثقيف فقال له أبو الاسود : « اذا رأيتني قد فتحتُ فمي بحرف ، فأنقُطْ نقطة على اعلى ، واذا ضممتُ فمي فأنقط نقطة بين يدى الحرف ، واذا كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف ، فاذا اتبعت ذلك غُنّةً فأجعل النقطة نقطتين ، ففعل . فهذا نقط أبي الاسود وعمل الرفع والنصب والجر واختلف الناس اليه يتعلمون العربية »[١٧].

وأنما كان عمل أبي الاسود هذا كله في المصاحف وتبعه في هــذا المضمار يحيى بن يعمر ، فقالوا فيه : (هو أول من نقط المصاحف)[١٨] وترددت هذه الحكاية مع نصر بن عاصم الليثي ــ ايضــا ــ[١٩] وابن هرمز وجملة كبيرة من علماء المئة الاولى ومطلع المئة الثانيــة مما يدل على أن الاصل في الدراسات اللغوية الاولى كان موضوع الآى وقراءات القرآن وكتابة المصحف ورسم الحرف فيه .

ثم نشطت جماعة العلماء الذين جاءوا من بعدهم فتنبهـــوا الى جوانب أخرى ، كان مصدرها القرآن الكريم كذلك ، فروى عن عبدالله بن أبي اسحاق الحضرمي (توفي قبل ١٣٠هـ) وهو مقرىء ولغـوي « أنه فَرَّع النحـو ، وتكلم في الهمـز حتى عُمِل فيـه كتاب مما أملى »[٢٠] .

وكان ابن أبي اسحاق ، قد أخذ القراءة[٢١] ، عن نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر . وعمل أبان بن تغلب الجريري (١٤١ هـ) : كتـاب الغريب بالقرآن وذكر شواهده من الشعر العربي[٢٢] وهو عمل يعـد باكورة الاعمال اللغوية في الربع الاول في المئة الثانية وموضوعه لغـة القرآن كما هو واضح . وسارت الدراسات سيرا حثيثاً نحو الاتساع، والتركيز ، والتخصص في المئة الثانية وكثر الدارسون كثرة لاتحصى ، بدوافع مختلفة ، منها الاخلاص لعلوم القرآن والدين وحب الاشتغال في سبيلهما ، لأن العربية من الدين .

ومنها الحرص على حفظ اللسان العربي مما خالطه من الدخيـل والغريب بسبب اختلاط المجتمع العربي بالشعوب غير العربية كالفرس والهنود والاتراك ، مما أدى الى تفشي العجمة واللحن والغلط . وفي هذا يروون عن ابي الاسود دخوله على الامام علي (رض) فيراه مفكرا في أمر الاعاجم الذين دخلوا الاسلام رغبة فأثرت ألسنتهم في اللسـان العربي فيأمره بوضع النحو[٢٣] . ويروون مجيء ابي الاسود الى زياد بالبصرة وقوله: «اني أرى العرب قد خالطت الأعاجم ، وقد تغيرت ألسنتها . أفتأذن لي أن أضع كلاما يعرفون ــ أو يقومون ــ به كلامهم ؟» فيقول: لا . فيجيء رجل الى زياد ، فيقول : « أصلح الله الأمـير : توفي أباتا

وترك بنونا » ، فيقول زياد : توفي أبانا وترك بنـوتا ؟؟ ادعوا لي أبا الاسود ، فيقول له : « ضع للناس ما أردت أن تضع لهم »[٢٤] ؟ .

ويروون ــ ايضا ــ خطأ ذلك القـارىء الـذي قرأ : « ان الله بَرِيء من المشركين ورسوله » بجر رسوله ، وغـير هـذه وتلك من الروايات . وما ذلك الا ليثبتوا أن الدافع الى الدراسـات النحـوية واللغوية لم يكن الا بسبب العجمة وتفشي اللحن والخطأ في القـرآن وسائر الكلام . وربما كانت بعض هذه الحكايات موضوعة ، ولا أساس لها من الصحة ولو كان أبو الاسود قد وضع (الرفع والنصب والجر)[٢٥] أو (باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف النصب والرفع والجـر والجزم)[٢٦] و (اسس العربية ونهج سبلها ووضع قياسها وذلك حين اضطرب كلام العرب وصار سراة الناس ووجوههم يلحنون) آخذاً بكل ذلك عن الامام علي كما يقولون ، للزمنا ــ اذن ــ أن نقرر أن النحو كان شيئاً معروفا في عصر الامام علي ، بل قبله بزمن لأنه علم تكامل ونضج في عصره بحيث عرف منه الفاعل والمفعول والحروف ، والظاهر والمضمر ، والعطف والنعت والتعجب والاستفهام : حتى باب ان ، ماخلا « لكن » التي عرضها أبو الاسود كما يقول أبو البركات ابن الانباري (٥٧٧هـ) على الامام علي ، فأمره بضمها اليهن حتى كان يقول : « كلما عملت باباً من أبواب النحو عرضت عليه الى أن حصلت مافيه الكفاية » . فقال له الامام علي (رض) : « ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت ، فلذلك سمي النحو »[٢٧] .

بل لعلنا نعجب حين نرى نقض هذا الكلام كله عن أبي الأسـود

نفسه حين روى أنه جاء الى زياد يستأذنه في وضع كتاب في النحو فينهاه زياد(×) .

وفي مواضع أخرى من كتب الروايات أن زياداً طلب اليه أن يضع العربية . وان أبا الاسود جاء الى ابن عباس يخبره بأنه سيضع للناس شيئاً يقومون به لسانهم ، فيقول له ابن عباس : « لعلك تريد النحو » ، ثم من الاخبار ما يقف في وضع النحو على أبي الاسود وحده دون تأثر بأحد ، فينقل القفطي : « أن أبا الاسود هو أول من استنبط النحو واخرجه من العدم الى الوجود ، وأنه رأى بخطه ما استخرجه ولم يعزه الى أحد قبله » . ولعل ذلك هو الحق لما رووا مما كان منه مع ابنته التي تعجبت من السماء فأخطأت، فدفعه ذلك الى مافعل ، ولم يكن عمله شيئا كاملا ، ولكنه بداية تحتاج الى أمد طويل لتنضج وتتكامل .

وإلا فلست أدري ما بقي من موضوعات النحو التي اوجدها عنبسة وميمون والخليل وأبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر ويونس والكسائي وسيبويه والفراء ، وابن أبي أسحاق وابن هرمز وابن يعمر وغيرهم ، ممن كانوا يوصفون بأنهم أول من وضع العربية أو بأول من فرع وقاس ، وتكلم بالعربية ؟ بعد الذي وضعه أبو الاسود من نحو لم يصل الينا منه شيء ، في كتاب أو في كتب أئمة النحو في الأقل .

ان الحكايات التي ترويها كتب الاخبار والتراجم عن قصة وضع النحو ، وربطها بمسألة تفشي اللحن والعجمة : هي مجرد أقوال وضعت لتضع من تريد من الناس في مكان الصدارة والامامة ، ولتمنح الفضائل هؤلاء الرجال دون أولئك ، وهي أقوال لما تثبت ــ بعدُ ــ لأننا لم نر لها صدى فيما وصل الينا من كتب اللغة والنحو حتى ان نسبة كتابين

لعيسى بن عمر في النحو (الكامل والجامع)[٢٨] . كما سنعرض لخبرهما في حديثنا عن كتاب سيبويه لم تكن الا خبرا من الاخبار فوضعوا فيهما على لسان الخليل :

ذهب النحو جميعا كله — غير ما ألف عيسى بنُ عمر
ذاك (اكمال) وهذا (جامع) — فهما للناس شمس وقمر

ونقلوا عن المبرد أنه قال : « قرأت أوراقا من أحد كتابي عيسى بن عمر فكان كالاشارة الى الاصول »[٢٩] فاذا كان عيسى (١٤٩هـ) قد ألف هذين الكتابين : المختصر والمبسوط ، فلم لَمْ ينقل منه المبرد نفسه في كتبه ، وقد قرأ من أحدهما أوراقا ، ولمَ لمْ يشرْ سيبويه في الكتاب الى أحدهما ناقلا منه ، واكتفى بالرواية في بضعة مواضع عن عيسى لشيء من آرائه في النحو .

أليس في ذلك كله ما يجعلنا نقف متحذرين مما يروى من أخبار في هذا المضمار الشائك ؟ .

أننا نذهب الى ان الحرص العلمي والديني ، وتوجه الأمة الى تنظيم حياتها وأدبها وعلومها ، كان الدافع الذاتي الى ايجاد الوسائل والسبل لحفظ تراثها وتنظيمه ، وتقديمه الى الاجيال التي جاءت بعد ، تراثا حضاريا ، وثقافيا وعلميا مدونا مدروسا ، ومكشوفا عن جوانبه الغامضة التي تحتاج الى الكشف والتبين والتوضيح ، وخصوصا أن الامة كانت في توسع وأنتشار سريع في انحاء الارض وفي شعوب غير عربية ، هي احوج ما تكون الى التيسير والتبسيط والتحليل ، بل الى فهم القواعد والأصول والعلل والاسباب ، ثم الى فهم حقيقة هذه اللغة التي نزل بها القرآن وروى حديث رسول الله (ص) ونقل بها التراث الشعري والنثر

العربي ومعرفة دلالات الفاظها ، وأسس بلاغتها وفصاحتها[٤٠] • ومن هنا كانت الدراسات اللغوية تتجه الى مناهج وأساليب مختلفة وموضوعات متعددة • وكان الدارسون يختلفون ايضا ، تبعا لاختلاف توجههم الثقافي وتخصصهم بالعلم الذي يرغبون فيه أو يجدون فيه خدمة للعربية والدين • فكانت هناك :

أ ـ دراسات تحليلية واستقرائية تضع الاصول وتستنبط القواعد والقوانين بعد دراسة النصوص العربية الاصيلة كالدراسات النحوية والصرفية والبلاغية في البصرة والكوفة وبغداد ، مثل كتاب سيبويه (١٨٠هـ) ومقدمة في النحو لخلف الاحمر (١٨٠هـ) وكتب الكسائي (١٨٩هـ) والرؤاسي (١٨٠هـ) والفراء (٢٠٧هـ) والاخفش (٢١٥هـ) وغيرهم في النحو •

ب ـ دراسات لغوية صرفة تعنى بدلالة الالفاظ وتنظيمها ، على وفق منهج معين وتبين كيفية استعمالها في كلام العرب ، وما آلت اليه من معنى أو دلالة جديدة وهذه الدراسات على نوعين : (١) المعجمات العامة ككتاب العين للخليل وكتاب الحروف المسمى بالجيم للشيباني (٢٠٦ هـ) وغيرهما • (٢) كتب اللغة الخاصة وهي التي وضعت على شكل رسائل صغيرة في نوع من أنواع اللغة ككتب الحيوان والنبات والشجر والانواء والسلاح والابل والخيل وما أشبه هذه الكتب وقد ألف فيها الاصمعي (٢١٥ هـ) وأبو زيد (٢١٠ هـ) وابو عبيدة (٢١٣ هـ) ومؤرج بن عمرو السدوسي (١٩٥ هـ) وغيرهم •

ج ـ كتب في الظواهر اللغوية كالاضداد والمشترك والنوادر والغريب والمترادف والشجر وغيرها وقد ألف فيها جملة من العلماء

المتقدمين من أمثال قطرب (٢٠٣ هـ) والنضر بن شميل (٢٠٤ هـ) وأبي زيد (٢١٠ هـ) والكسائي ومؤرج (١٩٥ هـ) والاصمعي (٢١٥ هـ) وغيرهم •

د ــ دراسات في فقه اللغة وعلومها واصواتها وما يحصل لها من تغيرات • وتعد دراسة الخليل في مقدمة العين دراسة رائدة في هذا المضمار ، وذكرت كتب للأخفش (٢١٥ هـ) ولمحمد بن المستنير ابي علي قطرب النحوي (٢٠٣ هـ) باسم (الاصوات) ايضا[٣١] ، وهي لاتتعدى هذا المضمار ، وتعد كتب (الاشتقاق) و (المقصور والممدود) و (المنقوص) و (الابدال) و (الاعلال) وكتب (العلل) و (المذكر والمؤنث) ، و (اللهجات) في اللغة العربية وغيرها وكتب (المعرب والدخيل) ، مما له صلة بموضوعات فقه اللغة وعلومها •

هـ ــ دراسات في تقويم اللسان والتنبيه على اللحن والغلط والسهو وتعد كتب لحن العامة للكسائي (١٨٩ هـ) وابن السكيت (٢٤٤ هـ) والسجستاني (٢٥٥ هـ) وغيرهم من هذا الباب ولقد وصل الينا كثير من هذه الكتب كما وصل الينا نسخة من كتاب لحن العامة تنسب الى الكسائي ، وقد طبعت غير أن" يوهان فك شك في صحة نسبتها اليه[٣٢] •

و ــ دراسات في التفسير والبحث عن المعاني ، ككتب التفسير القرآني ، وكتب معاني القرآن وتأويله ومعاني الشعر والحديث ، كمعاني القرآن للأخفش ، والفراء (٢٠٧ هـ) وغيرهما •

ز ــ أما الكتب الاخرى فقد كانت في الأدب عامة ، ككتب الاخبار والدواوين الشعرية وكتب الامثال ، وأيام العرب ، ومفاخرهم وتاريخهم ، وكتب طبقات الرجال • ويقل فيها اهتمام العلماء بالجانب اللغوي منها •

اننا ــ هنا ــ لم نشر الا الى الكتب التي لها علاقة باللغة ودراساتها وآدابها ، أما سائر الكتب المصنفة في العلوم وفروع المعرفة فليس هذا محلهـا .

---

(١) طبقات الزبيدي : ص٢ .
(٢) نفسه : ص٣ .
(٣) نفسه : ص٤ وكذلك : نور القبس : ٢
(١٤) انباه الرواة : ١/١٦ .
(٤) نور القبس .
(٥) نفسه : انظر : ص٢ وص٣ .
(٦) تفسير الطبري ١٧/١٢٩ .
(٧) الصحاح ومدارس المعجمات : عطار : ٣٨ .
(٨) تفسير الطبري/ص١٧/١٢٩ .
(٩) حياة اللغة العربية : ٧٠
(١٠) مصادر الشعر الجاهلي : ٣٨ .
(١) كشف الظنون ١/٧١٢ .
(١٢) طبقات الزبيدي : ١٩ .
(١٣) تاريخ القرآن : ص٧٠ ، والمصاحف : ٤/١٤١ والمحكم : ٥ـ٧ .
(١٤) نور القبس : ٤ـ٥ و٢٣ ومفتاح السعادة : ١/٨١ والكشف ١/٧١٢
(١٥) المحكم في نقط المصاحف : ١١ .
(١٦) طبقات الزبيدي : ١٣ وانباه الرواة ١/١٤ .
(١٧) نور القبس : ٤ـ٥ .
(١٨) نفسه : ٢١ .
(١٩) نفسه : ٢٣ .
(٢٠) مراتب النحويين : ١٢ والنور : ٢٤ .
(٢١) المراتب : ١٣ .
(٢٢) ارشاد الاريب : ١/٣٥ .
(٢٣) انظر المصون : ١١٨ والزبيدي : ١٣ .
(٢٤) نفسه : ١١٨ .
(٢٥) المراتب : ٦ والزبيدي ص١٣ .

(٢٦) طبقات الزبيدي : ١٣ ٠
(٢٧) نزهة الالباء : ٢-٣ ٠
(٢٨) المراتب : ٢٣ ويسمى : الاكمال ٠
(×) الانباه : ١٥/١ ٠
(٢٩) نفسه وانظر الفهرست (ط القاهرة) : ٧٦ والأنباه ٣٤٧/٢ ٠
(٣٠) هذا هو الرأي الامثل - رعاك الله ٠ ولي ملحوظة أود أن أقولها وهي فى امرين : الاول : تقدم اللغة السريانية التي وعت الحضارة اليونانية فى هذه البقعة ٠ والثانى : نضج اللغة اليونانية ، وتأثر العـــرب بتقعيدها اذ أن قضية الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والفعل بأزمنته الثلاثة قضية فلسفية ٠ والعرب لم يكن لهم بها علم من قبل ٠ (المقدم) الواقع أن مسألة التقليد التي يشير اليها الدكتور شلق فيها نظر ، ذلك أن الدراسات العربية اللغوية كانت ذاتية صرفة والتأثر بالمنطق اليوناني أو الروماني جاء متأخرا ٠ (المؤلف)
(٣١) النزهة : ٦١
(٣٢) العربية ٨٩-٩٠ ٠

المبحث الثاني

الكتاب اللغوي بين التقليد والابتكار

حين وقع كتاب العين ، بين يدي الدارسين المحدثين كثرت الأقاويل حول أصالة هذا الكتاب في منهجه ـ فضلا عن أقاويل القدماء في تحقيق شخصية مؤلفه ـ .

وكان من جملة ما قيل أن منهج الخليـل في ترتيب حروفه على المخارج لم يكن بدعا ، وانما تقليـد لترتيب الحروف السنسكريتية القديمة على المخارج[1] . وقيل : ان العرب لم يضعوا معجماتهم اللغوية ـ العامة والخاصة ـ الا مؤخرا وذلك بعد النهضـة التي حصلت للمجتمع في ظل الاسلام ، في العصر العباسي ، وما بعده ، لانهم كانوا مسبوقين بالمعجمات الصينية واليابانية واليونانية القديمة .

والذي ينعم النظر في مثل هذه الاخبـار ، والاحكام يجـد أن الاشتطاط فيها من قبيل التعصب الذي يقود الى اضاعة الحق ، ومعرفة الصواب .

فان مجرد معرفة الاسباب التي دفعت الى التأليف اللغوي، والدوافع الى وضع المعجم ، وحدود النحو والصرف والبلاغة ، يكشف لنا عن حقيقة مهمة في تاريخ العربية ، هي أن الأمة ـ بكاملها ـ كانت تتفاعل تفاعلا ذاتياً ـ مع تراثها المعرفي ، واللغـوي الـذي انتقل اليها من الجزيرة العربية ، الى مواطن الحضارة الجديدة ، ولابد للأمة في مثـل

هذه الظروف ، وهذه النقلة من حيـاة الى حياة أخرى ، أن تتقنن وتنتظم وتضع كل شيء في نصابه ، لانها كما سبق أن أشرنا ، أصبحت في ظل الحكم الجديد ، والواقع المحدث بحاجة الى التنظيم والدقة ، في كل نواحي الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، أما العوامل الاخرى التي دفعت الى أستكثار الدراسات في اللغة وقوانينها فتدخل ــ بعدئذ ــ في دفع الدراسات اللغوية ــ عاملاً مساعداً ــ الى التخصصات والتنوع ، والاكثار • فحين رأى علماء اللغة أن الواجب يقتضي أن يستكثروا من وضـــع كتب الحدود والاحكام ، لكثرة اختلاط الألسن ، ودخول الغريب وتفشي العامية والعجمة • مما أدى الى زيادة التخوف على اللغة وأصولها ، وفصاحتهـا • أتسعت حركة التأليف ونشطت في الجوانب التي أثارت المخاوف في النفوس •

بهذا المنظور نستطيع أن نفهم أتساع حركة التأليف اللغوي في القرن الثاني الهجري ، وشمولها فروعا متعددة من الدراسات التحليلية والاحصائية ، والنقدية ، والاستدراكية ، وتناميها بشكل أوضح عبر القرن الثالث الهجري ثم القرون التي تلت ، حتى أصبحت ذات قواعد ومناهج متمايزة ، تعطي سمات متغايرة من دراسة لأخرى •

والذي يمكن أن تتلمّسه من هذه الدراسات اللغوية ــ بأنواعها وفروعها ــ أنها كانت تسير على وفق تيارين واضحين يمثلان مدرستين كبريين ، هما التيار البصري المتميز بالتحليل والمنطق والقياس ، والتيار الكوفي المتميز بالرواية والسماع والأعتماد على النصوص المنقولة من أفواه الأعراب غالبا ، في تقرير الأحكام • والمقولات التي تنسـب الى الفراء والكسائي وثعلب في إقرارهم اللغة المسموعة من عربي أو بدوي

والأخذ بها كثيرة مبثوثة في تضاعيف كتب اللغة والأخبار ، والأدب ، كمثل قولهم : « هكذا سمعت من العرب » أو « هكذا سمعنا رواية البيت » أو « هكذا قالت العرب » .

والنظر في منهجي المدرستين — كل مجموعة على حدة — أو في مناهج أفراد المدرستين — كل واحد منهم على حدة — يطلع الباحث على حقيقة علمية مهمة ، هي أن شخصية كلّ مجموعة قد تميزت بصفات معروفة محدودة ، وان هذه الصفات هي من خلق الواقع العلمي الذي كانت تعيشه الجماعة اللغوية في هذا المركز أو ذاك ، ولئن كان المنهج البصري متأثرا بعض الشيء بالمنطق والفلسفة في تحليل اللغة ، والكشف عن أصولها ، إن هذا التأثر لايتعدى عقل النحوي — أو اللغوي — الذي يستفيد منه في تحليل نصوص اللغة ، لينفذ به الى معرفة الأحكام والقواعد التي وبطت بين أجزاء هذه اللغة ، وهذا التأثر — والتأثير — لم يغير من واقع اللغة ، ولا أصولها ، لانهم يسمعون نصوصها من الأعراب ، فيستخدمون عقولهم لتحليلها والنفاذ الى القواعد والأحكام ، ومعرفة القوانين الكلية العامة التي تنظمها .

ومن هنا فان وجود الدراسات النحوية واللغوية عند العرب لم يكن أثراً بين آثار امتزاج العقليات وتأثير الفلسفات ، والمنطق الآرسطي كما يذهب بعض الباحثين في هذا المضمار ، وانما جاءت هذه الفلسفات عاملا مساعداً على الكشف عن حقائق هذه اللغة ومعرفة الأصول والفروع فيها ، اذا قبلنا القول بتأثير الفلسفة على مناهج الدارسين واللغويين في تاريخ علوم اللغة العربية .

هذا ما يقال بالنظر الى مدرسة البصرة ، واما مدرسة الكوفة ، فقد

كانت بعيدة عن أمثال هذه التيارات ، وكان على اللغوي الكوفي أن يحصي مواد اللغة ، ويجمع نصوصها ، ويعرف القيم التعبيرية والتركيبية من بين ماتجمع لديه من النصوص دون الدخول في مضامير القياس ، وتمحلات العقل والمنطق ، وهذا المنهج أدعى الى القول بالأصالة ، وتحقق الشخصية العلمية في دراسة اللغة ، ومن هنا كان الشيء الواضح على التأليف اللغوي في الكوفة هو إتجاههم الى الجمع والرواية والسماع والإخبار ، كما نرى ذلك عند ابي عمرو الشيباني (٢١٣ هـ) وابن (٢٣١ هـ) وعند ثعلب (٢٩١ هـ) وابن الاعرابي (٢٣١ هـ) وابن السكيت (٢٤٤ هـ) وابي بكر بن الانباري (٣٢٨ هـ) وأبيه ابي محمد (٣٠٤ هـ) وغيرهم • فانهم جميعا تتميز عناياتهم بالجمع والأحصاء ، والرواية ، ككتب : المقصور والممدود والمذكر والمؤنث ، وجمع الدواوين والاشعار وأخبار العرب ، والنوادر ، والغريب ، ورسائل اللغة الخاصة بأنواعها وظواهرها كالشجر والخيل والنبات ، والانواء والجيوان والأبل •• وغيرها ، ولم تبد العناية واضحة بالدراسات التحليلية للغة الا عند الكسائي والفراء ، فضلا عن اشتغالهما بالجمع والاحصاء اللغوي — أيضا — مشاركة لسائر علماء اللغة الكوفيين فقد روي للكسائي كتاب في (النحو) وللفراء كتاب آخر ، ولهما كتب في المعاني والقراءات، جمعت بين التحليل والجمع •

في حين لو رجعنا الى جمهرة علماء البصرة لرأيناهم — جميعا — قد أشتغلوا بكل فروع اللغة ودراساتها[٢] ، فالخليل (١٧٧ هـ) وعيسى (١٨٠ هـ) ويونس (١٨٠ هـ) وسيبويه (١٨٠ هـ) والاخفش (٢١٥ هـ) والجرمي (٢٢١ هـ) والمازني (٢٤٩ هـ) والسجستاني (٢٥٠ هـ) وأبو

زيد (٢١٥هـ) وأبو عبيدة (٢١٣ هـ) والاصمعي (٢١٦ هـ) والرياشي (٢٥٧ هـ) واليزيديون[٣] . وعلى رأسهم أبوهم أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (٢٠٢ هـ) وقطرب (٢٠٤ هـ) والنضر بن شميل (٢٠٤هـ) والمبرد (٢٨٥ هـ)[٤] وغيرهم ، ألفوا في النحو كتبا ذكرت لهم في تضاعيف كتب الأدب والاخبار ، كما ألفوا في سائر علوم اللغة ، وفروعها ، وفي المعجمات ، والجمع لنصوصها ، ونوادرها ، يزيد بعضهم على بعض في فن من فنونها ، ويقصر في آخر . ففي حين نرى أبا زيد يؤلف في النحو نجد له كتاباً في النوادر ، وفي حين نجد أبا عبيدة يغلب عليه علم اللغة ويهتم بالجمع والاحصاء ، يؤلف في المجاز والبلاغة . والمعاني والأخبار ، وفي حين نجد الاصمعي يعنى بالاخبار والأدب وسائر فروع اللغة نجد سيبويه يقف همه على النحو ـ وحده ـ والخليل يؤلف في العروض والقوافي والمعجمات ، والالحان والموسيقى، والنحو .. وهكذا الحال بالنسبة للآخرين ممن اهتموا بالنحو والقراءات كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب ، ومن في طبقتهم .

ان هذه الدراسات المتنوعة عكست للدارس مدى الاهتمام الذاتي الذي كان يتمتع به علماء اللغة للحفاظ على تراثهم اللغوي واحتضانه زاداً ثراً لأبناء الأمة من بعدهم ، ولئن كانت المدرسة الواحدة تفرض علينا قبول ظاهرة تقليد المتأخر للمتقدم في منهجه ، وأسلوب تعامله مع النص اللغوي إن ذلك أمر لايمكن تجاهله ، لأن من العادة أن يكون للمدرسة منهج عام يلتزم به كل المنضوين تحت لوائها ، كما لايمكن للناقد الذي ينضوي تحت لواء المدرسة الرمزية أو الواقعية او غيرهما ،

أن يتخلى عن مبادىء المدرسة العامة حين يكتب في الأدب أو يتعامل مع نص أدبي ، ولكن ذلك لايمنع من أن يكون لكل ناقد من هذه المدرسة أو تلك شخصيته ، وأسلوبه الخاص في أعطاء رأيه ، والتعبير عن ذوقه ، وهذا ينطبق على علماء النحو العربي كذلك ، فان النحويّ البصري – على الرغم من بصريته والتزامه بالمنهج العام للمدرسة – قد يخرج بآراء يخالف فيها جماعته بل يشذ عنهم ، معبراً عن شخصيته ، ومذهبه المتميز ، غير مأخوذ بالتقليد والحكاية لمذهب جماعته ، يذهب جمهور النحويين الى أن (الرجل) في مثل : « يا ايها الرجلُ » لايجوز فيه إلا الرفع فيأبى المازني (٢٤٩ هـ) الالتزام بهذا المذهب العام ، ويشذ عنهم بجواز نصب (الرجل) ، لأن القياس – عنده – على مثل (يازيد الظريف) – بنصب الظريف ورفعه – هو المنطق المقبول ، وهو مذهب رفضه الجمهور ، وذهب الى أبعد من ذلك بجواز قراءة : (قل يا ايها الكافرون) بنصب (الكافرين)(٥) .

بل تعدّوا ذلك – في التعبير الأصيل عن شخصياتهم – أنهم خالفوا أئمتهم ، وردّوا بكتب ورسائل يفندون بها آراء من سبقوا ، فهذا المبرد (٢٨٥ هـ) يضع كتابا في الرد على سيبويه(٦) . وكتب الردود والتعليقات والحواشي والنقد الكثيرة عبر قرون التأليف اللغوي تمثل – بصدق – الأصالة العلمية التي يتمتع بها علماء اللغة العربية ، بعيدين عن التقليد الأعمى والجمود .

ان اختلاف أئمة النحو واللغة في آرائهم ومذاهبهم وخروجهم في أحيان كثيرة على ما تألفه الجماعة من آراء في أطار المدرسة ، وتنوع مناحي التأويل ، والتفسير للتراكيب والأبنية . كل ذلك يعكس صورة

نقية عن رفض التقليد ، ومجانبة الجمود ، وانتهاج طريقة سليمة ، وسياسة صحيحة للتعبير عن الفكر الأصيل والذوق الرفيع ، والمنطق الصواب .

لقد أثبتت لنا مناهج المعجمين المختلفة المتنوعة صدق مقولتنا هذه، اذ نحن واجدون من يجعل ترتيب أبواب مواده على مخارج الحروف ، ويلتزم بطريقة الثنائي والثلاثي وما فوق الثلاثي في تقلبات المواد كالخليل والأزهري (٣٧٠ هـ) وابن سيده (٤٥٨ هـ) وغيرهم .

وواجدون ــ معهم ــ من يلتزم بالترتيب الألفبائي مع الأخذ بالثنائي والثلاثي وما فوق الثلاثي ، كابن دريد (٣٢١ هـ) في الجمهرة . وواجدون الى جانبهم من يلتزم (بالألفباء) ولكن بطريقة جديدة فذة في ترتيب مواده وأبوابه وفصوله ، بحيث تجعل قافية المادة باباً وصدرها فصلاً ، كالفارابي (٣٥١ هـ) في ديوان الأدب ، والجوهري (٣٩٨ هـ) في الصحاح ، أو يلتزم بالألفباء ، وبطريقة أخرى يخالف فيها الفارابي والجوهري واضرابهما فيرتب كتابه ملتزماً بالحرف الأول فالثاني فالثالث ، كما في (أساس البلاغة) للزمخشري (٥٣٩ هـ) و (المصباح المنير) للفيومي (٧٧٠ هـ) أو يجعل الالتزام (بالألفباء) أصلاً ثم يراعي فيما بعد الحرف الأول ما يليه في الترتيب الألفبائي ثم ما يليه وهكذا كما هي طريقة ابن فارس (٣٩٥هـ) في (معجم مقاييس اللغة) و (مجمل اللغة). وهذه الطرائق جميعاً تحتاج الى تفسير وايضاح كثير ، ولكننا لسنا ــ هنا ــ بسبيل ذلك ، لأن غايتنا هي تصوير مناهج المؤلفين اللغويين المختلفة معبرين عن شخصياتهم ، ومتميزين بقابلياتهم ، واتجاهاتهم العلمية المتنوعة ، التي لايشك الباحث في أنها كانت اتجاهات تعبر عن

مذاهب خاصة ، تتصف بالأبداع والقدرة على الابتكار والانتاج .

---

(١) ينظر في هذا ماكتبه عطار في الصحاح ومدارس المعجمات . ومادة (خليل) فى دائرة المعارف الاسلامية .

(٢) المزهر ٢/٤٠٨ .

(٣) بغية الوعاة : ٣٧٣ . وانظر معجم الادباء : ٧/١٠٨ .

(٤) مراتب النحويين : ٨٣ .

(٥) انظر : الجمل للزجاجي : ١٦١ وشرح المفصل : ٢/٣ ، ٤٠ والتسهيل ١٨١ وهمع الهوامع : ١/١٧٥ وانظر تفصيلا لذلك في كتاب (أبو عثمان المازني) : ٢٠٥-٢٠٧ .

(٦) مراتب النحويين : ٨٣ وطبقات الزبيدي : ١١٩ .

الفصل الثاني

المدخل الى المشكلة مع كتاب سيبويه

أن اوائل الكتب التي وصلت الينا ـ اليوم وتداولها الدارسون بالبحث والاستفادة ، واتخاذها مصادر دراسية أولى في البحث اللغوي المعاصر ، هي رسائل اللغة ـ والمعجمات ، وكتب الدراسات النحوية وعلى رأسها كتاب : (سيبويه) الذي عده العلماء في عصره[1] : قرآن النحو .

ونظرة متأملة فاحصة في ما دار حول هذه الكتب الاولى التي وصلت الينا ، نجد أخبارا متضاربة ، وأقوالا مختلفة ، تحمل في داخلها شكوكا في نسبة هذا الكتاب الى فلان ، وتأكيد نسبة ذاك الى فلان آخر أو نفسه ، وهذه بين ايدينا كتب منها في المعجم العربي ، كالعين للخليل ، والجيم للشيباني ، ومنها في غريب اللغة ونوادرها ، والصفات والاسماء ، وأنواعها ، ككتاب النوادر المنسوب للانصاري ابي زيد : (ت٢١٤هـ) وكتاب الحروف المنسوب للخليل ، وآخر منسوب للنضر بن شميل (٢٠٣ هـ)[2] ومنها في الدراسات النحوية والصرفية ككتاب سيبويه[3] أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر البصري (١٨٠ هـ) وكتابي عيسى بن عمر الجامع والكامل .

ولما كنا نريد هنا ـ أن نعنى بالبحث في ما دار من مشكلات حول الكتاب اللغوي في القرن الثاني الهجري ، فسنهمل الحديث عن الكتب التي ولدت في القرن الثالث الهجري ، غير مهملين أن نشير الى ما دار من

مشكلات حول بضعة كتب ، عاشت في عصر كتاب سيبويه أو الجيم أو العين .

اما كتاب سيبويه ، فهو في مطلع هـذه الكتب التي كثر التقول حولها ، فقد حظي بادعاءات وأقوال ، كادت تطمس على حقيقة هـذا المؤلف الكبير ، وان تشوه شيئا كثيرا من سمعته العلمية التي نالها خلال هذه القرون الطوال ، حتى وصل الينا معروفا باسم مؤلفه : أبي بشر سيبويه .

ولسنا نرى حاجة ــ هنا ــ الى ان نخصص بحثا في حياته ، فقد استوفاها الاستاذ علي النجدي ناصف ، والدكتورة الحديثي ، والدكتور ابو جناح ، وغيرهم فيما ألفوا حول الكتاب وصاحبه .

أما الكتاب فقد وضح التناقض الشديد فيما قيل حوله ، فقد بلغوا في مدحه مبلغا عظيما ، ونال منه آخرون نيلا خسيسا ، فادعوا عليه ما أدعوا ، ليحطوا من قيمته .

فمن المزاعم الخطيرة التي روّجها حوله ثعلب أحمد بن يحيى أبو العباس الكوفي (٢٠٠ــ٢٩١هـ) انه قد توفر على صنعة هذا الكتاب اثنان واربعون شخصا ، فقد نقل ابن النديم[٤] : « قرأت بخط أبي العباس ثعلب : اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان واربعون انسانا ، منهم سيبويه ، والاصول والمسائل للخليل » ونقل هذا التقول الخطير عنه أئمة المترجمين ، كالقفطي وغيره[٥] .

وهو تقوّل يجرد سيبويه من أية فضيلة يمت بها الى الكتاب ، ويبدو أن القفطي (٦٤٦ هـ) كان يرى شيئا من ذلك في عمل الكتاب ، فقد أشار من طرف خفي الى نسبة الكتاب الى سيبويه ، ولم يصرح بأنه

له ، فقد وردت عبارته مهزوزة ، فيهـا شيء من التناقض ، حين قال : «وعمل كتابه المنسوب اليه في النحو» . فقوله: (وعمِلَ كتابه) تصريح بانه له ، فلا حاجة أن يقول بعدها : (المنسوب اليه) لانها عبارة تحمل شيئا من التشكيك ، ولو كان خفيفا .

ويضيف القفطي خبرا آخر لايقل خطورة عن سابقه ، يعضد به شكه ، ذلك أن سيبويه قد عمل كتابه على نهج كتاب الجامع لعيسى بن عمر ، عمله على الخليل بن احمد ، ويروى في هذه العملية قصة جميلة ، مدّعيا انها وقعت بين الخليل وسيبويه ، ويصدرها بقوله : « وقد قيل انه أخذ كتاب عيسى بن عمر المسمى (بالجامع) ، وبسطه ، وحشّى عليه من كلام الخليل وغيره ، وأنه كان كتابه الـذي اشـتغل به على الخليل ـ فلما استكمل بالبحث والتحشية نسب اليه » ، وأراد القفطي أن يقوي هذا الادعاء ، فقال : ويستدل القائل بهذه المقالة بما نقل أن سيبويه لما فارق عيسى بن عمر ، ولازم الخليل سأله الخليل عن مصنفات عيسى بن عمر ، فقال له سيبويه : قد صنف نيفا وسبعين مصنفا في النحو، وأن بعض أهل اليسار جمعها ، وأتت عليها عنده آفة ، فذهبت بهـا ، ولم يبق منها في الوجود سوى تصنيفين : احدهما الكامل ، وهو بأرض فارس عند فلان ، والجامع : وهو هذا الكتاب الذي اشتغل فيه عليك، واسألك عن غوامضه ، فأطرق الخليل ساعة ثم رفع رأسه ، وقال : رحم الله عيسى ـ ثم أنشد ارتجالا :

ذهب النحـو جميعـا كله ... غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك اكمال وهـذا جامـع ... فهما للناس شمس وقمـر

فأشار الى (الاكمال) بالاشـارة[٦] الى الغائب في قوله : (ذاك)

وأشار الى (الجامع) بالاشارة الى الحاضر ، بقوله : (هذا)(٧) .

هكذا روى القفطي القصة محبوكة ، جيدة النسج ، منسجمة المضمون ، ولكنها لم تنسجم مع الواقع الذي نقله الرواة ، وتحدثت عنه كتب التراجم الاخرى وفهرسات الكتب . فلم يحظ ابن النديم بمثل هذه القصة ، ولو حظي لحشرها في ما دار حول الكتاب من أقوال ، كما نقل عن ثعلب قوله السابق . وحشره الى جانب صفات الكتاب واخباره . ولم تقع احداث هذه القصة لصاحب مواتب النحويين (٣٥٢ هـ) ولا للسيرافي في اخباره (٣٦٨ هـ) ولا لابي بكر الزبيدي (٣٧٩ هـ) ولا لصاحب النزهة (٥٧٧ هـ) ولا لياقوت المنقب النقار ، الباحث عن الاخبار في كتب المتقدمين (٦٢٦ هـ) ولكنها وقعت للقفطي (٦٤٦ هـ) ، ولم يحظ بها ابن خلكان بعدهم (٦٨١ هـ) مع ما لابن خلكان من ولع بالاخبار الطريفة الغريبة .

لقد حبكت أجزاء القصة ، لتجيء منسجمة مع البيتين المنسوبين للخليل ، وهما منسوبان لغير الخليل في أكثر من مصدر — ولكن القفطي ، لم ينسب هذه القصة لراوية معين ، بل أكتفى بقوله : (وقد قيل) ، ثم نسي أن يذكر شخصا معينا بقي عنده كتاب (الكامل) ببلاد فارس ، فأكتفى بقوله : (عند فلان) . وفات القفطي(٨) .

أ — ان تلامذة سيبويه — ان وجد له تلامذة — كالاخفش الاوسط (٢١٥ هـ) لم يذكروا شيئا من هذا القبيل حول الكتاب بل رووه عن سيبويه ، ووقفوه عليه ، ولو عثر الكوفيون على واحد منهم لنسبوه .

ب — ان كون كتب عيسى بن عمر قد بلغت نيفا وسبعين كتابا وقد أتت عليها آفة ، فذهبت ولم يبق منها الا الكتابان مسألة ينهض في

وجهها أكثر من رفض .

الاول : ان الموضوعات كانت واحدة في هذه الكتب ، فهي جميعا في النحو ، فهي ــ اذن ــ قد سبقت الى كل صغيرة وكبيرة في مسائل هذا العلم ، فماذا بقي لأئمة النحو في هذا القرن ، وكيف نوفق بين هذا القول ، والقول السابق من أن الاصول والمسائل للخليل . ثم هل كان عيسى مشتغلا بالنحو وحده ؟

الثاني : هل كان عيسى بن عمر نكرة من النكرات ، فلم يعرفه احد ، ولم ينتسخ أو يأخذ عنه كتبه تلامذة العلم ، وطلبة اللغة والنحو ، مما أدى الى أن تكون كتبه كلها مفاريد ؟ ! بحيث لو ضاع منها كتاب ، تعذر أن يقع طالب علم على نسخة ثانية منه ؟

الثالث : لم يذكر المترجمون الاوائل ، والمعنيون بكتب اللغة والاخبار شيئا عن اسماء كتب عيسى ؟!

الرابع : ان ما ورد في كتاب سيبويه من آراء في اللغة والنحو تنسب لعيسى بن عمر ، لم تتعد بضعة أقوال مبثوثة في القراءات واللغة ، فاين ذهب كتاب (الجامع) في جملته ، وهل حاول سيبويه أن يطمس على حقيقة ــ ان وجدت ــ وهو المعروف بنسبة كل قول الى صاحبه في هذا الكتاب .

الخامس : انه لما يثبتْ ــ بعدُ ــ أن سيبويه قد لازم عيسى بن عمر المتوفى سنة (١٤٩ هـ) ، فالمعروف ان سيبويه اخترمته المنون شابا سنة (١٨٠ هـ) ، ولم يتعد عمره ثلاثين سنة ، وفي رواية كان له تسع وثلاثون سنة ، فلو ثبت أنه لازم عيسى وهو ابن ست سنوات أو سبع ، فليس معقولا أن يحيط بمسائل علم النحو التي توفر عليها عيسى كلها .

جـ ـ نقل المتقدمون ، كابن النديم (٣٧٧ هـ) أن كتابي عيسى بن عمر ـ ولم يذكر غيرهما له ـ قد فقدهما الناس « مذ مدة طويلة ، ولم نفع الى احد علمناه ، ولا خبر احد أنه رآهما »[٩] . وحديثه مقصور على كتابين لاغير . فأين يكون خبر وضع نيف وسبعين كتابا ، لاندري موضوعاتها ، وعنواناتها ، وضعها عيسى ؟!

أما الآفة الآكلة ، فتبدو أنها ذات خلق وانصاف ، فلم تر انصافا أو عدلا في اتلاف كتب عيسى كلهـا ، فاتلفت سبعين كتابا ، ورأفت بكتابين منها .

ولو قبلنا بقول من قال ان كتاب سيبويه ، وضعه مؤلفه على كتاب الجامع ، رفضنا أن يتوفر على صنعه اثنان وأربعون إنسانا كما زعم ثعلب، واذا أخذنا بقول ثعلب انتفى القول الاول ، فالتناقض واضح فيما سرد فيه من أخبار . أما قول ثعلب فيمكن تأويله على ان المذاهب والآراء التي جمعها سيبويه من أفواه العلماء ـ غير الخليل ـ قد بلغت هـذا العدد من العلماء ، والا فانه مرفوض ، ومحمول على أنه صورة من صور التعصب الأعمى . لأننا سبق أن اشرنا الى أن كتاب عيسى بن عمر الذي وقعت منه أوراق في يد المبرد(×) ، فقرأها ، لم يكن الا كالاشارة الى الأصول ، مع احتفاظنا بشكنا في هذا القول كذلك .

يبقى التقدير على القارىء ، ولنا أن نقول رأينا بعد قليل فيهما . أما كتاب سيبويه فننفي أن تكون له علاقة بكتاب سابق ـ أصلا ـ لانه معتمد في منهجه على النقل والرواية من أفواه العلماء الذين لازمهـم سيبويه ، وجالسهم وشافههم ، وكان الخليل اذا رآه مقبـلا للدرس والبحث ، قال له : (مرحبـا مرحبـا بزائر لايمل) ، حبـا له وأكراما

لشخصه ، وطموحه العلمي .

وحين كان كتاب سيبويه بيد الناس ، كانت عناية العلماء به قبل العامة . ففي خبر الجاحظ (٢٥٥ هـ) حين أراد ان يهدي الكتاب للزيات، وصف الجاحظ نسخته بانها « بخط الفراء ، ومقابلة الكسائي ، وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ » فوصفها ابن الزيات بانها أجل نسخة وأغربها وسرّ بها[١٠] . ومن هنا كثرت فيه أقوال الدارسين والباحثين والناقدين، وطلبة العلم ، ولا يقدح فيه : انه ورد فيه ألف وخمسون بيتا بعضها مجهول قائلها ، وبعضها معروف وغير ذلك من الاقوال[١١] .

فان هذا الكتاب الذي قد قال فيه أئمة علم النحو :

١ ــ المبرد : اذا أراد مريد ان يقرأ عليه الكتاب يقول له : ركبت البحر، تعظيما له واستصعابا لما فيه .

٢ ــ المازني :[١٢] يقول : من أراد ان يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستنجد به ، وفي رواية أخرى : فليستحي ــ أو ــ (فليستح) كما في السيرافي .

٣ ــ القاسم بن سلام : كان كتاب سيبويه الامام في النحو .

٤ ــ قال الجاحظ : « أردت الخروج الى محمد بن عبدالملك ففكرت في شيء أهديه له فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه ، فقلت له : أردت أن أهدي لك شيئا ، ففكرت فاذا كل شيء عندك ، فلم أر شيئا أحبّ اليّ منه »[١٣] . وكان يعد الكتاب من مفاخر أهل البصرة على الكوفة ، وقال فيه : « لم يكتب الناس في النحو كتابا مثله ، وجميع كتب الناس عليه عيال » .

٥ ــ وكان محمد بن عبدالملك الزيات يحتفظ في خزانته بنسخ منه .

٦ ــ وكان الفراء يحتفظ بنسخة منه ، يبعث فيما بعد في جملة ميراثه ، واشتراها الجاحظ ، فوجد أنها من مقابلة الكسائي[١٤] وهو ندّ سيبويه ومعاصره .

وزاد ياقوت : « قال : والله ما اهديت الي شيئاً أحب الي منه » .

٧ ــ وقال ابن الانباري : « كان يقال ــ بالبصرة ــ قرأ فلان : الكتاب فيعلم أنه كتاب سيبويه ، وقرىء نصف الكتاب . فلا يشك أنه كتاب سيبويه »[١٥] .

٨ ــ وقال القفطي : « هو مما لم يسبقه إليه أحد »[١٥ب] .

هذه الأقوال ليست احصائية ، ولكنها نماذج ترسم صورة عن مكان الكتاب .

فبهذا المنظار الكبير كان العلماء ينظرون الى كتاب سيبويه ، ويبدو أن هذا الكتاب قد ألفه سيبويه ، فلم يدرسه عليه الا الاخفش سعيد بن مسعدة أبو الحسن النحوي البصري (٢١٥ هـ)[١٦] ، فانه أخذ الكتاب عنه ، وكان أسن من سيبويه ، بحيث أخذ عن من أخذ عنه سيبويه ، وكان الاخفش هو « الطريق الى كتاب سيبويه » قال ابن الانباري : « لانا لم نعلم أحدا قرأه على سيبويه ، وما قرأه سيبويه على أحد »[١٧] . الا الاخفش في غير رواية ابن الانباري .

ولهذا كان الكتاب موقوفا على الاخفش في الرواية ، وكان تلامذة الاخفش كالجرمي والمازني هما طريق الاخفش الى الاجيال التي تلت كالمبرد (٢٨٥ هـ) وغيره .

وحين رواه أبو بكر بن خير ، كانت طريق روايته تمر بهما الى الاخفش فسيبويه ، والطريق هي : « حدثني به رواية عنه وقراءة عليه ،

الشيخ الاديب المسن ابو بكر محمد بن عبدالغني بن عمر بن فندله ــ رحمه الله ــ قال : حدثني به الشيخ الاستاذ ابو الحجاج سليمان بن عيسى النحوي الاعلم ، قال : حدثني به الشيخ الوزير أبو القاسم ابراهيم بن محمد بن زكريا ابن الافليلي اجازة عن أبي عبدالله محمد بن عاصم العاصمي النحوي عن أبي عبدالله محمد بن يحيى الرياحي « والرياحي من علماء القرن الرابع الهجري »(×) .

ثم يسرد طريقا ثانية فيقول : « قال أبو الحجاج : وحدثني به ــ ايضا ــ الشيخ الوزير ابو سهل يونس بن احمد الحراني ، قراءة عليه لشواهده ، وأجازة لسائره عن أبي مروان الطوطالقي عن ابي عبدالله الرياحي المذكور . قال : وقرأت جميعه على الشيخ أبي بكر مسلم بن احمد بن أفلح الاديب النحوي ، روايته عن ابي عمر احمد بن عبدالعزيز بن أبي الحباب عن ابي عبدالله الرياحي ــ ايضا ــ . وحدثني به ــ ايضا ــ الشيخ الاديب المسن أبو عبدالله محمد بن سليمان بن احمد المقري ــ رحمه الله ــ سماعا عليه لاكثره واجازة لجميعه ، ومناولة لجملته ، باشبيلية سنة ٥١٨هـ قال : حدثني به خالي الاديب ابو محمد غانم بن وليد بن عمر المخزومي ، قراءة عليه في كتابه ، وهو كتاب الاديب محمد بن خطاب الازدي ، قال : حدثني به أبو عمر يوسف بن عبدالله بن خيرون السهمي عن ابي نصر هارون بن موسى النحوي عن ابي عبدالله محمد بن يحيى الرياحي المذكور .... »(١٨) .

ثم ذكر طريقا خامسة تنتهي الى الرياحي ــ ايضا ــ وجميعها نبتدىء اخذ كتاب سيبويه من :

الرياحي عن عبدالله بن محمد بن الوليد بن ولاد التميمي ، عن

ابيه محمد بن الوليد بن ولاد ، عن ابي العباس محمد بن يزيد المبرّد عن ابي عثمان بكر بن محمد بن عثمان المازني وعن أبي عمر صالح بن اسحاق الجرمي ، كلاهما عن ابي الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش عن سيبويه »[١٩] ثم روى طريقا أخرى للرياحي عن ابي جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس ، عن أبي اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج عن ابي العباس المبرد بسنده المتقدم[٢٠] •

والطرق المتقدمة متصلة الاسناد من الرياحي الى سيبويه ، وهي طرق بصرية صرف ، انتقل منها الى مصر وشمال افريقيا عن طريق ولاد وابنه ، وابن النحاس (٣٣٩ هـ) الذين اخـذوا عن الزجاج والمبرد من علماء البصرة • ومن هناك انتقل الى الاندلس بطريق الرياحي ، ومحمد بن فتحون التّجيبي ، ممن عدّهم ابو بكر بن خير •

وذكر ابو بكر بن خـير طريقا أخـرى لانتقال الكتاب ؛ وهي ــ ايضا ــ تنتهي بالجرمي والمازني ، وكلاهما عن الاخفش قال :

« قال ابو بكر المصحفي : وحدثني به ايضا ــ ابو الحسن علي بن ابراهيم بن علي التبريزي ، ويعرف بابن الخازن ، عن ابي الحسن علي بن عيسى الربعي النحوي عن ابي سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي عن ابي بكر محمد بن علي ابن اسماعيـل ، ويعرف بمبرمان عن ابي العباس المبرد (بسنده المتقدم) •

قال ابو الحسن الربعي ، وحـدثنا ابو علي الحسن بن احمد بن عبدالغفار الفارسي النحـوي عن ابي اسحاق الزجاج عن ابي العباس المبرد بسنده المذكور •

قال ابو اسحاق الزجاج ، قال لنا ابو العباس المبرد : قرأت نحـو

ثلث الكتاب على ابي عمر الجرمي ، فتوفي ابو عمر ، فابتدأت قراءته على أبي عثمان المازني .

قال ابو عثمـــان : قرأته على أبي الحسن الاخفش عن سيبويه ، ونوفي الرباحي سنة : ٣٥٨هـ[٢١] .

مما تقدم يتضح ان جميع طـرق رواية كتاب سيبويه لم تَتَـعدَّ سعيد بن مسعدة الأخفش ، ولم يدرس الكتاب على الاخفش الا رجلان هما : المازني والجرمي ، وعنهما التوزي والمبرد والرياشي وابو ذكوان، وعسل بن ذكوان وأبو يعلى بن أبي زرعة[٢٢] ، وعن المبرد اخـــــذه الزجاج ، وعنه الفارسي ومبرمان وابن ولاد وابن السراج . وعن هذه المجموعة أخذه الربعي والسيرافي وابن النحاس وابو بكر بن شقير وابو بكر بن الخياط . ممن يخلط بين مذهبي الكوفيين والبصريين ــ كمـا يقول السيرافي ــ وابن كيسان .

ومحمد بن الحسين بن ولاد ، وعن هؤلاء أخذ جمهرة كبيرة من علماء المشرق والمغرب .

فيما مضى من دارسي الكتاب تبين ان المازني والجرمي هما اللذان اخذاه عن الاخفش عن سيبويه ، وترد اخبار كثيرة تؤكد ان السجستاني قرأ الكتاب مرتين على الاخفش[٢٣] غير ان الذي اشتهر عند الاخباريين هما الجرمي والمازني ، وسبب ذلك يعود الى انهما كانا انشط رجلين حملا الكتاب الى جمهور الدارسين ، ولقد حمل الكتاب الى الاندلس محمد بن موسى بن هاشم بن زيد المعروف بالافشنيق ، فقد رحل الى المشرق ولقي الدينوري ، وانتسخ عنه نسخة ، واخذه عنه رواية ، كما اخذه عن المازني[٢٤] .

ودرس ابو علي القالي الكتاب على ابن درستويه « واستفسر جميعه »(٢٥) وحمله معه الى الاندلس ، قال هو عن نفسه : « وقرأ معي الكتاب ابو جعفر احمد بن ابي محمد ابن درستويه ــ تعليما ورواية ــ الكتاب اجمع » .

وكان الكتاب قبل هذا قد انتقل الى مصر على يد احمد بن جعفر الدينوري (٢٨٣ هـ) ، قدم البصرة ، فحمل عن المازني كتاب سيبويه ، ثم التقى بالمبرد ، فقرأ عليه الكتاب ، وانتقل به الى مصر(٢٦) .

اما ابو الحسن محمد بن الوليد بن ولاد التميمي ، فكان أخذه عن ابي علي الدينوري ، ورحل الى العراق فلقي ثعلبا والمبرد ، فحمل الكتاب عن المبرد وانتسخ منه نسخة(٢٧) . وعنه اخذه ابنه أبو القاسم بن ولاد، فكان يقرأ عليه الكتاب بعد أخيه ابي العباس احمد بن محمد بن الوليد بن محمد التميمي (٣٣٢ هـ)(٢٨) .

وفي القيروان وشمال افريقيا كان ممن حفظه ابن الوزان ابراهيم بن عثمان (٣٤٦ هـ) الذي حفظ جملة من الكتب منها كتاب العين .

اما الرباحي ، فهو محمد بن يحيى الرباحي ابو عبدالله الازدي « رحل الى المشرق من الاندلس ، فلقي ابا جعفر النحاس فحمل عنه كتاب سيبويه رواية ... وقرىء عليه كتاب سيبويه ، وأخذ عنه رواية »(×) .

ان قصة كتاب سيبويه ، وانتقاله من مكان لآخر ، كان أمرا معقولا ــ جدا ــ بعد ان عرف أنه لسيبويه ، بالطريقة التي سنعرضها بعد قليل، ولكن البعض يذهب الى ان الاخفش اخذه عن سيبويه قراءة عليه كما سبق أن أشرنا ، ويشير آخرون الى ان الكتاب لم يقرأه الاخفش عليه ،

بل قرىء بعد موت سيبويه على الاخفش ، يقول المبرد « لم يقرأ احد كتاب سيبويه عليه ، وانما قرىء بعده على ابي الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش ، وكان ممن قرأه على الاخفش صالح بن اسحق الجرمي .. قال الاخفش : كان الكسائي جاءنا الى البصـــرة وسألني أن أقرئه كتاب سيبويه ، ففعلت فوجه الي خمسين دينارا ، وكان الاخفش أسن من سيبويه ، ولم يأخذ عن الخليل »(٢٩) .

على أن هناك تعارضا مع أخبار أخرى ترد عن الاخفش أنه قـرأ كتاب سيبويه على الكسائي .

ويبدو أن الكتاب بعد الكسائي – أصبح ضالة نحوي الكوفة – على قلة ما روي من أخبار حول اعتدادهم به وعنايتهم له ، وربما كان ذلك تعصبا منهم ، فمن الاخبار حول الفراء مثلا : قال ثعلب ، في مجلسه يوما : « مات الفراء وتحت رأسه كتاب سيبويه » وحين سئل الجاحظ ماذا أهدي لمحمد بن عبدالملك الزيات ؟ فقال : « لا اعرف شيء كتاب سيبويه بخط الكسائي وعرض الفراء »(٣٠) ، وكان الجاحظ (٣٠م) يقول للكوفيين معيرا : « وسيبويه الذي اعتمدتم على كتبه وجحدتم فضله » ومع ذلك كله ، فان الكسائي ومن جاء بعده لم يكن اخذهم الكتاب الا عن الاخفش ، والاخفش وحده – ولم يدرسه احد منهم على تلاميذ سيبويه غيره ، لان الواضح أن تلاميذ سيبويه لم يعنوا بالكتاب كما عني الاخفش به ، ثم كان مشهورا بالنحو ، مكثرا فيه يقول العسكري : « من ينظر في النحو يدرس كثرة علمه ، وله كتب كثيرة »(٣١) .

فهذا قطرب (٢٠٦ هـ) كان يتردد على سيبويه ، ولم يأخذ عنـه الكتاب(٣٢) ، وهو احد من كان يقصده ليلا ونهارا .

من هذا الذي قدمناه ، تتضح مشكلة ، تكاد تضع كتاب سيبويه في وسط الشكوك التي وضع فيها : العين والجيم ، فهل درس الكتاب على سيبويه ، وهل كان الاخفش حقا قد درسه على يديه ، ورواه عنه بعد تلقفه عنه ، ولم كان الاخفش هو طريق الرواية اليه دون غيره ، ألم يكن قطرب ممن يتردد على سيبويه ، وهو الذي لقبه بقطرب تشبيها له بالدويبة ؟! ولم اخذه الكسائي من الاخفش سرا ؟

ان عظم الاخبار تقول : ان الاخفش قد لازم سيبويه وأخذ عنه ، ولكنها تضيف أنه أخذه ــ ايضا ــ عمن أخذ عن سيبويه[٣٣] ، وهذا يعني أن سنّه ، ومكانته ، واشتغاله بالاخذ والتحصيل ، وملازمته سيبويه ، جعله كل ذلك عارفا باسرار الكتاب ، متقدما في فهمه ، وكان لهذه الناحية أثر كبير في ثقافته النحوية ، ودرايته ، ومعرفته بالكتاب ودقائقه ، ولذلك وصف بانه كان : « أعلم من اخذ عن سيبويه »[٣٤] ، وكان ذلك قد أهله لان يكون الطريق الى الكتاب ومؤلفه ، دون غيره .

بل تنقل الاخبار عن الاخفش انه قال : « كان سيبويه اذا وضع شيئا من كتابه عرضه عليّ ، وهو يرى أني أعلم منه ــ وكان اعلم مني ــ وأنا اليوم اعلم منه »[٣٥] .

فاذا صدق هذا عن الاخفش فذلك يعني ان الاخفش ذو علاقة قوية بسيبويه والكتاب دون غيره من الناس ، ويعني ذلك أنه أعلم الناس بالكتاب وتأليفه ، اذ لم يرد عن أحد مثل هذا الادعاء سوى ما قاله أبو زيد[٣٦] : ان سيبويه كان يأتي مجلسه وله ذؤابتان فاذا سمعته يقول : « حدثني من ــ أثق بعربيته ــ فانما يعنيني » ، وقول أبي زيد مطلق ، في الكتاب وغيره .

والواقع أننا لانزال أمام مشكلة تبدو من أرتباط الاخفش بالكتاب دون غيره ، اذ الاخبار التي سردناها عنه تتضارب في أنه هل درسه على سيبويه أو لا ، والكثير منها ينفي صلته بسيبويه ، على ان الاخذ بالرأي القائل بدراسته عليه يوصلنا الى حقيقة وقوف الرواية عليه دون غيره .

ثم هنا تبرز مشكلة تكاد تكون أخطر من كون الكتاب مقصورا على الاخفش ، وهي : ارتياب العلماء المعاصرين له من احتفاظه بالكتاب، ومنع السبيل الى شهرته وذيوعه في الناس . والرجلان اللـذان أدركا هذه القضية وعالجاها بطريقة علميـــة ودقيقة ، هما المازني (٢٤٩ هـ) والجرمي (٢٢٩ هـ) .

وفي الخبر الذي سنرويه بعد قليل عنهما ، يبدو أن هناك أطماعا شديدة ، كانت تساور نفس الجرمي ، ونفس الاخفش في التسلط على الكتاب ، وادعائه ، فالاخفش يحتفظ بالكتـاب ، والجـرمي يتربص بالاخفش الدوائر لأشاعته ، وربما كان هو ـ ايضا ـ يرجو ان يكون المتملك للكتاب ، فتآمر الجرمي والمازني على ابراز الكتاب ، واظهـاره انه لسيبويه ، بقراءته عليه ، وحين تمت القصة باحداثها علم الناس خبر الكتاب ، ونسبته لسيبويه ، فأسقط في يد الرجلين واليك القصة ، التي يرى بعض الدارسين المحدثين بأنها موضوعة ـ ايضا ـ كما وضعت غيرها من الحكايات .

« لما توفي سيبويه قرىء الكتاب على الاخفش ، وكان ممن قرأه عليه أبو عمر الجرمي وابو عثمان المـــازني ، ويقال : ان أبا الحسن الاخفش لما رأى ان كتاب سيبويه لانظير في حسنه وصحفه ، وانه جامع لاصول النحو وفروعه استحسنه كل الاستحسان ، فيقال : ان ابا عمر

الجرمي قد هم أن يدعي الكتاب لنفسه ، فقال احدهما للآخر : كيف السبيل الى أظهار الكتاب ، ومنــع الاخفش من أدعائه ؟ فقال له : ان نقرأه عليه ، فاذا قرأنا ، عليه ، أظهرناه ، واشعنا أنه لسيبويه ، فلا يمكنه أن يدعيه . وكان أبو عمر الجرمي موسرا ، وأبو عثمان المازني معسرا ، فأرغب أبو عمر الجرمي أبا الحسن الاخفش وبذل له شيئا من المال على أن يقرئه وأبا عثمان المازني الكتاب ، فأجاب الى ذلك ، وشرعا في القراءة عليه ، واخذا الكتاب عنه ، واظهرا أنه لسيبويه ، واشاعا ذلك فلم يمكنا أبا الحسن أن يدعي الكتاب ، فكانا السبب في اظهار انه لسيبويه ، ولم يسند كتاب سيبويه اليه الا بطريق الاخفش ، فان كل الطرق مســتند فيها اليه »(٣٧) .

وأكد ابن الانباري صحة هذه القصة في مكان آخر فقال : « وكان أبو عمر رفيق ابي عثمان المازني ، وكانا هما السبب في إظهــار كتاب سيبويه »(٣٨) .

من احداث هذه الحكاية ، يتبين للباحث ان كتاب سيبويه لم ينج من عملية تسليط ، كانت تدبر له ، وربما لو نجحت هذه العملية ، لكان كتاب سيبويه في عداد الكتب التي نسأل عن مؤلفها الحقيقي ، ولكن الظروف العلمية التي دفعت رجلين ، كان احدهما طامعا كذلك ، وكان الآخر راغبا في العلم ــ وهو المازني ــ أدت الى احقاق حق كان الحجاب يوشك أن ينسدل عليه الى الابد ، كما هو مسدول على جزء كبير من كتاب العين والجيم من كتب المعجمات في المئة الثانية الهجرية .

هذه مشكلة عرضنا لها بايجاز تظنه يفي بما نحن نصبو اليه من أمر هذا الكتاب .

والا" فان مواقف الآخرين تجاهه لاتخلو من شراسة وشدة بدافع التعصب عليه ، أو الغيرة والحسد ، من ذلك ما حكي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى (٢١٣ هـ) وهو بصري ، كان يسمي كتاب سيبويه بـ (كتاب الخوزي) حدث المازني قال : « كنا عند ابي عبيدة يوما ، وعنده الرياشي يسأله عن أبيات في كتاب سيبويه ، وهو يجيبه ، ثم فطن فقال : اتسألني عن أبيات في كتاب الخوزي ! لا أجيبك »[٣٩] وكان يونس يشك في ما أورد سيبويه من لغة ونحو عن الخليل ، فقيل له : لقد روى عنك ، فانظر فيه ان كان صدق في الرواية عنك ، فنظر ، فوثقه بجملته . وقيل : « نظر أبو زيد في كتاب سيبويه ، فقال : قد اكثر هذا الغلام الحكاية ، ان كان سمع ، فقلت له ـ القائل الجرمي ـ : قد روى عنك شيئا كثيرا ، فهل صدق فيه ؟ قال : نعم . قلت : فصدقه فيما روى عن غيرك »[٤٠] .

ومثل هذا ما يحكى عن عصبية الفراء الكوفي على سيبويه ، وحين وجدت نسخة من الكتاب تحت وسادته ، علل ذلك ابو موسى الحامض « بأنه كان لايفارقه لانه كان يتتبع خطأه ولكنته »[٤١] .

وكانت شدة عصبية الحامض عليه تدفعه الى القول بان[٤٢] سيبويه دجال شيطان الى غير ذلك مما يعطي صورة مشوهة مختلطة عن مكانة كتاب سيبويه في نفوس الكثيرين ممن عاشوا في عصر سيبويه وبعده ، غير ان الكتاب تحدى وثبت ، وبقيت سيرته عبر الزمن الطويل في رحلتها حتى وصل الينا كاملاً غير منقوص ، كما أراد أبو بشر مؤلفه ـ رحمه الله ـ .

(١) مراتب النحويين : ٦٥

(٢) طبع في مجموعة الكنز اللغوي .

(٣) انظر في ترجمة سيبويه : أخبار النحويين : للسيرافي : ٤٨ ، وانباه الرواة : ٢/٢٤٦ ، ووفيات الاعيان : ١/٢٨٥ ، وروضات الجيات للخوانساري : ٥٠٣ ، ومراتب النحويين : ١٠٥ (ط : ٢) والمعارف لابن قتيبة : ٢٣٧ ، ونزهة الالباء : ٣٨ ، والبغية : ٣٦٦ ، وتاريخ بغداد : ١٢/١٩٥ ، وطبقات الزبيدي : ٦٦ ، والتنبيه على حدوث التصحيف : ١٣٣ــ١٣٤ ، وابن النديم : ٥١ والكشف : ١٤٢٦ والوافي : حـ٥ م٣/ص٥٣٠ ، وممن كتب فيه جملة من الباحثين ، كالدكتور عدنان محمد سلمان ، له بحث نال به درجة الماجستير ، والدكتور حسام النعيمي كذلك ببحث نال به الماجستير .

(٤) الفهرست : ٧٦ (ط : القاهرة) .

(٥) الانباه : ٢/٣٤٧ ، والكشف في ترجمة كتاب سيبويه ، ص١٤٢٧ .

(٦) وردت اللفظة في الاصل : (الاشارة) ، وهو صحيح ايضا .

(٧) انظر : أنباه الرواة : ٢/٣٤٧ . ونقل صاحب كشف الظنون : ٢/١٤٢٧ أول هذا النص ، في موضعين قال : « روى انه أخذ كتاب الجامع لعيسى بن عمر الثقفي وبسطه وحشى عليه من كلام الخليل وغيره ، فصار كتابا كبيرا مشهورا بكتاب سيبويه » ، وانظر : ٢/٥٧٦

(٨) الانباه : ٢/٣٤٧ ــ فما بعده .

(٩) الفهرست : ٦٢ــ٦٣ .

(×) انظر فيما تقدم (بواكير الدراسات اللغوية) .

(١٠) الانباه : ٢/٣٥١ ووفيات الاعيان : ٣/٤٦٣ .

(١١) الارشاد : ٦/٨٦ .

(١٢) أقوال المازني وتلميذه المبرد في : أخبار النحويين البصريين : للسيرافي : ٣٩ــ٤٠ .

(١٣) النزهة : ٣٩ــ٤٠ ، والارشاد : ٦/٨٦ .

(١٤) الانباه : ٢/٣٥١ ، والوفيات ٣/٤٦٣ (ط : احسان) .

(١٥) النزهة : ٣٩ ، واخبار السيرافي : ٣٩ .

(١٥ب) الانباه : ٢/٣٤٧ .
(١٦) انظر : السيرافي على اخباره ٣٩ ، وطبقات الزبيدي : ٧٤ـ٧٦ .
(١٧) النزهة : ٩٢ .

(×) يقف عنده ابو بكر بن خير في الرواية ، باكثر من طريق مما يدل على ان كتاب سيبويه انتشر عنه في الاندلس عن طريق ابن ولاد وابن النحاس اللذين كانا سبباً في انتشار الكتاب ، وكتاب العين ، كما سنرى في شمال افريقيا والاندلس ، على اننا سنرى ان الكتاب ينتقل بطريق آخر غير طريق هذين الرجلين ، يذكرها ابن خير ، وهي : طريق المصحفي عن التبريزي عن الربعي أو غيره كما سيأتي .
(١٨) الفهرسة : ٣٠٥ـ٣٠٦ .
(١٩) الفهرسة : ٣٠٦ .
(٢٠) نفسه : ٣٠٦ ، وطبقات الزبيدي : ١١٩ .
(٢١) نفسه : ٣٠٧ .

(٢٢) أخبار السيرافي : ٨٠ ، والمصون : ١٢٠ .

(٢٣) أخبار السيرافي : ٧٠ ، والمصون : ١١٩ـ١٢٠ .
(٢٤) الطبقات : ٣٠٥ .
(٢٥) طبقات الزبيدي : ١٣٢ و٢٠٣ و٢٠٥ .

(٢٦) نفسه : ٢٣٤ ، والارشاد : ١/٣٨٢ .
(٢٧) نفسه : ٢٣٦ .
(٢٨) نفسه : ٢٣٨ـ٢٣٩ .

(×) طبقات الزبيدي : ٢٣٦ .
(٢٩) نور القبس : ٩٥ .
(٣٠) الارشاد ٦/٨٥ .
(٣٠أ) الانباه : ٢/٣٥١
(٣١) المصون : ١٢٠ .
(٣٢) نور القبس : ١٧٤ .
(٣٣) النزهة : ٩١ـ٩٢ .
(٣٤) نفسه : ٩٢ .

(٣٥) طبقات الزبيدي : ٦٧ ، والانباه : ٢/ ٣٥٠
(٣٦) نفسه : ٦٧ ، والمراتب : ٧٤ ، والانباه ٢/ ٣٥٠
(٣٧) النزهة ٩٢ .
(٣٨) نفسه : ٩٨ .
(٣٩) المراتب : ٧٦ .
(٤٠) نفسه : ٧٦ .
(٤١) ابن خلكان : ٨/ ٢٩١٤ والمراتب : ٨٧ .
(٤٢) المراتب : ٨٧ ـ ٨٨ .

الباب الثاني

كتاب الجيم للشيباني

الفصل الأول

بين الجيم والعين

أكبر مشكلة يواجهها الباحث في اللغة ، وتاريخها عند العلماء العرب ، وضع أول معجم لغوي يحصر مواد اللغة العربية ، ويضبط دلالاتها ، ويؤرخ لفترة لغوية معينة عاش فيها مجتمع تأرجح بين تراث لغوي أصيل يحمله علماء اللغة ورواتها بكل أمانة وصدق ، وبين جديد يطرق أبواب المجتمع العربي ، متمثلا هذا الجديد بالدخيل من اللغات غير العربية ، وبالمولد ، والمحدث ، والمزال ، والمفسد من مدلولات المواد والمفردات ، وصيغها ، وأساليبها .

هذه المشكلة وفي مثل هذه الظروف اللغوية والاجتماعية تنطلق بين علماء اللغة انفسهم في بيئة البصرة وبغداد والكوفة ، وترحل عبر آفاق العالم في القرنين الثاني والثالث الى بلاد المشرق والأندلس ، لتكون هناك حافزا يدفع العلماء الى البحث عن الحقيقة ، والكشف عن الخفايا التي تكمن وراء هذه المشكلة .

ليست هذه المشكلة قائمة في كتاب (العين) نفسه ، اذا لم تكن قبل العين بفترة من الزمن لم تعرف بعد .

والمعروف عند المؤرخين ، والاخباريين ، ان أبا عمرو اسحاق بن مرار الشيباني (٩٤ هـ ــ ٢١٣ هـ)[1] مؤلف كتاب الجيم كان من علماء

القرن الثاني للهجرة ، وكان مولده في اواخر المئـــة الاولى ، ووفاته في مطلع المئة الثالثة ، لذا كان الشيباني امام اللغة في الكوفة في المئة الثانية الهجرية ، وروى لنا الرواة انه ألف أكثر من كتاب في اللغة ، وعلى رأسها كتابه (الجيم)[٢] . فهل كان (الجيم) قبل (العين) ؟

لقد كان مولد الخليل كما هو معلوم في سنة (١٠٠هـ) وعاش طيلة القرن الثاني الهجري حتى مطلع الربع الاخير منه ، فقيل : انه توفي سنة ١٧٧هـ ، وقيل : ١٧٥هـ وقيل غير ذلك .

ولو ثبت لدينا انه توفي سنة ١٧٧هـ كان ذلك يعني ان الخليل قد وضع كتابه (العين) بعد المئة والخمسين وذلك لامور ، يدخل كثير منها في المشكلة الكبرى التي سنتناولها فيما بعد حول مؤلف العين الحقيقي ، وهذه الامور هي :

١ ــ ان تلامذة الخليل لم يعرفوا الكتاب الا عن الليث بن المظفر ، بعد فترة لم تكن في حياة الخليل[٣] .

٢ ــ ان الخليل ألف الجزء الاول من كتابه ، وهو حرف العين ، ولـــم يتمه ، فمات قبل ان ينجز سائر الحروف[٤] .

٣ ــ ان الخبر المروى عن أبي جعفـــر محمد بن أبي سارة الرؤاسي ــ ابن أخي معاذ الهراء ــ الكوفيين ، وهو ان الخليل قد «أرسل الى ــ الرؤاسي ــ يطلب كتابه » . قال الرؤاسي : « فبعثته اليـــه ، فقرأه ، ووضع كتابه »[٥] . يدل هذا الخبر ــ ان صدق ــ على ان الخليل تأخر في تأليف الكتاب ، بعد ان قرأ كتاب الرؤاسي ، على ان يكون مراد الرؤاسي (كتاب العين) نفسه ، والا فان بعض الروايات ، تقول :[٦] « ان أبا العباس احمد بن يحيى ، حكى لابن

الانباري : "أن أبا جعفر الرؤاسي عمل كتابا في النحو وسماه « الفيصل » فبعث الخليل اليه يستعيره ، فوجه به اليه ، فقال : والدليل على ان الخليل تعلم النحو من كتاب الرؤاسي ما يوجد في كتاب سيبويه من ذكره اذ يقول : قال الكوفي » .

وبهذا الخبر ينتفي كون الخليل ألف العين متأثرا بكتاب الرؤاسي ، ولكن الذي يؤكد لنا صحة وضع العين بعد كتاب الرؤاسي ، كما نقله المرزباني ، عن أبي جعفر الرؤاسي قال : «بعث الي الخليل ، فطلب كتابي ، فبعثت به اليه ووضع كتاب العين »[٧] .

٤ ـ ونضيف الى ذلك ما ذكرته المصادر حول خبر الخليل في توجيه تلميذه الليث الى وضع الكتاب على وفق المنهج الذي رسمه له ، ومات الخليل ، فأتم وضعه الليث من بعده ، ورواه بأسمه .

واليك هذه الحكاية :

« حدث ابو الحسن علي بن مهدي الكسروي[٨] قال : حدثني محمد بن منصور المعروف بالزاج المحدث ، قال : قال الليث بن المظفر بن نصر بن سيار : كنت اصير الى الخليل بن أحمد ، فقال لي ـ يوما ـ : لو أن انسانا قصد ، وألف حروف : أ ب ت ث ، على ما أمثله ، لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب ، وتهيأ له أصل لايخرج منه شيء البتة فقلت له : وكيف يكون ذلك ؟!

قال : يؤلفه على : الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، فانه ليس يعرف في كلام العرب أكثر منه[٩] . قال الليث : فجعلت استفهمه ، ويصف لي ، ولا أقف على مايصف ، فاختلفت اليه في هذا المعنى

ـ أياما ـ ثم اعتل ، وحججت ، فما زلت مشفقا عليه ، وخشيت ان يموت في علته ، فيبطل ما كان يشرحه لي ، فرجعت من الحج ، وصرت اليه ، فاذا هو قد ألف الحروف كلها على ماهي ، في الكتاب ، وكان يملي علي ما يحفظ ، وما شك فيه يقول لي : سل عنه ، فاذا صح ، فأثبته الى ان عملت الكتاب »[١٠] .

ويكاد يكون هذا الخبر هو الحق في وضع كتاب العين وفيه مطلوبنا الذي نريد ان نثبته هنا ، فالكتاب اذن متأخر في التأليف ، واحتمال قوي ان يكون قد وضع بعد الخليل على الصيغة التي وجد فيها عند تلميذه الليث بن المظفر الذي رأى ـ بدافع الحرص العلمي وحبه للخليل ، أن ينسب العمل كله للخليل ، لانه هو الواضع المؤسس لفكرة الكتاب ، كما هو مذهب ابي العباس ثعلب والزبيدي فيما بعد ، ولان الخليل ـ فعلا ـ قد أسس حروفه ولم يحشها . ومن هنا تبرز المشكلة واضحة في معرفة أي الكتابين أسبق في الوضع ، وأيهما عرف قبل صاحبه ، العين أم الجيم ؟!

فان قيل : ان العين أسبق ، وقفت الاحتمالات المذكورة والاخبار حول تأخر كتاب العين حائلا دون قبول هذا المذهب .

وان قيل : ان الجيم اسبق ، تأيد هذا القول بأن الجيم عرفه العلماء في عصر مؤلفه الشيباني ، وهو من كتبه المعتبرة الجيدة ، ورواه عنه أئمة الرواة ، واللغويون ونقلوا منه في كتبهم في اللغة .

وربما كان وضع الجيم مرتبا على (الالف باء تاء ثاء) ، وهو ترتيب النصر بن عاصم الليثي (٨٩ هـ)[١١] ، كان على ما هو مألوف عند العلماء ، فاراد الخليل ان يخالف هذا المنهج في ترتيب الحروف ـ وهو ذلك

الذكي الفطن ـ ففكر في وضعه للعين(١٢) ـ على المخارج مخالفة لعلماء عصره فيما الفوه من ترتيب ، والخبر المـــروي عن الليث ، وهو قوله ـ السابق ـ « لو أن أنسانا قصـــد وألف حروف أ ب ت ث على ما أمثله ... » يقوي مذهبنا ، ويؤكد ان الخليل ، انما قصد بالتمثيـل طريقته الجديدة التي لم يستوعبها الليث الا بعـد ان مارس كتابتها ، وتنظيمها ، الخليل نفسه الى حين رجوع الليث من الحج وأخذها عنه ، كما مر ، فالجيم ـ على ماقدمنا ـ أسبق من العين الى ان يثبت لنـــا العكس .

ومع هذا الذي طرحناه في هذا التقديم ، فان هناك مشكلات أخرى ترددت على ألسن المترجمين والاخباريين تدور حول الجيم نفسه ، لـم سمي الجيم ؟! وما علاقته بكتاب آخر بأسم الجيم لشمر بن حمدويه أبي عمرو الهروي (٢٥٥ هـ) وهل كان الكتابان يبدءان بحرف الجيم ، وهل كان احدهما يبدأ بالجيم ، والاخر بغيره ، وهل كان الكتابان كتابا واحدا أختلف الناقلون في اسم مؤلفه ؟!

هذه اسئلة تفرض نفسها ـ كما يقولون ـ وتلح في معرفة الحقيقة التي طمسها بعض الرواة في اللغة ، وأهل الاخبار .

قال تاج الدين أحمد بن مكتوم في : « تذكرته » : « سئل بعضهم لم سمي كتاب الجيم تصنيف أبي عمرو اسحاق بن مرار الشيباني بهذا الايسم ، فقال : لان أوله حرف الجيم كما سمي كتاب العين ، لان أوله حرف العين ، قال : فاستحسنا ذلك ، ثم وقفنا على نسخة من كتاب الجيم فلم نجده مبدوءاً بالجيم »(١٣) .

وهذه هي الحقيقة ، فكتاب الجيم المنسوب لابي عمرو الشيباني،

مرتب على (الالفباء) ، وانما سمي بأسم (الجيم) ـ كما يبدو ـ من دلالة لفظ (الجيم) على معنى (الديباج) وهو ثاني معنيين أورده‌ما الفيروزآبادي في القاموس[١٤] ، اولهما : (الابل المغتلمة) ، قال : « الجيم بالكسر الابل المغتلمة والديباج ، سمعته من بعض العلماء نقلا عن أبي عمرو مؤلف كتاب الجيم »[١٥] . وسنأتي على هذا بصورة مفصلة عندما نعقد فصلا كاملا في كتاب الجيم .

وفي هذا القول ما يدل على ان حكاية بداية هذا الكتاب بحرف الجيم ، غير واقعية ، ولا علاقة لها بنسيج هذا الكتاب ومنهجه .

والحق ان كتاب الجيم مرتب على طريقة الالفباء ، معتمدا على الحرف الاول من كل كلمة ، وهو يدخل تحت عنوان (مدرسة صدر المواد) من المدارس المعجمية ، في تاريخ المعجم العربي .

أما ما روي عن كتابه الجيم[١٦] ، من انه ألفه وضن به على طالبي العلم والمعرفة ، فيلمح منه أنه قديم التأليف ـ أيضا ـ يقول ابن النديم[١٧] : « وله من الكتب ، كتاب الجيم ... » ويقول ابو الطيب في مراتب النحويين[١٨] : « وأما كتاب الجيم ، فلا رواية له ، لان أبا عمرو بخل به على الناس ، فلم يقرأه أحد عليه »[١٩] .

وحكاية الضن بالعلم كما يرويها ياقوت نقلا عن أبي الطيب اللغوي في صفات أبي عمرو الشيباني ، ينفيها الازهري (٣٧٠ هـ) عنه ، ويحكيها في أبي عمرو آخر ، وهو شمر بن حمدويه الهروي ، وهو أحد تلامذة ابن أبي عمرو الشيباني المتقدم ، وبذلك يقف بنا امام مشكلة جديدة ـ سبق أن أشرنا اليها فيما تقدم ـ هي من المؤلف الحقيقي لكتاب الجيم ؟ وتتبعها مشكلة أخرى ، وهي : هل كلف كتاب الجيم

مبتدءا بحرف الجيم فعلا ، كما يخبرنا الازهري ، فهو يقول :[٣٠] «أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي ... لقي جماعة من أصحاب ابي عمرو الشيباني ... ولما ألقى عصاه بهراة ألف كتابا كبيرا في اللغات أسسه على الحروف المعجمة ، وابتدأ بحرف الجيم ، فيما اخبرني أبو بكر الايادي وغيره ممن لقيه ، فأشبعه وجوده ... » ثم مدح الكتاب ، ونوه بجودته ، فقال : « ولما أكمل الكتاب ضن به في حياته ، ولم ينسخه طلابه ، فلم يبارك له فيما فعله حتى مضى لسبيله ، فاختزل بعض أقاربه ذلك الكتاب من تركته ، واتصل بيعقوب بن الليث السجزي فقلده بعض أعماله ، واستصحبه الى فارس ، ونواحيها ، وكان لايفارقه ذلك الكتاب في سفر ولا حضر . ولما أناخ يعقوب بن الليث بسيب بني ماوان من أرض السواد ، وحط بها سواده وركب في جماعة المقاتلة من عسكره مقدرا لقاء الموفق وأصحاب السلطان ، فجرّ الماء من النهروان على معسكره ، فغرق ذلك الكتاب في جملة ما غرق من سواد العسكر » .

ثم قال : « ورأيت أنا من أول ذلك الكتاب تفاريق أجزاء بخط محمد بن قسورة ، فتصفحت أبوابها ، فوجدتها على غاية الكمال ، والله يغفر لابي عمرو ، ويتغمد زلته » .

والضن بالعلم غير محمود ولا مبارك فيه[٣١] . هذا كله كلام الازهري ، وهو يتحدث بلهجة المتوثق العارف بحقيقة هذا الكتاب ، مما لايدع شكا في ان الجيم لابي عمرو الهروي ، لا الشيباني . غير ان الازهري وقع في أمرين :

١ ــ ان صفة الضن بالعلم منسوبة الى أبي عمرو الهروي لا الشيباني الذي ذكره أبو الطيب ، ونقله عنه ياقوت .

٢ ـ ان هذا الكتاب افتتحه مؤلفه بالجيم ، في حين نجد ان كتاب أبي عمرو الشيباني مبدوء بالهمزة لا الجيم ، وان ابن مكتوم فيما تقدم من حديثنا نفى ان يكون الكتاب مبدوءا بالجيم ، لانه وجده مبدوءا بالهمزة .

والقطعة المصورة من كتاب الجيم لابي عمرو الشيباني التي تحتفظ بها مكتبة مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وقد طبعت هذه المخطوطة أخيرا صريحة النسبة الى الشيباني ، وهي مبدوءة بالهمزة لا بالجيم[٢٢] .

وهنا نكون بين أمرين :

الاول : ان هناك كتابين بهذا الاسم ، احدهما : للهروي ، والآخر للشيباني ، وان منهجيهما مختلفان وان صفتي الرجلين في الضن بالعلم متفقتان ، فان ياقوت أكد هذه الصفة في الهروي ايضا ، وهو معتمد ـ حتما ـ على الازهري ، وان لم يصرح بأسمه ، قال : « ثم رجع الى خراسان ، وأخذ عن اصحاب النضر بن شميل ، والليث ، وصنف كتابا كبيرا رتبه على المعجم ، ابتدأ فيه بحرف الجيم لم يسبق الى مثله ، اودعه تفسير القرآن وغريب الحديث ، وكان ضنينا به فلم ينسخه أحد واختزنه بعد وفاته بعض أقاربه ، فلم ينتفع به » . وقيل : « اتصل أبو عمرو بيعقوب بن الليث الأمير ، فخرج معه الى نواحي فارس ، وحمل معه كتاب الجيم ، فطغى الماء من النهروان على معسكر يعقوب فغرق الكتاب فيما غرق من المتاع ... مات سنة ٢٥٥هـ »[٢٣] .

وعبارة ياقوت جاءت بمجامع كلام الازهري ، فابقت بعض نص الازهري على ما هو ، وتصرفت ببقية كلامه تصرفا واضحا ، والقول كله قول الازهري[٢٤] .

الأمر الآخر : ان الازهري وهم في نسبة الكتاب الى الهروي ، وانما هو للشيباني ، وان ما أدعاه من أنه ابتدأ بالجيم ، لم يكن من شنده ، بل هو سماع عن أبي بكر الايادي الذي يمكن ان نحمله تبعة هذا الغلط ، في نسبة الكتاب ومنهجه .

ولكن الازهري ينقض هذا الامر بأنه رأى من أول كتاب الهروي تفاريق أجزاء بخط محمد بن قسورة ، وانه تصفح أبوابها ، فوجدها على غاية الكمال(٢٥) .

فاذا تحقق هذا الذي يقوله الازهري ، فان رفض القفطي (٦٤٦ هـ) في انباه الرواة لقول الازهري ، يصبح أمرا غير مقبول منه ، اذ يصم الازهري بانه افتعل هذه القصة بكاملها حول نسبة الكتاب ، ومنهجه افتعالا من عنده ، فلما رأى اشتطاطه في أمر هذا الكتاب ، وانه لم يكن لشمر بن حمدويه الهروي ، وضع قصة غرق الكتاب في النهروان ، وتلفه ، بأكمله ، ولم يبق منه الا تفاريق أجزاء من أول الكتاب ، لا تغني، ولا تسمن من جوع ، وانه قرأها فحكم بجودة التأليف ، وحسن المنهج .

فمن المحق من الرجلين : الازهري ، أم القفطي ، أم الكتابان موجودان ؟ .

اليس في هذا الذي نعرضه شيء كثير من المشكلات التي تعترض سبيل الباحث في نشأة المعجم العربي الاول ، ومسيرته الطويلة عبر القرون التي تلت ؟! .

أننا لن نتعرض لاوليات المعجم العربي ، ولمصادره الاولى فقد بحثت هذه المسائل باستيعاب دقيق ، وبدراسة مستفيضة في اكثر من كتاب محدث(٣٦) .

ولكننا سنقف على كتاب الجيم وقفة طــويلة متأملة ، لننظر في أسمه ، ونسبته ، وتأليفه ، ثم في علاقته بكتاب الجيم ، لابي عمــرو الهروي ، ثم نعطي بعد ذلك كله خاتمة لاهم ما يتعلق بموضوع الجيم .

أما العين فسنجعله خاتمة المطاف ، وسنبحث في أهم مشكلة حوله ـ في رأينا ـ هي الوقوف على مقدار عمل الخليل فيه ، والدور الــذي شغله تلميذه الليث بن المظفر في اتمام الكتاب ، واظهاره ، ونسبته الى الخليل بجملته ، وعلاقة تلاميذه الاخرين بالكتاب ، ثم نسوق خاتمــة موجزة في أهم ما برز لنا من ظواهر خلال العرض .

---

(١) هذا الحصر لحياة الشيباني ، هو الاقرب ـ في ظننا ـ الى الواقــع ، وما نقل المؤرخون ، وان كان هناك أقوال كثيرة متضاربة .

(٢) وقد يطلق عليه أسم اللغات أو الحروف أو النوادر كما سنرى .

(٣) ذكر ذلك القالي ، نقــلا عن السجستاني ، وحكاه الزبيدي عن القالي .

(٤) المزهر : ١/٣٩ (ط : بولاق) .

(٥) الإرشاد : ٧/ ٤١ـ٤٢ (ط : مارجليوث) .

(٦) نفسه : ٢/١٣٨ .

(٧) نور القبس : ٢٧٩ . وابن الانباري في النزهة : ٣٥ .

(٨) ممن اشتغل بكتاب العين ، ومن رواته .

(٩) أي : ليس في كلام العرب سداسي ، الا بزيادة .

(١٠) الارشاد : ٦/٢٢٧ . ولذا كان مذهب ثعلب وغيره ان الخليل أسسه ولم يحشه . كما سيأتي .

(١١) الارشاد : ٧/٢١٠ .

(١٢) وربما كانت المخالفة فى التسمية بالحرف رموزا الى معان وأغراض تتعلق بأسرار الحروف وصفاتها ، كما هو واضح في الجيم .

(١٣) المزهر : [illegible] .

(١٤) جـ٤/ ٩٤ (الجيم) . والتاج : (الجيم) .

(١٥) انظر الحروف : المنسوب للخليل : ٢٨ والحروف (بتحقيقنا) : ٨٢ ·
وهو للرازي نشر في مجلة معهد المخطوطات ·
(١٦) ورد في ارشاد ياقوت مصحفا بأسم : (الختم) : ٢/٢٣٥ ·
(١٧) الفهرست : ٦٨ ·
(١٨) مراتب النحويين : ٩٢ ·
(١٩) وانظر الارشاد : ٢/٢٣٥ ·
(٢٠) التهذيب : ١/٢٥ (المقدمة) ·
(٢١) مقدمة التهذيب : ١/٢٥ ·
(٢٢) طبع بالقاهرة سنة : ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ·
(٢٣) ارشاد الاريب : ٤/٢٦٣ ·
(٢٤) تهذيب اللغة : ١/٢٥ ·
(٢٥) تهذيب اللغة : ١/٢٥ ·
(٢٦) انظر مثلا : الصحاح ومدارس المعجمات : احمد عبدالغفور عطار ،
والمعجم العربي ، د · حسين نصار · ومقدمة الصحاح : لعطار ·

الفصل الثاني

الجيم

المبحث الأول

الشيباني مؤلف الجيم

الشيباني : هو اسحاق بن مرار[1] الكوفي جاور بني شيبان او علم اولادا من بني شيبان فنسب اليهم[2] ، فلقب الشيباني ، وكني بأبي عمرو ، لان ابنه كان أسمه عمرا ، وكان قد اشتهر في زمن أبيه وبعده برواية اللغة والاخبار والادب ، عن والده ، وعن غيره من أئمة الكوفيين والبصريين .

ولسنا نريد هنا ان نستقصي أخبار الرجل ، وتفاصيل حياته ، وصفاته ، ولكننا نشير الى ابرز جوانب حياته التي تعنينا في تحقيق كتابه الجيم ، وتصديق وضعه في حياته .

والا فان ما دار حول حياته من صغيرة وكبيرة بحثت في أكثر من كتاب ، ويمكن للسائل عن شخصية ابي عمرو الشيباني ان يقف على ماكتبه محقق كتاب الجيم ــ ابراهيم الابياري ــ في مقدمة الجزء الاول، فانه أتى بجوامع ماكتبه المتقدمون عن اسحاق ابن مرار .

وعلى أية حال ، فان أهم مسألة ينبغي معرفتها هي تحديد الفترة التي كان فيها أبو عمرو رجل علم ولغة ، طالبا فعالما . ولقد سبق أن

أشرنا الى أنه عاش فترة طويلة من العمر ، تجاوزت مئة وعشر سنوات ، وبلغت (عند ابن الانباري في النزهة) الى مئة وتسع عشـرة سنة[٣] ، فاذا كان أبو عمرو قد توفي على الارجح سنة ٢٠٥ أو ٢٠٦ ، فذلك يعني أنه عاش ما يقرب من ثلاث عشرة سنة من عمره في الربع الاخـير من القرن الاول الهجري وذلك ينحصر بين : ٨٧هـ و١٠٠هـ .

وهذا يعني انه كان صبيا ، ابن عشر سنين في الاقل ، وهو يعيش في المئة الاولى الهجرية ، يقول ابن السكيت : « مات أبو عمرو ، وله ١١٨ سنة ، وكان يكتب بيده الى ان مات »[٤] .

ومن العادة ان يكون الصبي في عشر سنوات في دور يدرك فيـه الامور ، ويعطي للعلم حقه من الاهتمام والعناية ، ولا عجب في هـذا فان ما روي عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت الفقيه ، أنه سمع أنس بن مالك ، وهو على كتف والده ، وعمره خمس سنوات ، يحدث « زرغبا تزدد حبا » فحفظ الحديث .

ورووا لنا عن ثعلب ، أن أباه كان قد حمله عند دخول المأمـون بغداد سنة ٢٠٤هـ ، وقال له : هذا المأمون ، وهذه السنة الرابعة من عمره ، فحفظ ذلك ، وحين سئل عن مولده قال : ولدت سنة (٢٠٠ هـ)، لانه يتذكر قول والده ، وهو ابن اربع سنوات[٥] ، ومثل ذلك كثير في تاريخ علماء العربية والدين والفكر .

فاذا كان أبو عمرو قد بلغ عشر سنوات ، وهو طالب علم فلابد انه يكون قد أختلف الى علماء الربع الاخـير من القرن الاول الهجـري ، ونضج في الربع الاول من القرن الثاني الهجري وبدأ بالكتابة والتأليف ، ووضع الكتب في النصف الاول من القرن الثاني . يدلنا على ذلك كثرة

التدوين والكتابة والتأليف المروي عنه ، روى أبو عمرو قال : « لما جمع أبي اشعار القبائل ، كانت نيفا وثمانين قبيلة ، فكان كلما عمل منها قبيلة ، وأخرجها الى الناس ، كتب مصحفا بخطه وجعله في مسجد الكوفة ، حتى كتب نيفا وثمانين مصحفا »[٦] .

ومن المعقول ان يكون هذا العمل وحده ، قد استغرق وقتا طويلا من حياته اذ لو افترضنا أن كتابة مصحف مع تأليف جزء من أشعار القبائل يستغرق — في أقل تقدير — سنة[٧] ، فهو — أذن — قد قضى معظم عمره في كتابة شعر القبائل ، ومن المعقول — أيضا — أن يكون مثل هذا العمل في أواخر الرحلة ، لان أوائلها يكون دور جمع وحفظ وايعاب لما يسمع ، ويروى له من أفواه الاعراب ، وكلام العلماء ، ولما يقرأ في كتبهم .

وربما ألف في مطلع حياته العلمية أشياء ، ولكنه لم يكن واثقا بها ، فكان يحفظها أو يمتنع عن قراءتها ، والنقل منها ، وربما كان هذا النهج في حياته هو الذي عده العلماء بخلا علميا ، لانه منع كتابه المسمى (بالجيم) من أن يقرأه عليه قارئ ، يقول أبو الطيب اللغوي في (المراتب) : « وأما كتاب الجيم ، فلا رواية له ، لان أبا عمرو بخل به على الناس فلم يقرأه أحد[٨] » .

وما أظن ذلك صحيحا في صفات الرجل ، وشخصيته العلمية ، ولكنه كان حريصا على ان يخرج للناس شيئا ترضى عنه الناس ، وذلك يفسره لنا عمله في خط مصحف كامل يحفظه في مسجد الكوفة حين يجد أنه أخرج عملا علميا جيدا مرضيا عنه ، وكيف يكون بخيلا ، ضنينا بعلمه ، وقد سمح لنفسه ان يستعير الكتب من تلامذته ، وان يكتب

طلابه من كتبه . يقول ابن السكيت : « وكان ربما أستعار مني الكتب، وأنا اذ ذاك صبي آخذ عنه ، واكتب من كتبه »[٩] .

وكان قبل ذلك بكثير ، شيخا ، له مكانه ، حتى عند علماء البصرة، فهذا يونس بن حبيب (١٨٠ هـ) يدخل عليه فيجد عنده قمطرا ، فيه امناء من الكتب ، يسيرة ، فيستقلها يونس ، ويقول له : « ايها الشيخ: هذا علمك ؟ » فيبتسم اليه ، ويقول : « انه من صدق كثير »[١٠] .

وفي الخبر أمور ، أهمها ، انه شيخ كبير ، يدخل عليه أحد كبار المدرسة البصرية ، ويناديه بالشيخ أعترافا وتحقيقا . ويونس من المتقدمين في الوفاة ، مات قبل الشيباني بما يزيد على ربع قرن . وفيه أنه لم يدون كل ما علمه ورواه عن الاعراب في صحف ، بل كان موعبا ، وحافظا ، يقول الخطيب البغدادي : « كان أبو عمرو نبيلا فاضلا عالما بكلام العرب ، حافظا للغاتها »[١١] . ولذلك قال ثعلب في محفوظه من علم اللغة : « كان مع أبي عمرو الشيباني من العلم والسماع عشرة أضعاف ما كان مع أبي عبيدة ، ولم يكن في أهل البصرة مثل أبي عبيدة في السماع والعلم » . ومع ان ياقوت قد رفض قول ثعلب ، فقال : « ولقد أسرف ثعلب فيما فضل به أبا عمرو ، فانني أقول : ان الله ماخلق رجلا كان اوسع رواية وعلما من أبي عبيدة في زمانه »[١٢] الا ان ياقوت قد أسرف كذلك في حكمه ، فالعلم الذي مع أبي عمرو كثير ، والذي مع أبي عبيدة كثير ، ولكن المعرفة باللغات عند أبي عمرو تفوق ما عند أبي عبيدة قطعا — لما أتصف به الثاني من حفظ الاخبار ، ورواية الايام والتاريخ ، وقصور باعه في اللغة ، ودراساتها . يقول أبو الطيب اللغوي في (مراتبه) عن أبي عمرو الشيباني : « من أعلمهم باللغة ، واحفظهم ،

وأكثرهم اخذا عن ثقات الاعـراب ... وهو من أهل الرمادة ، بالكوفة ... »[13] . وهذه شهادة رجل له عصبية شديدة على الكوفيين، وميل شديد للبصريين ، يؤكد فيها أنه من الرواد في حفظ اللغة وعلمها ، وروايتها عن الاعراب الثقات ، فلا اعتداد ـ بعدئذ ـ مما يقال عن الشيباني ، وعلمه في اللغة أو غيرها ، مادامت الشهادة على علمه تصدر عن أناس يميلون عليه لا اليه .

وأظن ان ما ذهب اليه ثعلب لم يكن بعيدا عن الصواب وثعلب هو الذي نقل لنا خبر خروجه الى الاعراب ، وكتابته نصوص اللغة من أفواههم ، فقال : « دخل أبو عمرو اسحاق بن مرار البادية ، ومعـه دستيجتان ـ يعني أناءين ـ حبرا فما خـرج حتى افناهما ، بكتب سماعه من العرب »[14] ، فلست أدري اين ذهبت هذه السماعات التي دونها أبو عمرو ، وجمعها في بيته ، وأخرج منها كتب اللغة ، والشعر ، ودواوين القبائل ، والحديث ولغته وغريبه ، حين دخل عليه يونس ، فلم ير عنده سوى امناء من الكتب يسيرة ، لا تساوي شيئا مما يحكون عنه في الكتابة والتدوين للعلم والسماع . لعل خبر يونس في هذا كله موضوع منتحل ـ ايضا ـ ، لتنهدم مقالة ثعلب التي بلغت بعلم أبي عمرو عشر مرات أضعاف علم أبي عبيدة ، وكل ذلك من أثر المنافسـة الشديدة بين البصرة ورجالها من جهة ، والكوفة ورجالها من جهـة أخرى .

وعلى أية حال ، فاخبار أبي عمرو كثيرة ، وفي كتب التراجم والادب واللغـة ، ما يغنينا عن الاطالة ـ هنا ـ حول ، شيوخه وتلامذته ، وسيرته ، واتجاهه العلمي ، وسلوكه مع نظرائه وعلماء عصره ، وما كان

له ، وما كان عليه ... الى غير ذلك مما يعد تكرارا لما أتى عليه الباحثون والدارسون ، قديما وحديثا[15] .

أما مؤلفاته ، فهي كثيرة[16] ، موزعة بين اللغويات ، والحديث والأدب ، ولم يعرف له في النحو كتاب ، ولم يشر أحد الى عنايته بهذا الجانب من الدراسات اللغوية المعروفة في عصره .

واذا عددنا دواوين أشعار القبائل التي وصل فيها الى ابن هرمة[17] الشاعر المخضرم (١٥٠ هـ) ، وقد بلغت نيفا وثمانين كتابا الى ما روى وهو أكثر من ثلاثة عشر كتابا غيرها ، كان مجموع ما خلف أبو عمرو من الكتب قد ناهز المئة كتاب وهو مقدار عظيم ، لايتيسر الا لمن أوتي بسطه في العلم ، وعمرا طويلا ، وفي ذلك يقول الخطيب البغدادي : « كان أبو عمرو ... عالما بكلام العرب ، حافظا للغاتها ، عمل كتاب الشعراء ... وسمع من الحديث سماعا ، واسعا ، وعمر عمرا طويلا .. »[18] .

ونقل ياقوت عن الازهري (٣٧٠ هـ) في كتاب (نظم الجمان) للمنذري (٣٢٩ هـ) حديثا مسندا الى النضر قال : « كنت عشية الخميس عند اسماعيل بن حماد بن ابي حنيفة ، وجاء أبو عمرو الشيباني ، فقال لي : من هذا الشيخ ؟ قلت هذا أبو عمرو الشيباني صاحب العربية والغريب ، وكان قد أتى عليه نحو من ١١٥ سنة . فالتفت اليه أسائله عن أيامه وسنه ... »[19] .

والاخبار جميعها متفقة على أنه صاحب عربية ولغة وحديث ، ولم تذكر شيئا عن عنايته بنحو أو صرف . ومن هنا كانت مؤلفاته تنحصر في هذه الجوانب من علوم العربية .

ومؤلفاته التي ذكرتها كتب التراجم هي :

١ ـ الابل ، وهو من أوائل من ألف في هذا الموضوع ان لم يكن أول مؤلف فيه ، وشاركه فيه ، الاصمعي (٢١٦ هـ) وكتابه مطبوع ، وأبو زيد الانصاري (٢١٥ هـ) والسجستاني (٢٥٥ هـ) وأبو عكرمة الضبي (٢٥٠ هـ) أحد من أخذ عن ابن الاعرابي .

٢ ـ أشعار القبائل ، يقول ابن النديم : ختمه بأبن عرمة وهي نيف وثمانون كتابا ، الحقها بنيف وثمانين مصحفا حفظها في مسجد الكوفة[30] .

وكان كما يقول الازهري : قد قرأ دواوين الشعراء على المفضل الضبي (١٨٠ هـ)[31] . وكان يسميها : ديوانا ، كديوان اشعار ثقيف ، وديوان أشعار بني محارب[32] . وقد رأى بعض العلماء من هذه الدواوين بعضها ، ونقل منها ، كما فعل صاحب الخزانة ، عبدالقادر البغدادي (١٠٩٧ هـ) .

٣ ـ الجيم ، وهو ما نريد ان نتحدث عنه بصورة مفصلة فيما بعد هذه التقدمة الموجزة .

٤ ـ الحروف ، وذكر بعضهم أنه هو الجيم نفسه ، وسيرد الحديث عنه خلال البحث في الجيم ، وللنضر وغيره كتب بهذا العنوان[33] .

٥ ـ الحيات : ذكره له الازهري في التهذيب ، مع جملة من العلماء لهم فيها تآليف بنفس العنوان[34] . ونقل منه في مواضع من كتابه التهذيب .

٦ ـ خلق الانسان ، ويعد أبو عمرو من الرواد في مصنفا الجانب من الابحاث اللغوية ، وقد شاركه فيه محمد بن المستنير قطرب

(٢٠٦ هـ) ، وهو عصريه البصري[٢٥] • وأبو عثمان سعدان بن المبارك الضرير ، وكان يروي عن أبي عبيدة ، وأبو زيد الانصاري، وأبو حاتم السجستاني والحامض وجمـــلة كبيرة من متقدمي اللغويين •

٧ ـ الخيل ، ذكره له ياقوت وغيره[٢٦] • وقد ألف في هذا الموضوع جملة من علماء البصرة والكوفة وبغـــداد كأبي عكرمة الضبي والرياشي ، واحمد بن محمد الكوفي ، وابن الاعــــرابي ، وابي عبيدة ، وابن الكلبي • وغير هـــؤلاء ، وربما كان الشيباني مسبوقا به •

٨ ـ غريب الحديث[٢٧] • ولقد سبق ان أشرنا الى انه اشتغل برواية الحديث ، وكان من جملة رواته عنه الامام احمد بن حنبـــل ـ رحمه الله ـ • وفي غريب الحديث اشتغل جماعة من عصرييه كقطرب ، وابي عبيدة ، والجمحي ، وأبي عبيد ، وشمر والمازني، وابن الانباري ، فالزاهد ، فالكفرطابي ، وغيرهم • ويذهب ياقوت الحموي وحاجي خليفة الى ان الرائد في هذا المضمار هو ابو عبيدة معمر بن المثني •

٩ ـ شرح الفصيح ، ذكره ابن النديم ، وحين نقل ياقوت نص عبارة ابن النديم ، لم يذكر الكتاب في جملة كتبه ، فلعله وقع سـهوا في جملة كتب أبي عمرو الشيباني • وأغلب الظن أنه لابي عمـــر الزاهد ، فاشتبه على الناسخ أنه من كتب الشيباني ، لتقـــارب الكنيتين ، والا فما يجوز للشيباني ان يفسر كتابا بأسم الفصيح ، منسوبا لثعلب (٢٩١ هـ) وهو من تلاميذ تلاميذ الشيباني • يقول

صاحب الهدية « وله ... شرح الفصيح لثعلب »[28] .

١٠- الغريب المصنف ، وهو في سائر غريب اللغة ، ولعل هذا العنوان قد أثر في أبي عبيد ، فاتخذه عنوانا لكتابه (الغريب المصنف) . وشاركه من بعده أبنه عمرو فنسب اليه كتاب" بهذا الاسم . وذكره بهذا الاسم ياقوت ، وحاجي خليفة ، وكان ابن النديم أول من يذكره[29] ، لابي عمرو الشيباني .

وقد عني بهذا الكتاب جملة من العلماء ، ذكر صاحب الكشف منهم محمد بن علي اللخمي المعروف بابن المرخي (٦١٦ هـ)فاختصره وسماه (حلية الاديب) . واختصره أبو يحيى محمد بن رضوان المتوفى (٦٥٧ هـ) .

١١- اللغات ، يبدو أنه هو الجيم ، كما سيبحث هذا فيما يأتي .

وفي عصر المؤلف وضع معاصروه أكثر من كتاب بهذا العنوان كأبي عبيدة ويونس بن حبيب والفراء وأبي زيد الانصاري وغيرهم[30] .

١٢- النحل والعسل : ذكره له اسماعيل باشا البغدادي في الهدية .

١٣- النحلة[31] : ذكره صاحب الفهرست ، واسقط ذكره ياقوت ولعله أيضا ، مما وقع سهوا في جملة كتبه ، ولكل من الاصمعي والسجستاني كتاب بهذا الاسم[32] .

١٤- النوادر ، ولعل له علاقة بكتاب الجيم نفسه وسنعرض له فيما بعد ، أما ما ذكره الازهري باسم النوادر فيريد النوادر الكبير قال : « النوادر . وهو كتاب كبير في النوادر » في مقدمةالتهذيب.

١٥- النوادر الكبير : وهو الذي وصفه ابن النديم بانه ثلاث نسخ ،

قال : « وله من الكتب ... النوادر الكبير على ثلاث نسخ » ، وتابعه في هذا ياقوت والقفطي[٣٣] . وذكر ياقوت الكتابين ، مما يدل على انهما تاليفان لا تأليف واحد .

واذا كان الاول منهما له علاقة بالجيم ، فان ابن خلكان والقفطي قد نقل عن اليمني في (طبقات النحـــاة واللغويين) : ان الجيم هو الحروف ... قال : « وجميع ما فيه (يعني الجيم او الحروف) خارج عن كتابه النوادر ، وفيهما علم كثير »[٣٤] . وفي هـــذا نظر ، ينبغي الوقوف عليه ، عند الحديث عن الجيم . والتأليف في النوادر في عصر أبي عمرو ، شائع وكثير ، وقل ان تجد أماما في اللغة لم يؤلف فيــه ، واليك جملة من المؤلفين فيه : ـ الاصمعي ـ ابن الأعرابي ـ أبو زيد ـ ابن السكيت ـ الفراء ـ الكسائي ـ قطرب ـ اليزيدي ـ يونس ـ ابو زيد الكلابي ـ اللحياني ـ هذا فضلاً عمن عاصر هؤلاء أو من بعدهم ، كالقالي ، وابن مقسم ، وابي محمد بن ابي زيد وغيرهم[٣٥] .

واختلف المترجمون في سنة وفاة أبي عمرو ، وهم على أقوال هي :

١ ـ ذكر القفطي عدة سنوات : ٢٠٥هـ ـ ٢٠٦هـ ـ ٢١٠هـ ـ ٢١٣هـ ٢١٦هـ[٣٦] .

٢ ـ نقل الحموي : « مات في أيام المأمون سنة : (٢٠٥ أو ٢٠٦ هـ) وقد بلغ مائة سنة وعشر سنين » .

٣ ـ ونقل ايضا ـ عن ابن السكيت ان أبا عمرو مات وله ١١٨ سنة . وفي تهذيب التهذيب : عاش : ١٢٠ سنة[٣٧] .

٤ ـ وعن ابن كامل : مات أبو العتاهية وأبو عمرو الشيباني وابراهيم الموصلي والد اسحاق في يوم واحد سنة : ٢١٣هـ ببغداد .

٥ ـ وذكر ابن الانباري : « توفي سنة ست ومائتين في خلافة المأمون، وقيل : سنة عشر ومائتين يوم الشعانين »[٣٨] .

٦ ـ قال ياقوت : « وعمر عمرا طويلا حتى اناف على التسعين » .

٧ ـ وقال : « قرأت بخط أبي منصور الازهري في كتاب (نظم الجمان) ـ للمنذري ـ حدثني أبو بكر محمد بن احمد بن النضر المازني ، قال حدثني سعيد بن صبيح قال : أبوك ـ يعني النضر ـ قال : كنت عشية الخميس عند اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ، وجاء أبو عمرو الشيباني ، فقال لي : من هذا الشيخ ؟ قلت : هذا أبو عمرو الشيباني ـ صاحب العربية والغريب ـ وكان قد اتى عليه نحو : ١١٥ سنة »[٣٩] .

٨ ـ وخلص محقق الجزء الاول من الجيم الى ان هذه الحادثة قـــد وقعت عند تولي اسماعيل القضاء بين سنتي : ٢٠٨هـ و٢١٢هـ ، فرد بذلك قول القائلين : بانه توفي قبل ٢٠٨هـ[٤٠] .

فاذا تحقق أنه عاش مايقرب من مئة وتسع عشرة سنة ، أي : بعد هذه الواقعة المذكورة مدة أربع سنوات وهو أمر جـد معقول ، فان ميلاده سيكون في حدود (٩٤ هـ) ، وهو ما ثبتناه في مقدمة حديثنا .

وبذلك يكون قول احمد بن كامل انه توفي سنة ٢١٣ هـ مـــع ابراهيم المغني وأبي العتاهية في يوم واحد ، ببغداد ، هو القول الاقرب الى الصواب[٤١] .

المبحث الثاني

حول الجيم

عرف كتاب الجيم ، كتابا في اللغة ، في جملة ما نسب الى ابي عمرو الشيباني من كتب اللغة ، في القرن الثاني الهجري ، ولكنه وصف بانه لم يرو[٤٢] ، عنه ، ووصف ابو عمرو ، بانه بخل به ، فلم يُمكِّن أحداً من نسخه .

وواكب هذا الكتاب ، الكتاب المنسوب للخليل — ايضا — وقد قدمنا أن الأول اسبق في التأليف ، حتى يثبت لنا ان العين كان هو المتقدم .

ولقدم الكتابين ، وتقدمهما في التأليف ، قرن العلماء بينهما ، وعدوهما منطلق الدراسات المعجمية العربية في تاريخ المعجم اللغوي العربي .

يقول ابن فارس في مجمله :

والمجمل المجتبى تغني فوائده حفاظه عن كتاب الجيم والعين[٤٣]

فكتاب الجيم — اذن — معروف مذكور عند العلماء ، ومكانه لايقل وزنا عن مكان كتاب (العين) عند العلماء .

غير ان هذا الكتاب الذي تذكره معظم كتب التراجم — وخاصة المتأخرة — تحوم حوله شبهتان :

١ — الاولى : تسميته بكتاب الجيم .

٢ ـ الثانية : منهجه .

فاما تسميته باسم (الجيم) ، فقد وقع المؤرخون والمترجمون للشيباني في اكثر من شبهة ، ففيها تسمية هذا الكتاب ، بغير الجيم ، ومنها سكوتهم عنه ، واهمال ذكره من بين كتبه . ومنها ادعاؤهم بانه ابتدأه مؤلفه بحرف الجيم ، او بغيره ، وهذه كلها أمور تجعل الباحث في حيرة من أمر هذا الكتاب !

وأما منهجه ، فذلك مرتبط ، بتسميته ــ ايضا ــ ذلك ان من زعم انه مبتدىء" بحرف الجيم(٤٤) ، فلابد من ان يكون منهجه مخالفا لما يبتدىء من المعجمات بالهمزة ، او بغيرها من حروف العربية .

ومن هنا ينبغي لنا ان نعرض لاراء العلماء المتقدمين فيما طرحناه من شبهات ، لنستقر بعدها على الحال التي نجد فيها الكتاب على حقيقته.

ذكر المؤرخون ، للعلوم العربية ، وآدابها ، ثلاثة كتب باسم الجيم .

اولها : كتاب ابي عمرو الشيباني هذا .

ثانيهما : كتاب الجيم للنضر بن شميل بن خرشة بن زيد بن كلثوم المازني (٢٠٣ هـ) . تلميذ الخليل بن احمد الفراهيدي(٤٥) وسكتت كثير من كتب التراجم واللغة ، عن ذكره ، مكتفية بذكر بضعة كتب أخرى له في اللغة والحديث . وكأن كتاب الجيم المنسوب الى هذا الامام اللغوي قد ذكره الازهري في تهذيبه ينقل منه نصوصا ويوثق ابن شميل . ومن ذلك قوله : « قرأت في كتاب الجيم لابن شميل ... » ثم قال : « وهذا حرف غريب لا احفظه لغير النضر ، وهو ثقة »(٤٥م) .

وهذا الخبر يؤكد وجود كتاب باسم الجيم للنضر ، مع أن احدا

ـ غير الازهري ـ لم ينقل منه ، غير ان من وضع هـذا الكتاب ـ من المترجمين ـ في جملة كتبه ، وضع الى جانبه اسم كتاب آخر في تأييـد (كتاب العين) ، وتقوية روايته عن الخليل ، وهو كتاب (المدخـل الى العين)[٤٦] .

والاخبار المروية عن النضر ، وعلاقته بالخليل ، تثبت أنه لم يضع مثل هذا الكتاب ، ولم يعرف كتابا بأسم العين نسب الى الخليل ، أو رأى الخليل يعمله في حياته ، نقل ياقوت عن الحاكم أبي عبدالله بن البيع في كتـــاب نيسابور عن « العباس بن مصعب ، قال : سئل النضر بن شميل ، عن الكتاب الذي ينسب الى الخليل بن احمد ، ويقال له : كتاب العين ، فانكره ! فقيل له : لعله ألفه بعـــدك ، فقال : أو خرجت من البصرة ، حتى دفنت الخليل بن احمد »[٤٧] .

غير ان في أخبار أخرى ما يدل على انه ترك الخليل مدة طويلة ، فاقام بالبادية ، وانه عرف الخليل ، بعد تركه مروا التي ولد فيهـــا ، ورحل الى البصرة ، فالتقى بالخليل ، وأخذ عنه مدة ، ثم تركه الى البادية ، فلما عاد ، وجد الخليل قد مات[٤٨] .

وبين الخبرين تناقض واضح ، فان أخذنا باولهما كان خبر كتاب (المدخل) موضوعا ـ قطعا ـ وان أخذنا بثانيهما احتمـل ان يكون النضر قد ترك الخليل ، منذ عهد مبكر ، فلم يعرف الكتاب ، ولم يجد الخليل قد عمل شيئا منه ، وعلى هذا كان ينبغي للنضر بعد رجوعه ان يذكر الكتاب للخليل دون ان ينكره ، اما وقد نقلوا عنه أنه أنكره ، ولم يعرفه للخليل ، فهذا وحده يبعد الخبر الذي يقول : ان النضر قد وضع كتابا على العين بأسم (المدخل) . ومن هنا ضعف احتمال وجود مثل

هـذا الكتاب للنضر • وان ثبت انـه وضـع كتابا باسـم (الجيم) ، وانما ذكر له بدافع المنافسة ، والتعصب للجماعة البصرية ، والا فقـد كان ينبغي للمتقدمين ممن ترجموا للنضر ان يذكروا المدخـل[٤٩] له ، ضمن ما ذكروا له من كتب • ويبدو ان تأكيد ابن الانباري أبي البركات (٥٧٧ هـ) في النزهة على وجود المدخل[٥٠] كان بدافع العصبية للبصريين لما عرف به أبو البركات من العصبية لهم •

وعليه ، فاننا ننكر ان يكون للنضـر كتاب (باسم : المدخـل الى كتاب العين) • ولو كان له كتاب بهذا الاسم ، لذكره الازهري في جملة مصادره التي فرغها في كتابه ، واكتفى الازهري أبو منصور محمـد بن احمد الازهري (٣٧٠هـ) بقـوله : « النضر بن شـميل المازني سكن البصرة ، وأقام بها دهرا طويلا ، وسمع الحديث ، وجالس الخليـل بن أحمـد ، وأبا خيرة الاعرابي ، وأبا الدقيش واستكثر عنهم »[٥١] • ثم قال : « وله مصنفات كثيرة في الصفات والمنطق والنوادر » • ولو كان له كتاب في اللغة في هـذا المضمار ، أو في الاتجاه الذي سـلكه الخليل لذكره الازهري ، كما ذكر كتب الآخرين عند ترجمتهم •

فالكتاب ــ اذن ــ في عداد الكتب الموضوعة المنتحلة على الرجل ليس غيره[٥٢] •

ثالثهما : كتاب الجيم ، لابي عمر وشمر بن حمدويه : (٢٥٥ هـ) • وتنقل هنا ترجمة الازهري بكاملها عنه[٥٣] •

قال أبو منصور : « أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي • وكانت له عناية صادقة بهذا الشأن ــ يعني علم اللغة ــ رحل الى العـراق في عنفوان شبابه ، فكتب الحديث ، ولقي ابن الاعرابي وغيره من اللغويين ،

وسمع دواوين الشعر من وجوه شتى ، ولقي جماعة من أصحاب أبي عمرو الشيباني وأبي زيد الانصاري وأبي عبيدة ، والفراء ، منهم : الرياشي ، وأبو حاتم ، وأبو نصر ، وأبو عدنان ، وسلمة بن عاصم ، وأبو حسان .

ثم لما رجع الى خراسان ، لقي أصحاب النضر بن شميل ، والليث بن المظفر ، فاستكثر منهم .

ولما القى عصاه بهراة . ألف كتابا كبيرا في اللغات أسسه على الحروف المعجمة ، وابتدأ بحرف الجيم ، فيما أخبرني ابو بكر الايادي وغيره ممن لقيه ، فاشبعه وجوّده ، الا أنه طوّله بالشواهد ، والشعر والروايات الجمة عن أئمة اللغة وغيرهم من المحدثين ، وأودعه من تفسير القرآن بالروايات عن المفسرين ، ومن تفسير غريب الحديث أشياء لم يسبقه الى مثله احد تقدمه ، ولا أدرك شأوه فيه من بعده . ولما اكمل الكتاب ، ضنّ به في حياته ، ولم يُنسِخه طلابه ، فلم يبارك له فيما فعله ، حتى مضى لسبيله ، فاختزل بعض أقاربه ذلك الكتاب من تركته ، وأتصل بيعقوب بن الليث السجزي فقلده بعض أعماله ، واستصحبه الى فارس ونواحيها ، وكان لايفارقه ذلك الكتاب في سفر ، ولا حضر ولما أناخ يعقوب بن الليث بسيب بني ماوان من أرض السواد ، وحط بها سواده ، وركب في جماعة المقاتلة من عسكره مقدرا لقاء الموفق ، وأصحاب السلطان ، فجر الماء من النهروان على معسكره ، فغرق ذلك الكتاب في جملة ما غرق من سواد العسكر .

ثم قال : « وتوفي شمر ــ رحمه الله ــ فيما اخبرني الايادي سنة خمس وخمسين ومائتين »[٥٤] .

هذا الكلام الذي نص عليه الازهري في مقدمته للتهذيب كان هو الاساس لكل الذين ترجموا لشمر بعده ، ولم يزد أحد عليه شيئا ، بل كان بعضهم ينقل نصه كالقفطي وياقوت ويوجز بعضهم الآخر ، كالفيروز في البلغة ، والسيوطي في البغية[٥٥] .

وعبر الفيروز والسيوطي عن كلام الازهري : « ورأيت أنا من أول الكتاب تفاريق أجزاء .. » بقولهما : « ففقد بعد موته الا يسيرا » . واليسير — هنا — هو تفاريق الاجزاء التي رآها الازهري .. لاغير .

ولقد وقف القفطي (٦٤٦ هـ) على كلام الازهري هذا ، ووصم أبا منصور ، بانه مفتعل لكل ما قال بحق شمر بن حمدويه ، وكتابه المزعوم ، فليس لشمر كتاب بهذا الاسم ، وانما هو كتاب الجيم : لابي عمـرو الشيباني فاشتبه على ابي منصور اتفاق الكنيتين ، فظن ان أبا عمـرو الهروي هو صاحب الجيم للشيباني[٥٦] .

قال القفطي : « وعاب هذه العلة — يعني التصحيف — على غيره في مقدمة كتابه ، ووقع فيها ، والدليل على ذلك انه لما ذكر أبا عمـرو الشيباني في مقدمة كتابه .. لم يذكر له الا كتاب النوادر ، وكان رجل آخر أسمه ابو عمرو الهروي نسب اليه كتاب : (الجيم) ، وانما كتاب الجيم لابي عمرو اسحاق بن مرار ، وهو كتاب مشهور ، ثم قال : ان أبا عمرو سماه الجيم ، وبدأ فيه بحرف الجيم ، وهذا غلط فاحش ، وانما بدأ فيه بالالف على ترتيب حروف المعجم ، وسماه بالجيم لسر خفي ، تشهد عليه مقدمة الكتاب » .

والكتاب الذي وصل الينا — جيم ابي عمرو — يخلو من مقدمة ، تدل عليه ، ولذا فأن كلام القفطي يبقى مبتورا غامضا ، لان القفطـي

نفسه لم يشر الى سبب تسميته بهذا الاسم .

ويقل القفطي عن ابن القطاع الصقلي ، ان أولاد الرؤساء بمصر سألوه عن أسم الكتاب (الجيم) ، فطلب منهم ان يعطوه مائة دينار ليعلمهم بأسمه ، وعلة أطلاق الجيم عليه ، فما رأى في الجماعة من أعاد القول عليه(٥٧) .

ثم يدعي القفطي انه يعرف سبب تسمية الكتاب بالجيم ولكنه هو الآخر ، لايفصح عن سبب التسمية ، ويبقى الامر مجهولا .

ثم يعود القفطي للازهري ، ينتقده في خبر كتاب الجيم للهروي فيصمه بانه وهم في نقل أسم الكتاب من أبي عمرو الشيباني الى الهروي، وانه أخطأ في منهج الكتاب ، وحين أحس بخطئه تمحل قصة غرقه ، فيقول : « ولما وهم أبو منصور ــ رحمه الله ــ في نسبة هذا الكتاب الى شمر ، وغلط في ترتيب حروفه وأحس من نفسه أنه ليس على حقيقة مما ذكره ، تمحل حديثا طويلا آخره عدم الكتاب المذكور بالغرق تجاوز الله عنا وعنه »(٥٨) .

والتفاتة القفطي الى هذا الجانب ، التفاتة بارعة ذكية ، فقد رأى ان الازهري لم يذكر الكتاب في مجموعة تآليف الشيباني ، بل ذكره للهروي ، وكأنه ما علم ان لاسحاق كتابا اسمه الجيم ، قال : « فقد وهم من ابي عمرو اسحاق الى أبي عمرو شمر ، وهذا ظاهر يشهد لنفسه » .

والحق ان ما التفت اليه القفطي هو الحقيقة التي لم يتنبه اليها الدارسون ، ولو كان لابي عمرو الهروي كتاب بأسم الجيم ، لكان تردد ذكره في كتب اللغة ــ على قلة ما نقل منه أو بقي منه من تفاريق الاجزاء كما يدعي الازهري ــ واضحا أو مألوفا عند علماء اللغة ،

والمعجمين ، وهذا هو الازهري نفسه ، لم يورد من الكتاب شيئا في أية مادة لغوية فسرها خلال التهذيب ، بل ذكر شمرا في كتب أخرى ، فذكر نه كتاب (الحيات)[٥٩] وكتاب (الجبال)[٦٠] و (السلاح)[٦١] ... وغيرها ، ولم يذكر كتاب الجيم في تضاعيف الكتاب ، مما يدل على أن سبة كتاب الجيم اليه من قبيل الوهم الذي يقع فيه جلة العلماء ، ممن يستكثرون قراءة الكتب والمطالعة ، والنقل منها .

من هنا نستطيع الخلوص الى ان كتاب الجيم المنسوب الى الهروي، ليس له حقيقة واقعة ، وان ما ذكره الازهري من ابتدائه بحرف الجيم ، وادعائه بانه سبب تسميته ، مرفوض عقلا ومنطقا . واذا كان (العين) قد تسمى بهذا الاسم ، فله وجه حسن جيد ، لما لحرف العين من مكانة صوتية ، وموقع في أحياز الاصوات العربية التي توصل اليها الخليل ، فهل للجيم من المكانة الصوتية كما للعين . ذلك ما لم نره ، وذلك — ايضا — ما لم تحمله صفات هذا الحرف ، ومجموعته الصوتية التي ينتمي اليها .

الجيم حرف شجرى والاحرف الشجرية هي : (ج ش ض) قليلة الدوران على السن الناس ، وكلام العرب بالقياس الى حروف الذلاقة مثلا — (ر ل ن) أو حروف الشفة (ف ب م) . فهي تشترك في معظم أبنية الكلم ويندر ان نجد كلمة من أربعة حروف فما بعد ، خالية من حرف من هذه الحروف ، بل ذهب الخليل الى الشك في عروبتها اذا كانت خالية من حرف منها .

واما اذا كان الجيم حرفا مجهورا ، وأحد حروف القلقلة وهي (ج — د — ق — ط — ب — الهمزة — التاء — ك) فأن الى جانبه من

مجموعته (الشين) وهو حرف مهموس ، (والضاد) وهو حـــرف مجهور مستعل ، وهو الصق بلسان العرب ، وبه عرفت العربية ، انها لغة الضاد ، وكان الاولى أن يبدأ به ، فلِمَ تركه ؟!

ان ما ذهب اليه محقق الجيم[٦٢] في مقدمة الكتاب أمر يحتاج الى نظر • اذ لم يثبت أن كتاب الهروي قد بدىء بالجيم فعلا ، وهذا ما تنبه اليه المتقدمون أنفسهم ، كالقفطي وقد ثبت ان الشيباني بدأ كتـابه بالهمزة ، وهذا هو الكتاب بين ايدينا يبتدىء « بالالف : قال ابو عمرو الشيباني : الاوق : الثقل ، يقال ••• وتقـول : هم ألب ••• »[٦٣] وهكذا ••• الى آخر الكتاب •

فالتفتيش عن سبب تسمية الكتاب (بالجيم) ، وقد ابتدأ بالهمزة – بالنسبة لكتاب الشيباني – يبقى موضوع أفتراضات واحتمالات لاتقود الى حقيقة علمية صحيحة • واذا لم يثبت لدينا – أيضا – ان النضر بن شميل قد وضع فعلا كتابا بأسم الجيم[٦٤] ، فكل قول حوله يصبح من قبيل التوقعات المتكلفة ، يقول المحقق : « واذا كان الخليل أخضع الحروف لترتيب ، فما يضير النضر من أن يخضعها لترتيب آخر يراه اوفق ، وأيسر ، ويبدو ان أختيار النضر للجيم أساسا ، كان من نظرته للحروف من حيث الجهر والهمس ، والخروف المجهورة ، وهي ما ينحصر فيها مجرى التنفس مع تحركه – تسعة عشر حرفا ، يجمعهـا قولك : ظل قو ربض ، اذ غزا جند مطيع • وأما المهموسة ، وهي بخلاف المجهورة ، فيجمعها قولك : سكت فحثه شخص ••• وهكذا نجد الجيم من بين الحروف التسعة عشر المجهورة ، ولكننا لانعرف ترتيبها بينها ، ولعل النضر – ان ثبت انّ له كتابا بأسم الجيم – هو السابق الى اختيار

الجيم عنوانا لكتابه ، فكان يرى هـذا الحرف على رأس الحروف المجهورة ، وتبعه في ذلك الشيباني ، ثم شمر ، بدليل ارتضائهما هذه التسمية »[٦٥] .

ثم يضيف المحقق ان الجيم أضافة الى كونه حرفا مجهورا ، فهو حرف شديد أيضا ، وهذا يعني ان الجيم مع حروف خمسة هي وحدها التي تجمع بين الجهر والشدة ، ثم أضاف اليها صفة أخرى هي انها تلتزم في أخراجها من مخرجها ، فان انتشر بها اللسان أصبحت ممزوجة بالشين ، وربما نبا بها اللسان فأخرجها ممزوجة بالكاف[٦٦] .

لهذه الاعتبارات يرى الباحث أن الجيم أحق بالتقدمة على غيرها من حروف العربية ، لتطلق عنوانا على كتاب ابتدأ بالهمزة بدلا منها ، أو على كتب ، ذكر المترجمون والمؤرخون انها تسمت بالجيم ، ولم يصل الينا شيء عنها لحد الآن .

ان ما بني من أحكام ، ونتائج على هذه الافتراضات المتقدمة ، لايعدو ان يكون كلاما غير مسند بأدلة ملموسة قوية ، لان الظن لايغني من الحق شيئا .

واذا كان الجيم يحمل أكثر من صفة في مجال أصوات الحروف العربية ، فان سائر الاصوات تحمل صفات ، ربما تكون أبرز من الجيم ، واظهر في نصاعة الصوت ، وصفاته المميزة . فالقاف ـ مثلا ـ حرف مجهور شديد ، من حروف القلقلة ، لهوي ، أقرب الى الغين من حروف الحلق ، اذا يبس ، ومال به المتكلم الى قريب من صوت الكاف[٦٧] خرج حرفا مشقوقا ، وهي اللغة التي يتكلم بها أهل اليمن وكثير من العرب ، وهو شائع في لهجاتنا المعاصرة : وأورد فيه الاقدمون قول الشاعر :

ولا أكول لكدر الكوم كد نفبجت

ولا أكـــول لبـــــاب الدار مكفول

ولو ارتفع به المتكلم الى أقصى اللهاة ، واقترب من حروف الحلق، خرج صوته أشبه بصوت العين ، وهي لغة متقدمة أيضا ، ولها صــدى في لهجاتنا العصرية ... ومثل هذا يقال في أي حرف من حروف العربية.

ثم ان الجيم من خمسة حروف تشترك ـ تقريبا ـ بصفات واحدة من الجهر والشدة ، واخراجها من مخارجها الصحيحة ، فلم كان الجيم وحده هو المختار من بينها ، ولم يختر غيره ؟!

ان كتبــا وضعت في (الضــاد) و (الظاء) و (الصــاد) و (السين) و (الزاي) ، ككتاب « الفرق بين الحـــروف الخمسة : الطاء والضاد والذال والصــاد والسين » لابي محمد عبدالله بن محمد بن الســيد البطليوسي : (٥٢٥ هـ)[٦٨] وكتاب (الفــرق بين الراء والعين) لابن الفرات الدمشقي[٦٩] وكتاب « الظاء والضاد والذال والسين والصاد » لابي الفهد النحوي[٧٠] وكتاب (الظاء) لابي عبــدالله ابن القــــزاز النحوي[٧١] . والضاد والظاء ، للصاحب بن عباد (٣٨٥هـ) ، وهــو مطبوع[٧٢] . وغيرها . وجميعها تعني بدراسة حروف مختارة من سائر الحروف العربية ، فلم لم يخصص كتاب منها في دراسة حروف الجيم اذا كان له هذا الموقع الصوتي البارز بين حروف العربية عند الاقدمين؟!

أن أقامة الابحاث على الافتراضات أمر لايقـره أسلوب البحث العلمي الصحيح ، ولذا فاننا نرى أن تسمية الكتاب بالجيم ، كانت طارئة على ما ألف الشيباني او غيره ـ ان صح انهم الفوا ـ ، وكان القصــد من اطلاقها هو معنى لفظ (جيم) في اللغة ، كما سنرى في المبحث القادم.

المبحث الثالث

الحروف هو الجيم

فيما تقدم ، انتهينا الى الشك في صحة ما ينسب من الكتب بأسم الجيم للنضر بن شميل ــ تلميذ الخليل ــ وأبي عمرو الهروي ــ تلميذ عمرو الشيباني ابن ابي عمرو ــ •

وبقي بين أيدينا كتاب بأسم الجيم ، وهو المنسوب لابي عمرو الشيباني ، ولا طريق الى الشك في نسبة الكتاب الى الشيباني ، لان الاجماع يكاد ينعقد في ان له كتابا في اللغة ، وضعه على صورة المعجم ، ومنهجه •

غير ان الذي يتطرق الشك اليه من أمر هذا الكتاب • هو عنوان الكتاب ، هل سماه الشيباني ــ فعلا ــ باسم الجيم • وما علاقة كتابه الحروف به ؟ ولم ذكر المترجمون أنه كتاب النوادر ، أو اللغات ؟! •

واذا كان الشيباني قد سمّاه (الجيم) فماذا كان مراده من التسمية ؟•

والى القارىء جملة الاقوال التي وردت فيه :

١ ــ قال القفطي : نقلت من كتاب اليمني في طبقات النحاة واللغويين ان كتاب الجيم ، وهو كتاب الحروف الـذي صنفه أبو عمرو ، وجمع فيه الحوشي ، ولم يقصد المستعمل •

قال : « وجميع ما فيه خارج عن كتابه النوادر ، وفيهما علم كثير »[٧٣] .

٢ ــ قال تاج الدين احمد بن مكتوم في تذكرته[٧٤] : « سئل بعضهم : لم سمي كتاب الجيم تصنيف أبي عمرو اسحاق بن مرار الشيباني، بهذا الاسم ، فقال : لان اوله حرف الجيم ، كما سمي كتاب العين، لان اوله حرف العين ، قال : فاستحسنا ذلك ، ثم وقفنا على نسخة من كتاب الجيم ، فلم نجده مبدوءا بالجيم » .

٣ ــ قال ابو الطيب اللغوي : « وأما كتاب الجيم فلا رواية به ، لان ابا عمرو بخل به على الناس ، فلم يقرأه عليه أحد »[٧٥] . ونقل العبارة بعده البغدادي في (تاريخه)[٧٦] ثم نقلها السيوطي في (البغية)[٧٧] .

وزاد أبو الطيب اللغوي في مراتبه : « وهو صاحب كتاب الجيم ، وكتاب النوادر وهما كتابان جليلان .

فأما النوادر ، فقد قرىء عليه ، واخذناه رواية عنه اخبرنا به أبو عمر محمد بن عبدالواحد ، قال : أخبرنا ثعلب عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه .

وأما كتاب الجيم فلا ... »[٧٨] .

٤ ــ قال القفطي : « وصنف أبو عمرو كتاب الحروف في اللغة ، وسماه كتاب « الجيم » ، وأوله الهمزة ، ولم يذكر في مقدمة الكتاب ، لم سماه الجيم ، ولا علم أحد من العلماء ذلك .

ولقد ذكر لي أبو الجود ... الصيداوي ــ نزيل مصر ــ وكان كاتبا يخالط أهل الادب ، والعلم ــ رحمه الله ــ قال : سئل ابن

القطاع السعدي الصقلي اللغوي ـ نزيل مصر ـ عن معنى الجيم، فقال : من أراد علم ذلك من الجماعة ، فليعطني مئة دينار ، حتى أخبره ذلك ، فما في القوم من نبس بكلمة ، ومات ابن القطاع ولم يفدها أحدا » .

« ولما سمعت ذلك من أبي الجود ـ رحمه الله ـ اجتهدت في مطالعة الكتب والنظر في اللغة ، الى أن عثرت على الكلمة ، في مكان غامض من أمكنة اللغة ، فكنت اذاكر الجماعة ، فاذا جرى أسم « الجيم » أقول : من أراد علم ذلك ، فليعط عشرة دنانير ، فيسكت الحاضرون عن هذا القول ، فأنظر الى قلة همة الناس ، وفساد طريق العلم ، ونقض العزم ، فلعن الله دنيا تختار على أستفادة العلوم »[٧٩] .

٥ ـ قال ابن النديم : « وله من الكتب كتاب الجيم ، كتاب النوادر ... كتاب النوادر الكبير على ثلاث نسخ »[٨٠] .

٦ ـ قال الازهري في مقدمة تهذيبه : « وأما أبو عمرو الشيباني ، فاسمه اسحاق ... وكان الغالب عليه النوادر وحفظ الغريب واراجيز العرب ، وله كتاب كبير في النوادر قد سمعه أبو العباس أحمد بن يحيى من أبنه عمرو عنه . وسمع أبو أسحاق الحربي هذا الكتاب ـ أيضا ـ من عمرو بن أبي عمرو ، وسمعت أبا الفضل المنذري يروي عن أبي اسحاق عن عمرو بن أبي عمرو جملة من الكتاب ، وأودع أبو عمر الوراق كتابه أكثر نوادره ، رواها عن أحمد بن يحيى عن عمرو عن أبيه »[٨١] .

٧ ـ قال أبن خلكان : « وله من التصانيف : كتاب اللغات ، وهو

المعروف بالجيم ويعرف ــ ايضا ــ بكتاب الحروف ، وكتاب النوادر وهو ثلاث نسخ ... »[٨٢] .

٨ ــ قال اليغموري في مختصر المقتبس : « وله كتب كثيرة في اللغة جياد ... ومنها كتاب الحروف الذي لقبه بالجيم »[٨٣] .

٩ ــ أما الصاغاني (٦٥٠هـ) فقد وصل بين كتابين للشيباني هما (الجيم) و (الحروف) وجعلهما مصدرين من مصادره في مقدمة (العباب) و (التكملة) ، قال : « وكتاب الحروف لابي عمرو الشيباني وكتاب الجيم ، له » .

١٠ــ ولم يذكر الازهري فيما تقدم كتاب الجيم ، بل اكتفى بالاشارة الى كتاب النوادر الكبير ، وتسكت كثير من كتب التراجم المتقدمة ايضا ، عن ذكره ، كالزبيدي (٣٧٩ هـ) في (طبقات النحويين واللغويين) وأبي بكر بن خير (٥٧٥ هـ) في (فهرسة ما رواه عن شيوخه) ، وابي البركات كمال الدين عبدالرحمن بن محمد الانباري (٥٧٧ هـ) ولم يذكر أحد من المعجميين المتقدمين ، كأبن دريد (٣٢١ هـ) والقالي (٣٥٦ هـ) ، والصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ)، وغيرهم ، كتابا بأسم (الجيم) للشيباني .

● ●

هذه جملة مما قيل في الكتاب ، وما روى عنه من أخبار وما لم يرو ، وقفنا عليها ، لنستشرف منها على الحقيقة التي لم تزل خافية ، تنتظر من يكشف عنها ، ويقدمها فائدة ، للباحث العربي المعاصر .

أن استعراض ما مرّ من أخبار ، وأقوال ، يخلص بنا الى الامور الآتية :

الامر الاول : ان كتاب الجيم ، لم يكن منفردا بهذه التسمية ، بل

شاركتها أسماء أخرى هي : « الحروف » و « اللغات » وجميعها اطلقت على هذا الكتاب الذي عرف بأسمه الاخير : « الجيم » .

الامر الثاني : ان من المتقدمين من لم يذكره في جملة كتبه ، ولكنه ذكر الحروف أو اللغات أو النوادر .

الامر الثالث : ان هذا الكتاب لم يؤخذ رواية ، في حين أخذ اللغويون كتاب النوادر ، بالرواية عنه .

الامر الرابع : أن الجيم ، والنوادر ، والنوادر الكبير والحروف واللغات ، كتب ذكرت لابي عمرو ، كل كتاب منها منفرد عن صاحبه .

فاين موقع الجيم منها جميعا ؟؟

في الواقع : أن الاخبار التي رويت عن أسحاق بن مرار أصابها كثير من التخليط ، والتغيير بحيث يصعب على الدارس تمييزها من بعضها ، أو الوقوف على الصحيح منها .

ويبدو لنا من خلال هذه الاخبار المطروحة أن كتاب (الجيم) هذا ، لم يسمّه صاحبه بأسم الجيم الا وصفا له بالحسن ، والجلال ، لما فيه من لغة ، غريبة ، ونادرة ، يصعب على اللغويين جمعها ، وتقييدها في كتاب ، كما قيدها هو في هذا الكتاب .

وأن أسم الكتاب الاول هو (اللغات) أو (الحروف) .

فأما كونه كتاب (اللغات) ، فذلك واضح فيما نقل فيه مؤلفه من لغات القبائل ، وفيما نسب فيه من أسماء الاعراب الذين روى عنهم مفرداته فيه .

وذلك نحو قوله : «وقال الخثعمي : الحجي : الرّديان ...»(٨٤)

« وقال الخثعمي : الجماج : شجر ... وقال الشيباني : المحصرم ...

وقال التميمي : (وأسفل مني نهدة قد ربطتها) » •

قال التميمي : فأبصرت شخصا نازحا فاستحلته ...[٨٥] وهكذا ، ينطلق أبو عمرو في أيراد المنسوبين الى قبائلهم ، وهم ــ ولا شك ــ أعراب ، قابلهم ، وأخذ عنهم ، ودوّن كل ذلك في كتابه ، ولو كان هؤلاء أئمة لغة ، أو علماء عربية لافصح عن هويتهم ، وأبان عن حقيقتهم ، ولكنهم أفراد من أعراب البادية ، ينتمون الى بضعة قبائل ، جمع لغاتهم ، وسب كل قول منها الى القبيلة ، بطريق أفرادها •

والمتتبع ، لكل حرف من حروف هــذا الكتاب ، يجد : « قال الطائي » و « قال الفزاري » • وقال : « الكلبي » و « الاسـعدي » و « الاكـوعي » و « اليماني » و « الغنـوي » و « العـذري » و « العقيلي » و « القشيري » و « العبسي » و « البحراني » • وليس لاحد منهم غلبة على الآخرين ، وانما ترد اسماؤهم بحسب موقع المفردة التي يفسرها المؤلف ، وعلى وفق منهجه •

وأما تسميته بالحروف ، فذلك واضح في أن الكتاب وضـع في مفردات حوشية ، غريبة ، نادرة ، وهي حروف قليلة الاستعمال في كلام الناس ، ولكنها من اللغة ، تعرفها القبائل ، ويتكلم بها الاعراب ، ويمكننا أن نختار حرفا من حروف الكتاب ، لنجد ما ضم فيه من مفردات ، يغلب عليها طابع الغـرابة والحوشية ، وليكن حرف الزاي : « تقول بنو أسـد[٨٦] : الزمل والزميـل ــ الزهقة ــ التزنم ــ طعام مزءون ــ التزغم ــ الزّرم ــ الزخم ــ الازهاف ــ التزغلم ــ الاوازم ــ التزمرد ــ التزّرى ــ الزفن ــ الزلوه ــ مزيد ــ الزونك ــ الزهنعة ــ أزمل ــ زغزغ ــ زقزقة ــ زكأ ــ تزلج ــ الزيفن ــ الزخمة ــ الزّوير ــ

الزوزجي ــ الزعبلة ــ الازابي ــ الازدفار ــ الازل ــ التزكن ــ المزاملة ــ الازدباء ــ الزجم ــ زكب ــ التزئير ــ الزرد ــ الزيتر ــ الزمج ــ الزبر ــ الازدهاء ــ التزبع ــ الزرزرة ــ الزلزل ــ الزفتة ــ الزازة ــ الزود ــ الزنج ــ الزوافر ــ الزنبرة ــ الزمزيمة ــ الازدجاج ــ الزميل ــ الزمال ــ الزلعة ــ الزيفن ــ الزارة ــ الزلوج ــ الزمكة ... » وهكذا الى آخر الباب .

والملاحظ أنها مفردات غريبة نادرة ، قل أن ترد في عامة اللغـة ، ومستعملها ، ولذلك يصدق عليها ان تكون من باب (النـوادر) أو (اللغات) أو (الغريب) . كما يصدق عليها ان تسمى (الحـروف) وذلك أن (الحرف) يطلق ويراد به (الكلمة المفردة) . وقد ورد على السن اللغويين كثيرا ، يقول الأزهري : « وقد قرأت كتاب العين غـير مرة ... وعنيت بتتبع ما صحف وغير منه ... وستقف على هـذه الحروف اذا تأملتها في تضاعيف الكتاب » . ويقول : « فلا تشكن فيه من أجل أنه زل في حروف معدودة ، هي قليلة في جنب الكثير الذي جاء به صحيحا »[87] .

ويقول في ابن دريد : « وعثرت منه على حروف كثيرة أزالها عن وجوهها ، وأوقع في تضاعيف الكتاب حروفا كثيرة انكرتها ولم أعرف مخارجها .. »[88] .

وهذا الوجه من المعنى لكلمة حرف عرفه اللغويون ، وأطلقوه على الكلمة المفردة .

اما الوجه الثاني لكلمة (حرف) فهو مرادف لكلمة (لغة)[89] .

ولقد ورد في الحديث « نزل القرآن على سبعة أحرف » ، في معنى : سبع

لغات[٩٠] . وفسره صاحب القاموس بقوله : « نزل القرآن على سبعة أحرف : سبع لغات من لغات العرب ... » . ومن هنا فان اطلاق أسم « الحروف أو ما يرادفها ـ وهي اللغات ـ على الكتاب ، واحد في المعنى » .

غير ان أطلاق لفظ : (النوادر) ليكون علما ، على الكتاب ، أمر محتمل ـ أيضا ـ لان الكتاب قد ضم نوادر الحروف التي تستعملها العرب في لغاتها المختلفة ، ولكن الامر الذي يقف حائلا دون ذلك ، هو أن ما روى في كتب اللغة من النوادر المنسوبة الى الشيباني ، ليس لها صدى في كتابه الجيم ، ففي التهذيب : « قال أبو عمرو الشيباني في كتاب النوادر : هك سلحه وسك اذا رمى به ، ونحو ذلك »[٩١] .

وقال السيوطي : « قال أبو عمرو الشيباني في نوادره : الذ ألآن والد ألان ـ بالذال والدال ـ يقال : مريذأل ، ويدأل ، في معنى ، واجدعته وأجذعته : قطعت أنفه »[٩٢] .

« وقال أبو عمرو الشيباني في النوادر : الشناشن : العظام ، ويقال: سناسن »[٩٣] .

فلم أر هذه النصوص في كتابه الجيم ، بل رأيت في حرف الذال : « الذألان : تقريب العدو »[٩٤] . وفرق واضح بين ما جاء في النوادر ، وما أورده في الجيم . ومن هنا كان الجيم يختلف عن النوادر ، غير ان الذين ترجموا له ذكروا ان له كتابين في (النوادر) اولهما ، بعنوان مطلق ، والثاني مقيد بأنه كبير على ثلاث نسخ ، فربما كانت هذه النصوص منقولة من كتابه النوادر الكبير ، وقد وصلت منه نسخة الى عصر السيوطي ، فنقل منها شيئا الى (مزهره) .

وبذلك يصبح الامر معلقاً - أيضاً - حتى يثبت ان كتاب (النوادر) الاول ، هو غير كتاب الجيم .

ومن العجيب ان الازهري - وهو المستقصي لكتب اللغة - في تهذيبه - لم يذكر لابي عمرو الشيباني الا كتابه (النوادر) برواية أبنه عمرو ، مضافا الى كتبه اللغوية الاخرى التي سردنا بعضها فيما تقدم .

فالازهري - اذن - لم يعرف للشيباني الا الكتاب الذي أطلق عليه أسم (النوادر) وهو الذي وصف بأنه على ثلاث نسخ . مما تقدم ، يتحصل عندنا ، أن أبا عمرو كان قد وضع كتابا في لغات العرب ، جمع فيه النوادر ، والحروف الغريبة ، وربما أطلق عليه أسم اللغات ، أو النوادر أو الحروف واسم (الحروف) أو (اللغات) وهما لفظان مترادفان ، يعطيان دلالة واحدة ، ويشيران الى عمل لغوي واحد ، فقد أكد المرزباني والقفطي وابن خلكان انهما كتاب واحد ، وهو المعروف بالجيم ، كما مر . أو هو الذي لقبه بالجيم كما قال المرزباني فذلكما العنوانان هو الاسم الاصلي للكتاب ، وحين رآه كتابا جيداً ، جامعا شاملا لما أراد من لغات العرب ، ونادر الفاظها وكلامها شبهه بالديباج لحسنه في نظره ، وجمال نسجه ، ولفظ الجيم يحمل مدلول (الديباج) كما هو معروف عند أهل اللغة .

وعبارة الفيروزآبادي : ان الجيم - بمعنى الديباج ، سماعاً من بعض العلماء الذين نقلوا بالرواية عن مؤلفه أبي عمرو الشيباني ، تعطينا مصداق ما تذهب اليه ، وقد شرح عبارة القاموس ، مرتضى الزبيدي فقال : « قلت ، نقل المصنف في البصائر ما نصه : قال أبو عمرو الشيباني : الجيم في لغة العرب الديباج ، ثم قال : وله كتاب في اللغة

سماه الجيم ، كأنه شبهه بالديباج لحسنه ، وله حكاية حسنة مشهورة ... » .

وعلق الزبيدي بقوله : « فلو قال المصنف ـ يعني الفيروز ـ : الديباج عن أبي عمرو في كتاب الجيم ، لكان مفيدا مختصرا » وقوله سمعته الى آخره ، يدل على أن المصنف لم يطلع على كتاب الجيم »(٩٥) .

وسواء اطلع الفيروز على الجيم أم لم يطلع ، فان التفاته الى أن اطلاق لفظ الجيم على كتاب (الحروف) تعني وصفه ، بالحسن تشبيها له بالديباج ، لاتسمية ، ولا عنوانا ، هي التفاتة ذكية ، تؤيدها ما روينا من أخبار عن ابن خلكان والقفطي والمرزباني . ولكن الذي يبدو ان هذه الصفة ، هي التي غلبت ، فاصبحت علما على الكتاب ، فيما بعد .

وبذلك يكون ما نقله القفطي من ان الصقلي كان يدعي معرفة سبب تسمية الكتاب بالجيم ، ربما كانت صحيحة ، وربما كان الصقلي ، يدري أن أصل الكتاب ، هو غير ما أطلق عليه من عنوان الجيم ، وما ذكره القفطي ـ نفسه ـ من بحثه عن اسم الكتاب ، ومعرفة حقيقة أسمه(٩٦) لايعدو ان يكون قد عرف أصل التسمية ، ثم وصفه بالجيم . فيما بعد ، ولكنه لم يفصح عن ذلك ، وهو أمر غريب ، يقوي هذا قوله الذي نقلناه ، فيما تقدم وهو : « وصنف أبو عمرو كتاب الحروف في اللغة ، واسماه كتاب الجيم ، وأوله الهمزة ، ولم يذكر في مقدمة الكتاب ، لم سماه الجيم ، ولا علم أحد من العلماء ذلك »(٩٧) .

ويبدو ـ ايضا ـ من كلام القفطي ، ان الكتاب بمقدمة لم يذكر فيها المؤلف اسم الجيم ـ علما ـ على الكتاب ، ولا علل ذلك . والذي

وصل الينا من الكتاب ، نسخةخالية من المقدمة ، تبدأ بالهمزة مباشرة ، فلعله لم يقع على مقدمة للكتاب ، حتى في عصره .

من هذا كله يتقرر لدينا ان ما نقله المترجمون من ان لابي عمرو الشيباني كتبا منها الجيم ، واللغات والحروف والنوادر من غير تمييز بينها ، يكون من قبيل الخلط ، أو التصحيف ، ومن هذا النوع ما رواه الصاغاني في مقدمة العباب حين قال : « وكتاب الحروف لابي عمرو الشيباني ، وكتاب الجيم له »[٩٨] فلعل صوابه : وهو كتاب الجيم ، وذلك واضح من نقول المؤلف الصاغاني .

ومن الكتاب نسخة في الاسكوريال ، صورها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وهي التي حقق بها الكتاب ونشر ـ اليوم ـ .

المبحث الرابع

منهج الجيم

يعد كتاب الجيم ، أول مدرسة الالفباء ، في تاريخ المعجم العربي ، ويندرج تحت مجموعة المعجمات التي تعني بصدر المادة اللغوية : ولما كان الجيم ، أول المعجمات المحتذية ، هذا الحـذو من التأليف ، كان لابد له من أن يقع في هنات منهجية ، تعد من مراحل التطور التي يمر بها كل عمل جديد ، طريف .

والمعروف عند الدارسين أن الترتيب الاول لحروف العربية ، كان على : ابجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ[٩٩]، ونجمع هذه المقطعات ثمانية وعشرين حرفا ، هي مجموع أصـوات العربية .

غير ان التفاتة النصر بن عاصم الليثي (٨٩ هـ) الى ترتيب جديد خاص بالعربية ، كانت بارعة ، استطاع منها ان يضع الحروف متماثلة بالشكل ، متعاقبة بالنقط والاعجام ، فكان من نظامه أن وضع الحروف على الشكل الآتي :

« أ ـ ب ـ ت ـ ث ـ ج ـ ح ـ خ ـ د ـ ذ ـ ر ـ ز ـ س ش ـ ص ـ ض ـ ط ـ ظ ـ ع ـ غ ـ ف ـ ق ـ ك ـ ل ـ م ن ـ هـ ـ و ـ ي » . واختلف بعض العلماء في تقديم الواو على الهاء أو تأخيرها[١٠٠] .

فكان هذا الترتيب معروفا منذ الربع الاخير من القرن الاول الهجري ، فلما تهيأ أبو عمرو الشيباني لوضع كتاب في الحروف ــ اللغات ــ أخذ بهذا النظام ، وجعل صدر كل حرف يورده في كتابه ، مبدوءا بما عقد عليه الباب من حروف العربية ، ولذلك بدأ بالهمزة وسماها (الالف)[١٠١] . وسرد تحت حرف الالف كل المفردات التي جمعها عن العرب ، وفسرها بحسب سماعاته لاستعمالها عندهم .

ويلاحظ على منهجه الامور الآتية :

١ ــ أن أبا عمرو الشيباني التزم بالحرف الاول من كل مادة لغوية ، وهذا يعني أنه يجعل الهمزة بمكان الفاء من الفعل ، غير ناظر الى عينه أو لامه ، ولذلك ، يقع ترتيب الشيباني ان يكون ما بعد الهمزة (واو) ــ كما هو الحال في اللفظة الاولى من حرف الالف (أوق) ثم ما بعدها لام ، كما هو الحال في اللفظة الثانية (ألب) ثم ما بعدها فاء ، كما هو الحال في لفظة (المأفول) الثالثة ... وهكذا ، وكان ينبغي له ، فيما لو التزم ، بموضع العين واللام من الكلمة ان يكون الترتيب على الوجه الآتي : المأفول ــ ألب ــ أوق ... وهكذا .

٢ ــ لم يراع في ترتيب المواد ما عليه المادة اللغوية ، بل ينقل المفردة على ما سمعت من العرب ، ولكنه يضع في الاعتبار ، فاء الكلمة ، اعني ان الشيباني قد ينقل مفردات بصيغ المشتقات ، كأسم المفعول ، أو المصدر الميمي ، أو أسم الاله ، ومن العادة أن تكون مثل هذه الصيغ مبدوءة بحرف مزيد ، كالميم ــ مثلا ــ فانه لا يعبأ بوجود الميم الزائدة ، وينظر الى أصل فاء الكلمة ، فان كان

حرفا يقصده في الباب ، وضع الكلمة فيه وفسرها ولذلك نرى : (المأفول) في حرف الالف ، (المبناة) في الباء[١٠٢] و (ابهل) في الباء – ايضا –[١٠٣] و (متيح) في التاء ، و (المجدح) في الجيم ، و (المحافز) في الحاء و (التحليب) في الخاء و (التدكل) في الدال و (الاندلاع) في الذال المعجمة[١٠٤] ، وهكذا .

وذلك أنه نظر الى أصل المادة اللغوية : أفل – بنى – بهل – تاح – جدح – حفز – حلب – دكل – دلع – غير ان ندور الصيغة ، وغرابة البناء فرضا عليه أن يأتي باللفظة كما رآها على صيغتها واستعمالها عند العرب .

٣ – قد يفسر لفظا ، ويتركه ، ثم يعود اليه ثانية في موضع آخر ، وذلك وان كان قليلا ، الا أنه يعد عيبا في المنهج ، كما ترى في لفظة (الأوق) ، بمعنى الثقل ، فسر ثلاث كلمات غيرها ، ثم عاد اليها ، وهي بمعنى : الجور ، لينقل فيها شاهدا شعريا طويلا[١٠٥] .

٤ – ان الشيباني كثير الاستشهاد بالشعر والرجز ، وقد تطول بعض الشواهد فتصبح مقطعات ، كما هو الحال في تفسير لفظ (الذب)[١٠٦] ، فقد نقل فيها شاهدا من الرجز لابي محمد الفقعسي ، بلغ خمسة عشر بيتا .

والشيباني نادر الاستشهاد بالقرآن والحديث ، بل لا نكاد نجد لهما أثرا في الكتاب .

٥ – ينسب الاقوال الى الاعراب ، أو الى منسوبين الى قبائل من العرب ، وليس في الكتاب نسبة الى عالم من علماء اللغة أو النحو ، ومن

الاعراب : (قال أبو الغمر)[١٠٧] و (قال أبو المشرف) وقال (أبو حزام) وقال (أبو المسلم) ... وغير هؤلاء .

ولقد سبق ان أشرنا الى أنه يكتفي بالمنسوبين الى القبيلة وهذا هو الابين في منهجه ، ويندر جدا أن يقول : « وقال عمر بن الحسين الشيباني »[١٠٨] .

٦ ـ يكثر من نسبة الشعر الى قائليه غير ان ما يترك نسبته منه ، يكتفي فيه بقال ، أو (وانشد) . ولا يألو في أحيان كثيرة ان يضيف الى النسبة تعريفا ، يزيد القائل توضيحا ، كقوله : « وقال نعمان بن الاعرج ، أخو بني سامة بن لؤي :

وقد أبصروا في العاديات لجيبة ... »[١٠٩] .

٧ ـ قد تدل بعض الالفاظ على حدث في واقع العربي في بادينه ، فيحكي الحديث ، وينقل مدلوله في الواقع ، وبذلك يصبح الكتاب ، ذا فائدة اجتماعية ، أضافة الى فائدته اللغوية . وذلك نحو قوله : « العجى ، والواحدة عجية . قطع جلد البعير ، تدفن في الثرى ، حتى اذا تذيا الوبر جلطوه جلطا ، ثم ملوه بالنار ، ثم أكلوه »[١١٠] .

٨ ـ لم يخل الشيباني كتابه من ذكر المواضع والبلدان ، والمواقع العربية ، وذلك كقوله : « الشرم : المكان من البحر ، لايدرك غمره ، ومنه مكان يقال له : شرم جابر »[١١١] .

٩ ـ يتبع القول المنسوب الى قائله ، أقوالا أخرى يصبدرها بـ (قال) ، ويظن ـ غالبا ـ انها أقوال أخرى للقائل نفسه ، نحو قول : « قال الاسعدي : السلق : قاع يجري فيه الماء ... وقال : سرر الغائط .. وقال : هذا سد غيم ، وقال أبو الغسر .. »[١١٢] فمن

قوله : الأسعدي الى بداية قول أبي العمـــر ، ينبغي ان يكون الكلام كله للاسعدي وهذا هو منهجه في جميع الكتاب .

وربما أتبع قول الاعرابي قوله : (وقالوا) ولعله يريد بذلك قبيلته ، كما ترى : « وقال التميمي العـــدوي : السكت ... وقالوا : قد آسخات الورم ... »(١١٣) .

١٠ـ ليست الصيغ التي يفسرها في هذا الكتاب وقفا على الثلاثي ومشتقاته ، بل فسر الى جانبه الرباعي والخماسي ومشتقاتهما ، لان الغاية من الكتاب هو المسموع من الصيغ في لغات العرب ، لا نوع معين منها .

١١ـ لقد وزع أبو عمرو حروفه التي بوّب الكتاب عليها على اجزاء ، جعل في كل جزء جملة مختلفة العدد عن الجزء الـــذي قبله أو الذي يليه ، وسمى كل حرف بابا ، يشير في نهاية كل باب الى الاتنهاء منه بقوله : « هـــذا آخـر الباء »(١١٤) و « آخـــر التاء »(١١٥) ... وهكذا .

وجعل أبو عمرو في الجزء الاول : الابواب : أ ب ت ث جـ وفي الجزء الثاني : الباب الخاص بالحاء وفي أوله : « جزء من كتاب الجيم، فيه الحاء من الاصل ، ومن خط أبي عمرو »(١١٦) وفي آخره : « هذا آخر ما وجدته في أصل أبي عمرو بخطه »(١١٧) .

وفي الجزء الثالث : الخاء والدال والذال المعجمة .

وفي الجزء الرابع : الراء وحدها .

وفي الجزء الخامس : الزاي والسين والشين .

وفي الجزء السادس : الصاد والضاد والطاء والظاء ، وأول العين.

وفي الجزء السابع : بقية العين ، والغين[118] .

وفي الجزء الثامن : الفاء والقاف .

وفي الجزء التاسع : الكاف واللام .

وفي العاشر : الميم والنون والهاء والواو والياء[119] .

الخلاصة :

كتاب الجيم ، لابي عمرو اسحاق بن مرار ، الشيباني المعروف بالاحمر ، من علماء القرن الثاني الهجري ، لم يكن في أول وضعه معروفا بأسم الجيم بل كان أسمه (الحروف) أو (ساللغات) وهما لفظان مترادفان ، يأتيان في معنى واحد . كان الشيباني وضعه قصدا الى جمع لغات العرب ، النادرة التي قل استعمالها في الكلام ، وعمد في هذا الكتاب الى نسبة كل حرف يتقلو فيه الى القبيلة التي اخذه عنها ، ولذلك كثر في كلامه : قال الفزاري ، وقال الزيدي ، وقال الغنوي ، وما أشبه هذه النسب .

وحين رأى ان كتابه حسن في بابه ، جيد في نسجه ، وترتيبه على حروف الهجاء ، أطلق عليه صفة تدل على حسنه وكماله ، فسماه (الجيم) ـ يعني الديباج ـ أدلالا به ، وافتخارا بما فيه من اللغة التي تعذر على كثير من العلماء غيره جمعها ، وتدوينها ، كما جمعها ودونها .

ويبدو ان الشيباني كان كثير الاعتزاز بهذا الكتاب ، وكان يرجو ان يخرج تاما ، مستوعبا لكل اللغات ، فحرص على أن يبقى

مستورا عن القراء ، عدو" اد العلم ، فلم يتيسر لاحد أن يقرأه عليه ، مما حدا ببعض المترجمين أن يصفوا الشيباني بالبخل والضن به ، وما أظنه كذلك وهو الذي أخرج الى الناس دواوين الشعر العربي حتى ابن هرمة ، وقرأ الناس عليه كتبه الاخرى كالنوادر وبلغ به التواضع العلمي الى أنه يأخذ ممن كان يتتلمذ على يده ، ويقرأ كتب طلبة العلم عنده ، كأبن السكيت .

ان كتاب الحروف او اللغات ، كتاب رواية لغية ، وإن اطلاق (لفظ الجيم) جاء وصفا لحسنه وتمام نسجه في نظر مؤلفه ولا علاقة بين منهج الكتاب وترتيبه على الحروف ، وبين حرف الجيم ، كما ذهب أبن مكتوم .

---

(١) في طبقات الزبيدي : ٢١١ وجاور بني شيبان فنسب اليهم . وورد في مقدمة تهذيب اللغة : مراد ـ بالدال ـ وهو تصحيف وقع فيه الازهري . أنظر مراتب النحويين : ٩١ـ٩٢ .

(٢) ويقول ياقوت (الارشاد : ٢/٢٢٢) : « وانما قيل له الشيباني ، لانه كان يؤدب ولد هارون الرشيد الذين كانوا في حجر يزيد بن مزيد الشيباني فنسب اليه » .

(٣) في الارشاد : ٢/٢٣٤ عن ابن السكيت : ١١٨ سنة .

(٤) الارشاد : ٢/٢٣٤ .

(٥) الارشاد : ٢/١٣٤ـ٢٣٥ .

(٦) الارشاد : ٢/٢٣٤ .

(٧) انظر مقدمة الابياري للجيم : جـ١/ص٦ فما بعد .

(٨) المراتب : ص٩١ـ٩٢ .

(٩) الارشاد : ٢/٢٣٤ .

(١٠) نفسه : ٢/٢٣٦ .

(١١) تاريخ بغداد : ٦/٣٢٩ ·
(١٢) الارشاد : ٢/٢٣٦ · وطبقات الزبيدي : ٢١١-٢١٢ ·
(١٣) مراتب النحويين : ١ ·
(١٤) نزهة الالباء : ٦٢ ·
(١٥) أنظر : مقدمة كتاب الجيم : لابي عمرو الشيباني : ١/٥-٤٨ · وانظر ما كتبه الدكتور حسين نصار في المعجم العربي حول الجيم ومؤلفه · وتاريخ بروكلمان : ١/١١٦ وتاريخ آداب اللغة - زيدان: ٢/١٢٢-١٢٣ ، والمجلة الاسنيوية الملكية (سنة : ١٩٢٤) الصفحات: ٢٦٩ و٢٧٠ وسنة ١٩٢٥ الصفحات : ٧٠١ الى ٧٠٦ ، والازهري في كتابه تهذيب اللغة في مواضع كثيرة من الكتاب (وهو رسالة دكتوراه للمؤلف) · فضلا عما ذكرته الكتب المتقدمة ، ولا سيما كتب اللغة والتراجم ·
(١٦) ينظر كشف الظنون : ١٠٤-٧٢٢-١٢٠٩-١٣٨٣-١٤١٠-١٤١٥-١٤٦٦-١٩٨٠ ، والفهرست : ٦٨ والارشاد : ٢/٢٣٥ ، ومقدمة
(١٧) في الارشاد : (عمل كتاب شعراء مضر وربيعة ····· الى ابن هرمة) : ٢/٢٣٦ ·
(١٨) تاريخ بغداد : ٦/٣٢٩ ·
(١٩) الارشاد : ٢/٢٣٦ ·
(٢٠) أنظر الارشاد : ٢/٢٣٤ ، وابن خلكان : ١/٢٠٠ ·
(٢١) مقدمة التهذيب · للازهري · ونزهة الالباء : ٦٢ ·
(٢٢) انظر الجزء الاول من مقدمة خزانة الادب : (ط بولاق) ·
(٢٣) تهذيب اللغة : ٢/٢٩٩ ·
(٢٤) التهذيب : ١/٣٣١ و٧/ ٢١ ·
(٢٥) النزهة : ٦١ ·
(٢٦) الارشاد : ٢/٢٣٥ ·
(٢٧) ذكره جملة من المترجمين : ابن خلكان : ١/٢٠١-٢٠٢ والوافي ٨/٤٢٦ واسماعيل باشا في الهدية : ١/١٩٧ ·
(٢٨) هدية العارفين : ١/١٩٧ ·
(٢٩) الفهرست : ٦٨ ·
تهذيب اللغة : ١/٦ فما بعد ·
(٣٠) فهرسة أبي بكر خير : ٣٧٠-٣٧١ ·

(٣١) وفي هدية العارفين : النخلة ، وربما كان صحيحا ، وانظر الوفيات : ٢٠٢/١ .
(٣٢) انظر مقدمة الجيم : ٣١/١ .
(٣٣) الانباه : ٢٢٥/١ـ٢٢٦ .
(٣٤) نفسه : ٢٢٦/١ .
(٣٥) انظر فهرسة ابي بكر بن خير : ٣٢٣ـ٣٢٦ و٣٧١و٣٧٢ـ٣٧٩ و ٣٨٠ .
(٣٦) وانظر الوافي بالوفيات : ٤٢٦/٨ .
(٣٧) تهذيب التهذيب : ١٨٤/١٢ .
(٣٨) وكذا في تاريخ بغداد : ٣٣١/٦ .
(٣٩) الارشاد : ٢٣٦/٢ـ٢٣٧ .
(٤٠) الجيم : ١٢/١ .
(٤١) انظر : تاريخ بغداد ٣٢٩/٦ .
(٤٢) تاريخ بغداد : ٣٢٩/٦ ومراتب النحويين : ٩١ .
(٤٣) الارشاد : ١٢/٢ .
(٤٤) المزهر : ٤٦/١ .
(٤٥) انباه الرواة : ٣٥٢/٣ وارشاد الاريب : ٢٢٣/٧ والفهرست لابن النديم : ٦٨ .
(٤٥م) التهذيب : ١٢٨/١
(٤٦) نزهة الالباء : ٥٧ .
(٤٧) الارشاد : ٢٢٧/٦ .
(٤٨) الارشاد : ٢١٨/٧ .
(٤٩) ذكر صاحب الكشف (المدخل) : ١٤٤٣ .
(٥٠) النزهة : ٥٧ـ٥٨ .
(٥١) تهذيب اللغة : ١٢/١ .
(٥٢) انظر التهذيب في ترجمته : ١٧/١ .
(٥٣) نفسه : ٢٥/١ .
(٥٤) التهذيب : ٣٦/١ .
(٥٥) بغية الوعاة : ٤/٢ـ٥ .
(٥٦) الانباه (جـ٢/قسم٤/لوحة ٤٥٤) ، المخطوط .
(٥٧) الازهري في كتابه تهذيب اللغة : (رسالة الدكتوراه) : ٥٤٥ .

(٥٨) الانباه لوحة : ٤٥٤ـ٤٥٥ ٠
(٥٩) التهذيب : ١/٣٣١ و ٧/٢١٩ ٠
(٦٠) نفسه : ٣/٧ ٠
(٦١) نفسه : ١/١٤٢ـ١٤٣ ٠
(٦٢) الجيم : ١/٣٨ـ٤٠ ٠
(٦٣) الجيم : ١/٥٣ ٠
(٦٤) ذكره ابن النديم ـ ايضا ـ : ٥٢ ٠
(٦٥) الجيم : ١/٣٩ـ٤٠ ٠
(٦٦) نفسه : ١/٤١ ٠
(٦٧) القلب : ابن السكيت : ٣٧ ٠
(٦٨) فهرسة أبي بكر بن خير : ٣٦٣ ٠
(٦٩) نفسه : ٣٨٥ ٠
(٧٠) نفسه : ٣٦٣
(٧١) نفسه : ٣٦٢ـ٣٦٣ ٠
(٧٢) ببغداد طبعه محمد حسن آل ياسين ٠
(٧٣) الانباه : ١/٢٢٦ ٠
(*) العباب : ج١/٣٠ ٠
(٧٤) المزهر : ١/٤٦ وبغية الوعاة : ١/٤٣٩ ٠
(٧٥) المراتب : ٩١ ٠
(٧٦) تاريخ بغداد : ٦/ ٣٢ ٠
(٧٧) بغية الوعاة : ١/٤٤٠ ٠
(٧٨) المراتب : ٩١ـ٩٢ ٠
(٧٩) الانباه : ١/٢٢٥ ٠
(٨٠) الفهرست : ٦٨ ٠
(٨١) تهذيب اللغة : ١/١٣ ٠
(٨٢) وفيات الاعيان : ١/٢٠١ـ٢٠٢ (ط : احسان عباس) ٠
(٨٣) نور القبس : ٢٧٧ ٠
(٨٤) الجيم : ١/٢٣٠ ٠
(٨٥) نفسه : ١/٢١١ ٠
(٨٦) الجيم : ٢/٥٩ ـ فما بعد ٠
(٨٧) التهذيب : ١/٣٩ ٠

(٨٨) نفسه : ١/ ٣١ ٠
(٨٩) اللسان (حرف) ٠
(٩٠) التهذيب : ٥/١٣-١٤ والقاموس ٣/ ١٣١ (حرف) ٠
(٩١) التهذيب : ٥/ ٣٤١ ٠
(٩٢) المزهر ١/ ٢٦٠ ٠
(٩٣) نفسه : ١/ ٢٦١ ٠
(٩٤) الجيم : ١/ ٢٨٠ ٠
(٩٥) تاج العروس : ٨/ ٢٣٦ (جيم) ٠
(٩٦) الانباه : ١/ ٢٢٥ ٠
(٩٧) نفسه : ١/ ٢٢٤ ٠
(٩٨) انظر : الحروف : للخليل بن أحمد - وهو غير الخليل المعروف - (تحقيق عبدالتواب) : ٧ ٠
(٩٩) المزهر : ٢/ ١٧٧-١٧٩ ٠
(١٠٠) انظر ترتيب أساس البلاغة مثلا - للزمخشري ٠
(١٠١) الجيم : ١/ ٥٣ ٠
(١٠٢) الجيم : ١/ ٨٥ ٠
(١٠٣) نفسه : ١/ ٨١ ٠
(١٠٤) نفسه : ١/ ٢٧٨ ٠
(١٠٥) جـ١/ص٥٣ ٠ وانظر مادة (اجحف به) ١/ ١١٤ و ١/ ١٢٥ ٠
(١٠٦) الجيم : ١/ ٢٧٨ ٠
(١٠٧) الجيم : ١/ ٣٠٤ ٠
(١٠٨) نفسه : ١/ ٣٠٥ ٠
(١٠٩) نفسه : ٢/ ٢١٨ ٠
(١١٠) نفسه : ٢/ ٣٢٠ ٠
(١١١) نفسه : ٢/ ١٥٧ ٠
(١١٢) نفسه : ٢/ ١٠٧ ٠
(١١٣) نفسه : ٢/ ١١٢ ٠
(١١٤) الجيم : ١/ ٩٦ ٠
(١١٥) نفسه : ١/ ١٠٢ ٠
(١١٦) نفسه : ١/ ١٣٩ ٠

(١١٧) نفسه : ٢١٨/١ .

(١١٨) انظر : جـ٢/ص٢٨٦ وما بعد .

(١١٩) انظر في منهج الجيم الصحاح ومدارس المعجمات : لعطار : ٩٢ فما بعـــد .

الباب الثالث

كتاب العين

كما عرضنا فيما سبق لمشكلة ، وضع الجيم ، وتسميته ووصفه ، وبعض ما يتعلق بمنهجه ، نقدم ــ هنا ــ كتاب العين ، الذي أختلف الدارسون في مؤلفه الحقيقي ، ومنهجه العسير في ترتيب حروفه ، وتنظيم مواده .

وكتاب العين أكثر شهرة من الجيم ، واكثر سيرورة في انحاء العالم المعروف ــ يومئذ ــ بل ان هذا الكتاب ، قد روى بسلسلة رواية ذكرها المتقدمون ممن عنوا بالعين أو تحدثوا عنه ، أو درسوه ، كما هو الحال عند أبي بكر بن خير في فهرسته .

ولكن الذي حصل ان تناقضا كبيرا وقع فيه أصحاب المعجمات ممن اعتمدوا الكتاب مصدرا ، فنسبه بعضهم الى الخليل بن أحمد ، ونسبه آخرون الى الليث بن المظفر وذهب آخرون مذاهب يضرب بعضها بعضا في واضع الكتاب الحقيقي .

ولما كان رأس من ينسب اليه الكتاب ، هو الخليل بن احمد ــ على وفق مذهب أكثر الدارسين ــ سواء منهم من ذهب الى أنه وضعه بيده جملة ، أم من ذهب الى أنه المؤسس لمنهج الكتاب ــ أم من ذهب الى أنه عمل قطعة منه من أول الكتاب ، أم من ذهب الى انه أتم حرف العين منه ، ومات قبل أتمام سائر الحروف ، ينبغي ــ أذن ــ ان

نقدم بشيء مركز موجز عن حياته ، ثم نتبعه بشيء من الحديث عن الليث بن المظفر الذي زعم بعضهم أنه أتم الكتاب بعد مؤلفه ـ أو ألفه على المنهج الذي أسسه له الخليل ، أو أعاد تأليفه ، بعد ان نكب به في أحراقه من ابنة عمه .. أو ما أشبه هذه الاقوال التي طرحها الدارسون الاقدمون .

ولست أريد هنا ان اعتمد أقوال المحدثين من الدارسين ، لانني أعلم ان الدكتور حسين نصار قد بحثه بحثا مستفيضا في كتابه المعجم العربي ، كما بحثه الدكتور عبدالله درويش محقق العين ، وبحثه أحمد عبدالغفور عطار والدكتور مهدي المخزومي ، وجملة أخرى من الباحثين ، وكانت مذاهبهم مختلفة ، كما كانت مذاهب المتقدمين . ولذلك حرصت على جمع ما يتعلق بالكتاب من أخبار للمتقدمين ومن مذاهب مختلفة في حقيقته .

وأهم ما ساعتني به من دراسة حول الكتاب هو رحلته في الافاق ، وعناية العلماء بدراسته ونقده ، والتأليف حوله .

وأرجو ان أقدم للقارىء شيئا يفيد منه في دراسات مقبلة له أو لغيره ، أولنا ، والله الموفق .

الفصل الاول

بين الخليل والليث

أولا : الخليل بن أحمد

هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ، ابو عبدالرحمن الفراهيدي ـ وقد يلقب ـ بالفرهودي ، نسبة الى بعض فراهيد بن مالك بن فهم بن عبدالله بن مالك بن مضر ، الازدي البصري[1] . فهو عربي أرومة، يرجع نسبه الى عرب اليمن .

ولد الخليل سنة ١٠٠ هجرية ونشأ بالبصرة ، وكانت مهـــدا للمشتغلين بالعلم والثقافة ، فلقي جملة من العلماء كأبي عمرو بن العلاء وعيسى وأيوب وعاصم الاحول ، واستكثر عنهم وساعده على التقدم في مضمار الثقافة والفكر ، وأستيعاب علوم العصر ، فكر ثاقب ، وذهن وقاد ، وفطنة ، وذكاء حاد ، حتى أصبح واحدا ممـــن يشار اليه في التقدم . نقل الاصفهاني عن علماء اليمن ، فقال : « علماء اليمن سبعة : محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام ، والهيثم بن عدي ، والشرقي ابن القطامي ، وعوانة بن الحكم الكلبي ، ومحمد بن عمر بن واقـــد الاسلمي ، وابو زيد الانصاري .. » ثم قال :

« فهؤلاء على جلالة أخطارهم ، ونفاسة علمهم ، لو جمعوا كلهم في صعيد واحد لم يعشروا الخليل ، ولا نالوا في العلم أدنى درجاته ، وما ظنكم برجل تولاه كل جيل ، ومال اليه كل فرقة ، حتى خـــلا في

صدورهم ، فمنحوه الذكر الجميل بألسنتهم »[٢] .

ولم يكتف الاصبهاني بتفضيله على هذه الجملة المتقدمة من علماء اليمن ، بل فضله على علمـــاء البصرة ، كأبن دأب الكناني وزيد بن غياض ، وأبي بكر الهذلي ، وابي عمرو بن العلاء ، والنضر بن شميل، وأبي عبيدة والاصمعي ومحمد بن اسحاق ، وابي اليقظان من ربيعـة مالك[٣] . وكان الخليل يعد أقبالا لدولة العرب على العلم والمعرفة ، يقول الاصبهاني : « قالوا : فالاقبال ساق الى دولة العـــرب مثـــل الخليل .. »[٤] .

ووصف بانه لم يكن قبله ولا بعده مثله[٥] . وكان أعلم الناس واذكاهم ، وأفضل الناس واتقاهم ، وكان في الذكاء عند العرب بمنزلة ابن المقفع في العجم .

لقد عرف الخليل بعفة النفس والاباء ، والترفـــع ، مع قلة ذات أليد ، ولقد كان الملوك يقصدونه ، ويتعرضون له لينال منهم ، فلم يكن يفعل ، وكان يساعده على العيش بستان له ، خلفه عليه أبوه بالخريبة[٦] .

وفي ذلك يروى المترجمون له قصة تدل على تزهده ، وترفعه عن مداهنة الملوك ، والاستجابة لما يطلبون منه ، وجه اليه مرة ــ سليمان ابن علي والي الاهواز لتأديب ولده ، فأخرج الخليل لرسول سليمان خبزا يابسا ، وقال : ما دمت أجده فلا حاجة بي الى سليمان ! فقـــال الرسول : فما ابلغه عنك ، فقال :

ابلغ سليمان أني عنه في ســــعة
وفي غنى غير أني لســـت ذال مال

سخي بنفسي أني لا أرى أحدا

يموت هزلا ، ولا يبقى على حال

والفقر في النفس لا في المال تعرفه

ولا يزيدك فيه حول محتال[٧]

ولاشتهاره بهذه النفس العالية الزاهدة ، والرغبة عن الدنيا ، وذوي الجاه ، عدّ واحدا من زهاد الدنيا ونساكها ، حتى كان النضر ابن شميل يقول : « كنا نمثل بين ابن عون والخليل بن أحمد ، أيهما نقدم في الزهد والعبادة ، فلا ندري ايهما نقدم ، وكان يقول : ما رأيت رجلا أعلم بالسنة بعد ابن عون من الخليل بن احمد . وكان يقول : أكلت الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبه ، وهو في خص لايشعر به ، وكان يحج سنة ، ويغزو سنة ، وكان من الزهاد والمنقطعين الى الله ـ تعالى ـ وكان يقول : ان لم تكن هذه الطائفة أولياء الله ـ تعالى ـ فليس لله ولي »[٨] .

وقال فيه سفيان الثوري : « من أحب أن ينظر الى رجل خلق من الذهب والمسك ، فلينظر الى الخليل بن احمد »[٩] .

وذهب بعض في عقلية الخليل ، ومنهجه الفكري الى أن عدّه من فلاسفة الاسلام ، فأحمد بن الطيب ـ وهو فيلسوف عصره ـ « كان يعدّ الخليل من فلاسفة الاسلام مع أستاذه أبي يوسف الكندي »[١٠].

هذه الصفات المجتمعة في شخص أبي عبدالرحمن الفراهيدي ، جعلت منه ،مرجع الروّاد ، ومصدر علوم العربية ، ومآل نشدة المعرفة، وطلاب العلم والادب ، ولم يكن له رأس مال يتعامل به مع الناس سوى كتبه ومؤلفاته ، أما ذخيرته التي ينفق منها ، فالعلم الذي حواه

صدره ، وكان قوله دائما : « أجعل ما في كتبك رأس مالك ، وما في صدرك للنفقة »(١١) .

وكما عرف بالزهد والقناعة ، وثبات الدين ، والفكر والفلسفة ، وسعة العلم ، والحكمة(١٢) ، اشتهر بالاشتغال في أمور أخرى كثيرة ، كاللحون والانغام ، والرياضيات وساعده اشتغاله في هذه المضامير أن ألف كتبا فيها وأبتدع علوما ، كانت خافية على عصرييه من علماء العربية والادباء والمفكرين ، من ذلك كشفه عن بحور الشعر العربي ، ووضعه كتابين في العروض ، وانتهاجه طريقة لحصر لغة العرب ، في نظام رياضي دقيق ، حفظه لنا ، الكتاب الذي اشتهر بأسم العين .

يقول حمزة الاصفهاني : « أما الخليل فليس ما يحكى عنه بعيب راجع عليه ، فانه كان منتحلا لعلم اللغة ، لا علم الجدل ، بذلك عرف ، طول دهره ، وبعد : فان دولة الاسلام لم تخرج البدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل ، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عن حكيم أخذه ، ولا على مثال تقدمه، احتذاه وانما اخترعه من ممر له بالصفّارين من وقع مطرقة على طست ليس فيها بيان ولا حجة يؤديان الى غير حليتهما أو يفسران غير جوهرهما ، فلو كانت أيامه قديمة ورسومه بعيدة لشك فيه بعض الامم لصنعته ما لم يصنعه أحد من خلق الله في الدنيا من اختراعه العلم الذي قدمنا ذكره ، ومن تأسيسه بناء « كتاب العين » الذي يحصر لغة أمة من الامم قاطبة ، ثم من أمداده سيبويه من علم النحو بما صنف منه الكتاب الذي هو زينة لدولة الاسلام ، وفلسفة تتسحب بها العرب على كل أمة »(١٣) .

وذهب حمزة الى أن له في الشطرنج والنرد والغناء والايقاع ، والكلام والجدل ، يدا طولى ، بحيث كان له أثر في تغيير قوانين بعضها ، وتطوير البعض الآخر منها[14] .

واذا كان هذا هو الرأي السائد في جمهور العلماء والمؤرخين في شخصية الخليل : الرجل والعالم ، والمفكر . فان ما ينقل عن الجاحظ (٢٥٥ هـ) ورأيه في كتب الخليل وعلمه شيء لايعتد به ، ذلك أن الخليل قد وضع كتابا في (المعمى)[15] بعد قراءة كتاب مكتوب باليونانية ، اذ خلا به شهرا ، ففهمه ، ووضع على أساسه ذلك الكتاب . فقال الجاحظ : « ليس المعمى بشيء ، قد كان كيسان مستملي أبي عبيدة يسمع خلاف ما يقال ، ويكتب خلاف ما يسمع ، ويقرأ خلاف ما يكتب ، وكان أعلم الناس باستخراج المعمى ، وكان النظام ، على قدرته على أصناف العلوم ، لايقدر على استخراج أخف ما يكون من المعمى » .

ومراد الجاحظ من هذا كله : أن من له بسطة في معرفة المعمى ، لايعني أن له بسطة في العلم والمعرفة ، فاذا كان الخليل صاحب معمى ، فما هو بذاك في نظره .

وفي هذا القول ما فيه من التحامل على الفراهيدي ، ولذلك أشار ابن نباته الى هذه الصفة ، فقال : « وللجاحظ تحامل على مصنفات الخليل »[16] .

ان ما قيل في عقلية الفراهيدي ، وفطنته وذكائه ، وما روى من أخبار قد تكون موضوعة ، ليست الا تعبيرا عما في نفوس معاصريه من مكانة ، ووزن ، كانوا يزنون به الخليل ، ولما كانوا يجدون فيه من

منطق وأدب ، وعلم ومعرفة ، تميز بهما عن علماء العصر .

ولقد توفي الخليل سنة : ١٧٠هـ وقيل : غير ذلك[١٧] . وبقي بعده تلاميذ كثيرون ، يروون عنه ، وينقلون آراءه وافكاره الى الذين جاءوا بعدهم . كما خلف كتبا ، سنأتي على بعض ما ذكر منها في تضاعيف كتب التراجم .

أما تلاميذه ، فهم كثيرون ، ذكر المترجمون منهم :

- النضر بن شميل بن خرشة بن كلثوم ، لازم الخليل مدة وخرج الى البادية ، وروى اللغة ، توفي سنة : ٢٠٤هـ .
- الليث بن المظفر ، وينسبه المترجمون الى النصر بن سيار ، والي خراسان ، أخذ عن الخليل منهج تأليف العين ، ورواه عن الخليل. يقول أبو الطيب : « الليث بن المظفر بن نصر بن سيار صاحب الخليل »[١٨] ، وسنوسع في ترجمته بعد الانتهاء من ترجمة الخليل .
- محمد بن مناذر ، أخذ عن الخليل الادب واللغة ، وتوفي سنة : ١٩٨هـ[١٩] .
- يحيى بن المبارك بن المغيرة ، أبو محمد اليزيدي ، أخذ عن الخليل اللغة والعروض ، توفي سنة : ٢٠٢هـ ، بخراسان[٢٠] .
- ولاد ، وهو الوليد بن محمد ، سمع من الخليل بالبصرة ، ثم انصرف الى مصر ، وبها توفي[٢١] .
- مؤرج بن عمرو السدوسي ، أبو فيد بن عمرو بن الحارث بن منيع ، صحب الخليل ، وكان يحفظ ثلثي اللغة ، في حين كان الخليل كما يقول المتقدمون يحفظ ثلثها[٢٢] . وتوفي سنة :

(١٩٥ هـ) .

- مروان بن سعيد بن عباد بن حبيب ، كان أحد أصحاب الخليـل المتقدمين في النحو[٢٣] .

- سيبويه ، آبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، امام نحاة البصرة ، أخذ عن الخليل ، علم النحو ، وحفظه في (الكتاب) وتوفي سنة: ١٨٠هـ . ويروى عن ملازمته للخليل أنه كان يستملي على حماد ابن سلمة بن دينار ، قوله ـص ـ « ما من أحد من أصحابي الا من لو شئت ، لاخذت عنه علما ليس أبا الدرداء » ، فقال سيبويه: « ليس أبو الدرداء » فقال له حماد : لحنت ياسيبويه : ليس أبا الدرداء . فقال : لاجرم ، لاطلبن علما لاتلحنني فيه أبدا ، فطلب النحو ، ولزم الخليل بن احمد »[٢٤] .

- علي بن نصر الجهضمي : (١٨٧ هـ) . وكان من تلامذة الخليل ، وقد أخـــذ عنه أبنه نصر بن علي ، وروى عنه ـ الزبيدي في الطبقات ـ . وقد يخطىء بعض المؤرخين ، فيظن ان نصرا هو من تلاميذ الخليل ، كما نقل عن القالي ، قوله : (وقد غبر اصحاب الخليل بعد مدة طويلة ، لايعرفون هذا الكتاب ، ولا يسمعون به ، منهم النضر ، ومؤرج ، ونصـــر بن علي ، وأبو الحسن الاخفش ، وأمثالهم ...)[٢٥] وفي المراتب[٢٦] : ان نصرا يروى عن علي .

- الاخفش سعيد بن مسعدة أبو الحسن النحوي البصري . يذكر المترجمون أنه أخذ عن سيبويه ، ولم يأخذ عن الخليل مع انـه كان أسنّ من سيبويه . توفي سنة : ٢٢٣هـ[٢٧] ، ونرجح انه لقي

الخليل وأخذ عنه ، وذلك واضح من كلام الزبيدي في طبقاته « كان سعيد بن مسعدة أكبر من سيبويه ، وصحب الخليل قبل صحبته لسيبويه »(٢٧) .

- علي بن حمزة الكسائي ، أبو الحسن النحوي المقرىء الكوفي لزم معاذ الهراء ، فاستنفد ما عنده ثم لزم الخليل ، ثم دخل البادية ، فما عاد منها حتى مات الخليل ، توفي سنة (١٨٩هـ)(٢٨) .
- الاصمعي ، عبدالملك بن قريب أبو سعيد : (٢١٦هـ) ، ذكروا انه أخذ عن الخليل ومن في طبقته ، وحكوا عنه « أنه آراد أن يقرأ عليه العروض ، وشرع في تعلمه ، فتعذر ذلك عليه ، فيئس الخليل منه فسأله عن معضوب الوافر ، فقال له : يا أبا سعيد ، كيف تقطع قول الشاعر :

اذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

فعلم الاصمعي ان الخليل قد تأذى ، لبعده عن علم العروض فلم يعاوده فيه(٢٩) .

وتذكر كتب التراجم عن جملة صالحة من علماء الكوفة والبصرة أنهم رأوا الخليل وجلسوا في حلقته ، وسمعوا منه ، لسنا هنا في تحديد عددهم ، أو استقصائهم .

ماذكر من تصانيف للخليل :

يبدو من خلال الروايات الكثيرة ، حول ما خلف الخليل من تآليف في أنواع المعارف والفنون ، أنه ألف تصانيف كثيرة كانت متاعا علميا ثرا ، وزادا ثقافيا لطالبي العلم والمعرفة ، حتى كان النضر بن شميل يقول في كتبه : « أكلت الدنيا بعلم الخليل بن احمد

وكتبه »[٣٠] .

وما نظن أن قولا مثل هذا يطلقه تلميذ قريب من الخليل ، عارف بدقائق حاله ، وعلمه ، يكون منحولا أو مفتعلا ، بل نظن أن النضر كان يحكي لنا واقعا عاشه الناس في عصر الخليل ، فقد كان الخليل « في خص لايشعر به » وكتبه تسير في الناس ، يتدارسها التلاميذ ، ويدرسها الشيوخ في المساجد وحلقات الدرس .

وربما كان لابتعاد الخليل عن قصور السلاطين ، والتزامه بيته أو حلقات الدرس ما يوفر له الوقت الكافي للابداع ، والانتاج والتأليف ، فابدع علوما ، ودوّن علوما ، سارت في الناس وتكفلت له بالشهرة ، وذيوع الصيت ، وعلو المكانة ، ولقد عرف له هذا الفضل من جاء بعده ، فذكروه بالتقدم ، والفضل . حكوا عن اسحاق بن ابراهيم ، حين وضع كتابه النغم واللحون فعرضه على ابراهيم بن المهدي ، فقال له : لقد أحسنت يا أبا محمد ، وكثيرا ما تحسن .

فقال اسحق ، بل أحسن الخليل ، لانه جعل السبيل الى الاحسان، فقال ابراهيم : ما احسن هذا الكلام ممن أخذته ؟ قال : من ابن مقبل، اذ سمع حمامة فاهتاج وقال :

ولو قبل مبكاها بكيت صبابة اذا لشفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهاج لي البكا بكاها، فقلت: الفضل للمتقدم[٣١]

ولم يقف المترجمون عنايات الخليل على فن من الفنون[٣٢] ، وهو ذلك الحكيم المجرب ، العارف ، الذي رويت له أقوال تنم عن سعة عقل ودقة ملاحظة ، ووفور حكمة وتجربة ، وهو القائل : « ان شبرا من الارض لا يضيق على المتحابين ، والارض برحبها لا تتسع

متباغضين » . والقائل : « نوازع العلم بدائع ، وبدائع العلم العقل ، ومن استغنى بما عنده جهل ، ومن ضم الى علمه علم غيره ، كان من الموصوفين بنعت الربانيين »[٣٣] . بل ذكروه متقـــدما في كل فن ، ومعرفة ، أبداعا وتأليفا . ولسنا نعتقد صحة ما يروى عن أبي جعفر الرؤاس ، من أن الخليل بعث اليه يطلب منه كتابه (الفيصل) ، فقرأه الخليل فتأثر به ، ووضع كتابا في اللغة على منواله ، فالرواية منتحلة ، والخبر مكذوب ، كما سبق ان أشرنا[٣٤] .

ومن هنا ، فانا يمكننا ان نصدق الاخبار التي روتها كتب الادب واللغة ، حول ما وصل الينا من اسماء كتب ، نسبت الى الخليل ، وربما، لو ساعد المقدور لكشف الزمن عن هذا التراث الذي تلاعبت به أيدي العبث . وما وصل من أسماء الكتب لابي عبدالرحمن الفراهيدي هي:

١ ــ العين : وحوله شكوك ، وأخبار متضاربة ، سنقف عليها ، فيما بعـــد .

٢ ــ الجمل : وهو كتاب في النحو ، وقد شك فيه المتقدمون ونسبوه لابي بكر بن شقير . قال ياقوت : « قرأت كتاب ابن مسعدة ، أن الكتاب الذي ينسب الى الخليل ، ويسمى الجمل : انـــه من تصنيف ابن شقير هذا . قال : يقول فيه : النصب على اربعـــين وجها ... »[٣٥] .

وليس في الخبر ما يشير الى أن ياقوت ، قد رأى الكتاب بل قرأ عنه في كتاب ابن مسعدة ، أنه ينسب لابن شقير ، وابن شقير، هو أحمد بن الحسين ، توفي سنة ٣١٧هـ . ولذلك ، يبقى الخبر معلقا حتى تثبت صحة النسبة .

ثم اذا كان المقصود بابن مسعدة أبا الحسن الأخفش ، فقد بطل الخبر لأن الأخفش متقدم وابن شقير متأخر وبينهما مئة عام . أما اذا كان ابن مسعدة غير الأخفش وهو رجل من المتأخرين احتجنا الى الدليل على صحة نسبة الكتاب الى ابن شقير !

٣ ـ كتاب التصغير ، ولعله جزء من كتاب الجمل المذكور ـ اذا ثبت صحة نسبته للخليل ـ أو هو كتاب آخر . جاء في المراتب ، عن الاصمعي ، قال : قال الخليل بن احمد : « وضعت كتاب التصغير على دينار ودرهم وفلس ، فقلت : دنينير ، ودريهم ، وفليس : فعيعيل ، وفعيعل ، وفعيل »[٣٦] .

٤ ـ المعمى : ذكره حمزة الاصفهاني في الخبر الذي سقناه آنفا ، وهو الكتاب الذي انتقده الجاحظ ، ووصفه بانه ليس بشيء[٣٧] .

٥ ـ النقط والشكل : وهو مذكور في تعداد كتب الخليل[٣٨] ، وبهذا العنوان الف كثير من العلماء ، كالنصر ، وابي محمد اليزيدي ، وغيرهما .

٦ ـ النغم : وهو في الغناء والموسيقى[٣٩] ، والايقاع . ولعل هذا الكتاب ، هو الذي ذكر باسم :

٧ ـ كتاب تراكيب الاصوات ، أو يكون هذا الاخير كتابا آخر من كتبه في الالحان . ذكره حمزة الاصبهاني[٤٠] ، وأورده شاهدا على براعة الخليل ، الذي « لم يعالج وترا قط ولا مس بيده قضيبا ، ولا كثرت مشاهدته للمغنيين » وقد وضع هذا الكتاب، وكأنه عين الخبير بالاوتار والاصوات والانغام .

٨ ـ الايقاع ، وهكذا ذكر في الارشاد ، وأظنه كتاب (النغم)

السابق[٤١] • ولكن ياقوت الحموي يذكر الكتابين منفصلين ، فيجعلهما كتابين •

٩ ـ الموسيقى : هكذا ذكر في المزهر ، وربما كان كتاب الايقاع المذكور[٤٢] •

١٠ـ الشواهد : وهو ـ قطعا ـ من كتب اللغة والنحو ولكن المترجمين ، لم يزيدوا على أسمه شيئا[٤٣] •

١١ـ في العروض[٤٤] : أما في العروض ، فيبدو أنه ألف أكثر من كتاب، جاءت بعض الاخبار تشير الى طريقة ابتداعه في العروض الشعري، وتحكي قصصا وروايات عن اكتشافه هذا العلم ، وقد ساق الرواة مضى خبر ابنه ، حين ظن أن أباه قد جن" ، عندما وجده يقطع بيتا عروضيا •

خبر ابنه ، حين ظن أن أباه قد جن" ، عندما وجده يقطع

أما عنوانات الكتب التي ذكرت له في علم العروض فهي :

١٢ـ أ ـ العروض ، بهذا الاسم ورد في الارشاد[٤٥] وسرح العيون[٤٦] ، والوفيات والبغية ، وذكر في النزهة : « هو أول من استخرج علم العروض » •

١٣ـ ب ـ كتاب الفرش ، ويبدو انه ، كتاب في تبسيط علم العروض وشرحه ، ويظهر ذلك من أسمه[٤٧] •

١٤ـ جـ ـ المثال[٤٨] ، وهو كتاب متمم لكتاب الفرش ، ولعله وضعه في أعطاء الامثلة الشعرية على ما فرشه من التفسير في الكتاب السابق • وفي الخبر الذي ذكره الزبيدي في الطبقات مايفسر علاقة الكتاب بسابقه ، قال : « جلب بعض التجار

كتاب المثال من العروض للخليل ، فصار الى الامير عبدالرحمن ، فأخبرني أبو الفرج الفتى ــ وكان من خيار فتيانهم ــ قال : كان ذلك الكتاب يتلاهى به في القصر ، حتى ان بعض الجواري ، كان يقول لبعض : حيّر الله عقلك كعقل الذي ملأ كتابه من (مما ممّا) فبلغ الخبر ابن فرناس ، فرفع الى الامير يسأله اخراج الكتاب اليه ، ففعل ، فادرك منه علم العروض . قال : هذا كتاب قبله ما يفسره ، فوجه الامير الى المشرق في ذلك ، فأتى بكتاب الفرش ، فوصله بثلاثمائة دينار وكساه »(٤٩) .

وهذا يعني ان الكتابين كانا من تصنيف الخليل ، وانه لا غبار على صحة تصنيفهما ، وسيرورتهما في الافاق ، حتى عرفهما علماء الاندلس ، وتداولوهما . ولقد ألف جملة من العلماء في نقض عروض الخليل ونقده ، والرد عليه ، وهي كثيرة ، لا نرى بنا حاجة الى سردها(٥٠) . منهم بزرج .

١٥ــ فائت العين(٥١) : هذا الكتاب ذكره أكثر من مترجم للخليل ، وأظن انه منحول عليه ، واذا كان العين موضوع شك كبير ، وهو الاولى بالنسبة الى الخليل ، فكيف بكتاب يؤلف فيما يشك فيه !!

١٦ــ وذكر حمزة الاصفهاني ان الخليل : « زاد في دواب الشطرنج حملا ، فلعب به قوم امتحانا له ، ثم رموا به »(٥٢) .

١٧ــ قال ــ ايضا ــ : « وأما علم الكلام والجدل ، فله فيه كتاب لو جهد كل بليغ في الارض ان يتعمد مثل ذلك الخطأ ، وذاك التعقيد ، لتعذر عليهم الوصول اليه »(٥٣) .

١٨ـ ونسب الى الخليل ـ ايضا ـ كتاب بأسم (الحروف) وقد وصلت الينا منه نسخة ، طبعها الدكتور رمضان عبدالتواب في القاهرة (١٩٦٩م)[٥٤] . ولم يثبت منها انها للخليل ، كما لم يثبت انها لغيره من الاعلام . والمرجح أنها للخليل بن أحمد النحوي (٣٧٨ هـ) .

وفي كتاب (الحروف) لاحمد بن محمد بن المختار الرازي (٦٣١هـ) الذي نشرته في (مجلة معهد المخطوطات ـ بالقاهرة ـ سنة ١٩٧٤م) . تنصيص على ما جاء في كتاب الحروف المنسوب للخليل ، بقوله : (قال الخليل ...)[٥٥] .

١٩ـ ونسب كتاب له في النحو ، بأسم (التفاحة) وظهر انه لابي جعفر النحاس ، ونشره گورگيس عواد في بغداد .

٢٠ـ العوامل : وذكره ابن خلكان والقفطي[٥٦] ، وزاد القفطي : (منحول عليه) ، وهو صحيح ، لان هذا المصطلح قد نضج بعد الخليل . هذه هي جملة ما روى من كتب للخليل ، واظن أنه وضع أشياء أخرى في الحساب والرياضيات ، ولكن لم يصل الينا أسم كتاب فيها ، وذكر ابن نباته ان له أشياء في الحساب والحروف[٥٧] أضافة الى ما عنده من اشتغال في اللغة والعروض والموسيقى .

ثانيا ـ شيء عن الليث :

برز أسم الليث . مع بروز كتاب العين ـ في وقت واحد ـ وأصبح أسمه مقرونا بالكتاب بحيث لا يروى الكتاب مقروءا أو مرويا أو مسموعا الا وكان الليث طريقا الى الخليل بن أحمد الفراهيدي .

ووقف بعض القدماء سلسلة رواية الكتاب اليه ، ولـــم يتعده ، وبذلك جعل الليث هذا هو المؤلف للعين لاغيره ..

أما شخصية الليث ، ومعالمها ، وصفاتها ، فترد شذرات متفرقة ، هنا وهناك ، لاتلقي ضوءا كافيا للكشف عنها أو اعطائها الصـــورة الحقيقية التي يستطيع الباحث بها أن يقدر ما يصل الينا من أخبار حول هذا العمل الجبار الذي أنف الدارسون ، قديما وحديثا ، أن ينسبوه لغير الخليل ، لولا ما وجدوا فيه من هنات ، لاتمس المنهج بشيء ولكنها تدور حول : دلالة بعض المفردات ، وتصحيف بعضها الآخر أو تحريفه، أو غلط في التصريف أو الاشتقاق وكلها جوانب لاتقـدح في تخطيط مسالك الكتاب ، وأطره ومنهجه العام الذي دل ــ فعلا ــ على عقـل جبار ، ومقدرة فائقة ، وذكاء حاد ، لايتيسر مثله لغير الخليل .

وقف السيوطي على ما خطأ به اللغويون كتاب العين فقال : «رأيت وجه التخطئة فيما خطىء فيه غالبه من جهة التصريف والاشتقاق»[٥٨] ، وسنعرض لهذا فيما بعد[٥٩] .

وأغلب الظن ان مثل هذه الاغلاط ، راجع الى الليث هذا ، فمـن الليث ؟!

وردت روايتان في نسب الليث ، اولاهما هي : انه « الليث بن رافع بن نصر بن سيّار » ذكرها المرزباني في ترجمته لـ (حياة الخليل). قال : « وكان الخليل منقطعا » اليه[٦٠] .

والثانية : أنه الليث بن المظفر ، ذكرها الازهري في مقدمة التهذيب، والمرزباني ــ كذلك ــ[٦١] في من أخذ عن القاسم بن معن .

أما الرواية الاولى ، فمصدرها هو ابن المعتـز في (طبقـــات

الشعراء)[٦٢] والثانية مصدرها الازهري ، ويبدو ان الصواب هو ما جاءت به الرواية الثانية ، نقل ياقوت عن المنذري : قال : « بلغني ان المظفر بن نصر ، مرّ به عفاق ، وابنه الليث ، قد حضره ، فقال له : — وأراد أن يختبره — : ماهذا فقال : بز — بالفارسية — .

فقال : لأسيرنك الى حيث لاتعرف (بز) فسيره الى البادية ، فمكث قريبا من عشر سنين ، أو أكثر ، ففيها تأدب ، ثم رجع ، فعجب أهله من كثرة أدبه »[٦٣] .

ثم حقق المنذري نسبته ، فقال : « نصر بن سيار كان والي خراسان ، والليث بن المظفر بن نصر — صاحب العربية — وصاحب الخليل بن احمد ، هو ابنه ، حدث عنه قتيبة بن سعيد »[٦٤] .

وتؤيد هذه النسبة رواية اسحاق بن راهوية : « كان الليث بن المظفر بن نصر بن سيار — صاحب الخليل — رجلا صالحا .. »[٦٥] .

كما تؤيدها مقدمة كتاب العين ، برواية أبي معاذ عبدالله بن عائذ قال : « حدثني الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل ، بجميع ما في هذا الكتاب ، قال ليث : قال الخليل »[٦٦] .

وهذا يقطع الشك في أنه الليث بن المظفر ، لا ابن رافع كما ذكر ابن المعتز ...

أما من اين جاء ابن المعتز ب (رافع) في نسب الليث فذلك ما لم تذكره المصادر القديمة ، ولكن المصادر ذكرت ان رافعا هو ابن الليث ابن المظفر ، قال المنذري : « هو الليث بن المظفر بن نصر بن سيار — صاحب العربية — وكان له ابن يقال له : رافع — سمعت بعض اصحابي ، قال : سمعت محمد بن اسحق السراج ، قال : سمعت اسحاق

ابن راهويه ، قال : سألت رافع بن الليث بن المظفر عن »[٦٧] . فوقع ابن المعتز في الخطأ حين جعل الاب ابنا ، فقال : الليث بن رافع ، توهما .

نشأته وثقافته :

فيما تقدم ، رأينا كيف أهتم والد الليث ، ببعث ابنه الى البادية ، ليتعلم العربية ، فمكث فيها عشر سنين ثم عاد أديبا . وكان هذا أول الغيث كما يبدو . وفي القصة التي يحكيها ابن المعتز عن وضع كتاب العين يشير الى ان الخليل هو الذي قصد الليث ، فوجده بحرا ، فأحب الخليل أن يهدي اليه هدية ، في مقابل ما قدم اليه من ثروة وغنى ، فعمل له الكتاب[٦٨] .

وهنا يبدو أمر لاتظنه يمثل شيئا من صفات الخليل الرجل الزاهد ، الصبور على العيش الخشن ، كما يقول الدلجي[٦٩] فيجعل ابن المعتز من الخليل ، رجلا يسعى وراء ذوى الجاه ، والسلطان ، ولست أدري كيف نوفق بين هذا القول ، وبين ما روى عنه : انه « أقام في خص من أخصاص البصرة لايقــــدر على فلسين ، ولصحابه يكتسبون بعلمـــه الاموال »[٧٠] .

وقول آخــر ، يذكر أن سليمان بن علي أراد أن يكرمه بأموال وثروة ، فرفضها . والحق ، أن الخليل ، كان مقصودا من طالبي العلم ، وكان الليث قد قصد اليه ، ليأخذ عنه ، وقد لازمه مدة طويلة فتوثقت العلائق بينهما ، وكان الليث رجلا صالحا دينا ، فوافق هواه هـــوى الخليل ، فكان اللقاء العلمي بين الشيخ وتلميذه ، وهذا ما يؤكده قول اسحاق بن راهويه ، من ان الليث كان صاحب الخليل ، وكان الليث نفسه يحدث أنه يصير الى الخليل ليتعلم منه ، والرواية المذكورة عنه :

قال : « كنت اصير الى الخليل بن احمد ، فقال لي يوما : لو ان انسانا قصد ، ... الخ » الخبر[71] يدل على انه الطالب لا المطلوب ، وان الخليل ، كان رائد طلبة العلم ومرتادهم ، يختلفون اليه ، ويغترفون من معينة الثر .

ومن هنا كانت ثقافة الليث بن المظفر تجمع اشتات العلوم التي برع فيها الخليل الى ما حصله من انتجاعه البادية ، وسماعه لغة الاعراب ، والى فصاحة لسانه ، فكان بحق ، « من أكتب الناس في زمانه بارع الادب ، بصيرا بالشعر ، والغريب والنحو ، وكاتبا للبرامكة .. » كما ذكر ابن المعتز والمرزباني ، ثم السيوطي .

وتذهب بعض الاخبار الى أنه كان معتدا به عند المأمون ، فاراد ان يوليه القضاء ، فرفض[72] ، غير انه لم يذكر عنه انه وضع كتابا في شيء مما وصف به من الادب والعلم ، وهذه صفة ، تحسب لها ألف حساب عندما تناقش قضية نسبة تأليف العين اليه ، وأدعاء المدعين بانه نحل الكتاب الخليل ، لينفقه بأسمه .

وحاصل القول ، أن الليث لم يكن مغمورا ، بل كان علما معروفا بعلمه وأدبه ، ولم يذكره احد بصفة تغمز فطنته وذكائه ، واخلاقه ، ودينه ، بل أجمع الرواة على تقدمه في العلوم ، ووصفه بالفضل والدين والصلاح ، وهي صفات لاتسمح لصاحبها الوضع ، او الانتحال ، أو الكذب . ويبدو أنه صار له تلامذة ، واتباع ، فيما بعد ، أخذ عنهم طلبة العلم ، كما يروى عن أبي عمرو الهروي ، أنه أخذ من اصحاب الليث والنضر[73] ومن تلاميذه ابو الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي[74] .

● ●

لم يذكر احد شيئا عن وفاة الليث ، غير أننا يمكن ان نقدر الفترة التي كان فيها الليث ، معروفا عند أئمة العلم في عصره • فقد روى أن اسحاق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه المتوفى سنة (٢٣٨هـ)[٧٥] كان فد روى عن الليث بن المظفر ، وحكى عنه أخبارا ، اسندت اليه ، غير ان هذه الاخبار لم تثبت لنا أنه شافهه بشيء من الكلام ، في حين ترد أخبار أخرى عنه ، تقول[٧٦] : انه شافه أبنه رافعا ، فسأله قال : «سألت رافع بن الليث بن المظفر عن قول النبي ـص ـ : كل مسكر حرام ، أيقع على جميع المسكر ••» الخبر •

فمن هنا يمكن الاستدلال على ان سؤال اسحاق كان قبل ٢٣٨هـ ، وهي سنة وفاته ، ومن الطبيعي ـ ايضا ـ ان يكون السائل طالب علم ، فهو ـ اذن ـ في مطلع حياته ، وربما كان ذلك قبل مايزيد على ثلاثين سنة من وفاته ، أي في حدود سنة (٢٠٠هـ) فاذا كان رافع الابن يسأل في حدود هذه السنة ، فلابد من ان يكون والده الليث ـ اذا افترضنا وجوده ـ شيخا كبيرا ، أو في عداد الموتى ، والاغلب الاحتمال الثاني ، وحينئذ ، يمكن ان نقدر سنة وفاته قبل المائتين ، وبعد سنة ١٧٧هـ ، التي ذكرت سنة لوفاة الخليل بن احمد ، لان في الاخبار ، ان الخليل قد مات وبقي بعده الليث ، فاتنسخ الكتاب من جديد ، عندما أضطرته أبنة عمه الى نسخه ، بعد حرقه[٧٧] •

ولذا فان أواخر القرن الثاني الهجري ، كانت اواخر حياة الليث ابن المظفر بن نصر بن سيار صاحب الخليل •

---

(١) انظر الارشاد : ١٨١/٤ •
(٢) التنبيه على حدوث التصحيف : ١٩٤ـ١٩٥ •

(٣) نفسه : ١٩٤ ٠
(٤) نفسه : ١٩٢ ٠
(٥) مراتب النحويين : ٢٧ ٠
(٦) مراتب النحويين : ٢٩ ٠
(٧) الاشباد : ٤/١٨٢ـ١٨٣ ٠
(٨) نفسه : ٤/١٨٢ ٠
(٩) نفسه : ٤/١٨١ والنزهة : ٣١ ٠
(١٠) التنبيه : الاصفهاني : ١٩٥ـ٥٩٦ ٠
(١١) الارشاد : ٣/١٩٧ ٠ وانظر الفلاكة : ٩٣ـ٩٤ ٠
(١٢) في طبقات الزبيدي نصوص من حكمه وأقواله : ص٤٤ـ٤٥ ٠
(١٣) التنبيه : ١٩٠ـ١٩١ ٠
(١٤) نفسه : ١٨٧ـ١٨٨ ٠
(١٥) سرح العيون : ١٥٣ ٠
(١٦) نفسه : ١٥٣ ٠
(١٧) ذكر المترجمون له أكثر من سنة وفاة : ١٦٠ و١٧٠ و١٧٤ و١٧٥ و١٧٧ ٠ مراتب النحويين : ٢٧ ٠
(١٨) المراتب : ٢٧ـ٢٨ ٠ والاشباد : ٦/٢٢٣ ٠
(١٩) الزبيدي : ٢٣٣ ٠
(٢٠) الارشاد : ٧/١٠٧ ٠
(٢١) نفسه : ٧/٢٨٩ ٠
(٢٢) نفسه : ٧/١٩٣ والزهر ١/٤٢ ٠
(٢٣) نفسه : ٧/١٥٩ ٠
(٢٤) نفسه : ٤/١٣٥ ٠
(٢٥) المزهر : ١/٤٢ـ٤٣ ٠
(٢٦) مراتب النحويين : ٢٩ ٠
(٢٧) المراتب : ٦٨ والزبيدي : ٧٤ ٠
(٢٨) نزهة الالباء : ٤٣ ٠
(٢٩) النزهة : ٧٦ ٠
(٣٠) النزهة : ٣١ ٠
(٣١) المزهر : ١/٤١ ٠

(٣٢) في التنبيه على حدوث التصحيف : ١٨٧ـ١٨٨، ذكر كثيرمن العنايات، كالنرد ، والشطرنج ، واللحون والحساب والموسيقى ، واللغــــة والعروض ، والكلام والجدل وغيرها • وأنظـــر : سرح العيون : ١٥٢ــ١٥٣ــ١٥٤ •
(٣٣) طبقات الزبيدي : ٤٤ـ٤٥ •
(٣٤) في الارشاد : ٧/٤١ـ٤٢ •
(٣٥) في الارشاد : ١/٤١١ •
(٣٦) مراتب النحويين : ٦١ •
(٣٧) التنبيه : ١٥٣ وسرح العيون : ١٥٣ •
(٣٨) انباه الرواة : ١/٣٤٦ ، وسرح العيون : ١٥٢ •
(٣٩) سرح العيون : ١٥٢ •
(٤٠) التنبيه : ١٨٧ •
(٤١) الارشاد : ٤/١٨٢ ، والبغية : ١/٥٦٠ •
(٤٢) المزهر : ١/٤١ •
(٤٣) الارشاد : ٤/١٨٢ والسرح ١٥٢ •
(٤٤) سماه بعضهم : زبدة العروض • وهو اسم موضوع محدث •
(٤٥) الارشاد : ٤/١٨٢ ، والبغية : ١/٥٦٠ •
(٤٦) السرح : ١٥٢ ، والبغية : ١/٥٦٠ •
(٤٧) المزهر : ١/٤١ •
(٤٨) المزهر : ١/٤١ •
(٤٩) طبقات النحويين : ٢٩١ •
(٥٠) انظر مثلا : الانباه : ١/٦١ و٦٧ ، والارشاد : ٢/٣١٦ ، وسرح العيون ص١٥٣ ، والارشاد : ٥/٤٤٠ •
(٥١) أنظر البغية : ١/٥٦٠ •
(٥٢) التنبيه : ١٨٨ •
(٥٣) نفسه : ١٨٧ــ١٨٨ •
(٥٤) مطبعة عين شمس •
(٥٥) م : ٢/جـ١ سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م : ص٥١ـ١٢٤ •
(٥٦) الوفيات : ٢/٢٤٦ •
(٥٧) سرح العيون : ١٥٣ـ١٥٤ •

(٥٨) المزهر : (ط بولاق) : ١/٤٣ .
(٥٩) وانظر في أخبار التصحيف والتحريف في العين : التنبيه ١٣٢ـ ١٣٣ و١٣٨ .
(٦٠) نور القبس : ٥٩ .
(٦١) نور القبس : ٢٧٩ـ٢٨٠ .
(٦٢) طبقات الشعراء : ابن المعتز : ٧٠
(٦٣) الارشاد : ٦/٢٢٦ـ٢٢٧ .
(٦٤) الارشاد : ٦/٢٢٥ .
(٦٥) نفسه : ٦/٢٢٣ .
(٦٦) العين : ١/٥٣ .
(٦٧) الارشاد : ٦/٢٢٦ .
(٦٨) نفسه : ٦/٢٢٣ .
(٦٩) الفلاكة : ٩٣ .
(٧٠) الفلاكة : ٩٤ .
(٧١) الارشاد : ٦/٢٢٧ .
(٧٢) الفهرست : ٤٣ (ط : فلوجل) .
(٧٣) نزهة الالباء : ١٣٥ .
(٧٤) الفهرست : ٤٣ .
(٧٥) وفيات الاعيان : ١/٦٤ .
(٧٦) الارشاد : ٦/٢٢٦ .
(٧٧) نور القبس : ٥٩ .

الفصل الثاني

العين

ونظرة علماء العربية

روايته :

عني بالعين جملة من الرواة ، منذ أن عرفه القرن الثالث للهجرة حتى عصور متأخرة من تاريخ العربية ، والكتاب خلال هذه الفترة من حياته ، يعاني ما يعانيه من الهجوم عليه ، او الوقوف الى جانبه •

ومع شدة الهجمات التي لقيها هذا الكتاب كما سنعرض لها فان العلماء كانوا يعنون به عناية تفوق عناياتهم بكتب اللغة الاخرى ، فكأن ماكانوا يدلون به من نقد للكتاب لاينـــال مؤلفه الخليل ، أو راويةُ الليث ، بل كأنهم ينقدون كتابا ثانيا لا علاقة له بالخليـــل ، وآرائه ، ومنهجه اللغوي ، ومن هنا نراهم :

١ ــ يروون الكتاب بسلسلة أسناد متصلة الى مؤلفه الخليل بن احمد من جهة •

٢ ــ ويؤلفون كتبا في انتقاده ، وبيان فساد وجهته ، والخلل الــذي وقع فيه ، وينزهون الخليل عن هذا كله •

٣ ــ ثم يستبعدون ان يكون الخليل ألف الكتاب لكثرة ما يتفقون عليه من الغلط ، والغدد التي ملأت الكتاب ، كما يقول ثعلب •

ولذلك يحار الباحث حين يقف أمام آراء متضاربة متناقضة ، فلا

يدري أين موطن الحق منها .

أما أهل البصرة فيبدو ان الكتاب قد وصل اليهم بعد موت الخليل بما يزيد على سبعين سنة ، ودخلهم عن طريق وراق سمع به أنه عند الطاهريين بخراسان ، فذهب إليه وجلبه معه ، وأدخله الى البصرة سنة ٢٤٨هـ كما يقول أبن دريد[١] . وكان يومئذ في ثمانية واربعين جزءا . ولما كان الخليل ، واصحابه مؤسسي المدرسة البصرية تبناه جملة من البصريين ، وعلى رأسهم المبرد ، وهم أحق بأن ينسب اليهم الكتاب فقد كانوا يعتزون به أشد الاعتزاز ، فكان المبرد النحوي يرفع من قيمة الكتاب ، وقدره[٢] ، في حين نجد ثعلبا يصمه بكثرة الغدد ، والمشكلة هنا تتحدد ، بحدود الصراع بين مركزي الثقافة والعلم : البصرة ، والكوفة ، فأهل البصرة يرون في الكتاب ، ما لايرى أهل الكوفة ، ومنهم ثعلب .

فقد روى[٣] عن أهل البصرة ، انهم كانوا يفتخرون بأربعة كتب « على أهل الارض : العين للخليل بن احمد والنحو لسيبويه ، والحيوان للجاحظ ، والقراءات لابي حاتم » .

فاذا كان هذا رأي أهل البصرة في الكتاب ، فاحرى بهم أن يصدقوا أنه من تصنيف الخليل ، ولكننا نرى أن هناك مواقف فردية ، أتصفت بالمعاداة ، كان من بينها موقف أبي حاتم السجستاني الذي يرويه القالي ، كما سنرى فيما بعد ، وهو موقف ينم عن نكران شديد لكون الكتاب من تصنيف الخليل .

وتحدثنا الاخبار ان علماء اللغة ، كانوا يعنون به مع شيوع الاخبار عن الشك في مؤلفه ، وكان أبن درستويه من المتعصبين للكتاب ، وحمله

وروايته ، وانتساخه كما كانت مهمة علي بن مهدي الكسروي والزاج ودعلج ، وابن العلاء دراسته وانتساخ نسخ منه . أما ابن درستويه فقد رواه باسناد الى الخليل مارا بأبي الحسن الكسروي عن محمد بن منصور المعروف بالزاج المحدث عن الليث عن الخليل(٤) .

ولم يكن الكتاب موقفا على البصرة وبغداد والكوفة ، بل زحفت أخباره الى أقطار العالم الكبير يومئذ . فتناوله الشرق الاسلامي عن كثب ، وربما كان أتصاله بالشرق قبل أن تعرفه بغداد والكوفة ، اذ أن في بعض الروايات أن العين قد ورد على بغداد من خراسان ، يقول القالي : « ان ورد كتاب العين من بلد خراسان في زمن أبي حاتم ، أنكره أبو حاتم وأصحابه أشد الانكار ، ودفعه بابلغ الدفع »(٥) . فاذا صدق ما يرويه القالي ، فمعنى ذلك ، ان الليث بن المظفر ، وكان نجله - كما علمنا - مولى خراسان ، قد احتفظ به هناك ، لان الخليل كان قد أهداه اليه ، أو كان قد أخذه عنه ، على وفق ما ترويه الروايات الكثيرة ، ثم كانت سمعة الكتاب تنتشر شيئا فشيئا ، وكان نصيب بغداد أن وردها الخبر على عهد السجستاني ومن في طبقته ، كالتوزي والرياشي ، وابن السكيت ، وعمرو بن ابي عمرو الشيباني ، وغيرهم . فقبله جماعة منهم ، ورفضه آخرون ، قبله المبرد(٦) ، ورواه ابن درستويه وعلي بن مهدي الكسروي (٢٨٣هـ) وولاد(٧) المصري وابن النحاس (٣٣٨هـ) وابو معاذ عبد الجبار بن يزيد ، وهم جملة من علماء القرنين الثالث والرابع للهجرة .

أما علي بن مهدي الكسروي ، وهو أبو الحسن الاصفهاني فقد كان عارفا بكتاب العين وأخباره ، حافظا لكل ما فيه من لغة قال فيه

ياقوت : « كان عالما بكتاب العين خاصة »(٨) ٠

وروى عنه ابن النديم قال : « قال علي بن مهدي : فأخذت عن محمد بن منصور نسخة هذا الكتاب ــ وهي العين ــ انتسخها محمد ابن منصور عن الليث بن المظفر » ٠

ثم قال ابن النديم : « والنسخة التي كانت عند دعلج هي نسخة ابن العلاء السجستاني ٠ وذكر ابن درستويه : ان ابن العلاء احد من كان يسمع معهم هذا الكتاب »(٩) ٠

وهذه الاحداث جميعها تدل على ان الكتاب كان متداولا بايدي القراء والمنتسخين مقروءا ومرويا في العراق في كل مراكز العلم المعروفة يومئذ ، فماذا فعل الاندلسيون ؟

فأمّا المنذر بن سعيد ، أبو الحكم البلوطي الاندلسي (ولد سنة ٢٦٠هـ وتوفي سنة ٣٥٥هـ) ، فقد قام برحلة الى بلاد المشــرق من الاندلس ، ليلتقي في بغداد والبصرة والكوفة ، بعلماء اللغة والنحو ، وليجتمع بأبي العباس بن ولاد الذي كان يروي الكتاب عن والده : ولاد (أبي الحسين محمد بن الوليــد بن ولاد التميمي ٢٩٨هـ)(١٠) الذي لقي في بغداد والبصرة المبرد ومن في طبقته ، واخذ عنهم ٠

فكان نصيب المنذر بن سعيد ان آب الى الاندلس وهو يحمــل (العين) ٠ وقصة المنذر بن سعيد ، ورواية كتاب العين ، قصة فيها شيء من الغرابة ، ولكنها تدل على ولع المغاربة ، وأهل الاندلس بهــذا الكتاب ، واليك القصة كما يرويها الزبيدي(١١) ٠

قال الزبيدي : « حدثني قاضي القضاة منذر بن سعيد ، قال أتيت أبن النحاس ــ وكانت عنده نسخة من العين ــ(١٢) في مجلسه ، فالقيته

يملي في أخبار الشعراء ، شعر قيس بن معاذ المجنون ، حيث يقول :

خليلي هل بالشام عين حزينة تبكى على نجد لَعَلّي أعينها
قد اسلمها الباكون الا حمامة مطوّقة باتت وبات قرينها

فلما بلغ هذا الموضع ، قلت : باتا يفعلان ماذا — أعزك الله ! ، فقال لي : وكيف تقول أنت يا اندلسي ؟

فقلت : « بانت وبان قرينها .

فسكت .

قال القاضي : فما زال يستثقلني — بعدها — حتى منعني كتاب العين ، وكنت ذهبت الى الانتساخ من نسخته فلما قطع بي ، قيل لي : ابن أنت من ابي العباس ابن ولاد ؟ فقصدته ، فلقيت رجلا كامل العلم والادب حسن المروءة وسألته الكتاب ، فاخرجه اليّ ، ثم تقدم أبو جعفر بن النحاس حين بلغه اباحة ابي العباس كتابه اليّ وعاد الى ماكنت أعرفه منه » .

فهذان رجلان من رجال مصر ، هما ابن النحاس ، وابن ولاد ، وكلاهما يروي الكتاب ، ويحتفظ بنسخة منه ، فصدى العين — اذا — في مصر وشمال افريقيا كبير ، ومعروف ولولا أنه مشهور في ديار الاندلسيين ، لما قصد اليه المنذر بن سعيد ، لينتسخ منه نسخة ، ويدخلها الاندلس وكان ذلك قبل أنْ يأتي أبو علي القالي بقرن من الزمن أو يزيد ، ويذهب(١٣) باحث الى أنه ربما دخلت نسخة منه في مجموعة موهب الباجي الذي توفي بالمشرق . فمن هذا الباب كان دخول العين الى الاندلس ، وعناية علمائها به ، ورواية نصه قراءة ، وسماعا ، وحفظا حتى زمن أبي بكر بن خير الاشبيلي في القرن السادس

الهجري ، اذ نص في (فهرسته) على طريق الرواية التي ذكرنا قبل قليل معظم رجالها ، فقال[١٤] :

ـ كتاب العين للخليل بن احمد ـ رحمه الله ـ حدثني به شيخنا أبو الحسن ، يونس بن محمد بن مغيث ـ رحمه الله ـ اذنا ومشافهة ، عن القاضي أبي عمر احمد بن محمد بن يحيى الحذاء .

ـ وحدثني به ـ ايضا ـ الشيخ أبو محمد بن عتّاب ـ رحمه الله ـ أجازة عن أبوي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري ، واحمد بن محمد بن يحيى بن الحذاء قالا : حدثنا به أبو القاسم عبدالوارث بن سفيان بن جبرون . قال : حدثني به القاضي منذر بن سعيد البلوطي عن أبي العباس احمد بن محمد بن الوليد المعروف بـ (ولاد التميمي النحوي) عن أبيه محمد بن الوليد ، عن أبي الحسن علي بن مهدي ، عن أبي معاذ عبدالجبار بن يزيد عن ليث بن المظفر[١٥] ابن سيار الليثي عن أبي عبدالرحمن الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ـ رحمه الله ـ » .

وذكر السيوطي في صدر هذه الرواية أن « أبا علي الغساني روى كتاب العين ، عن الحافظ أبي عمر بن عبدالبر عن عبدالوارث بن سفيان ... » وسائر الرواية نفسها[١٦] .

ويبدو من بعض الاخبار ، ان كتاب العين قد دخل الاندلس قبل ان يدخله القاضي منذر بن سعيد ، فقد روى الزبيدي[١٧] : ان ثابت ابن عبدالعزيز السرقسطي ، وابنه قاسما « كانا من أهل العلم بالعربية ، والحفظ للغة ، رحلا الى المشرق فلقيا رجال الحديث ، ورجال اللغة ، وجمعا هنالك علما كثيرا ، وهما أول من أدخل كتاب العين بالاندلس »

وهذا قول صريح بان العين دخـــل الإندلس على يدي هذين الرجلين ، غير انهما لم يدخلا في سلسلة رواية الكتاب كما اشـــتهرت روايته عن المنذر بن سعيد .

اما كيف كان دخوله عن طريقهما الى الاندلس قبل دخـوله عن طريق المنذر ، فذلك واضح من ان ثابتا كان من مواليد سنة ٢١٩هـ ، وعاش ما يقرب من خمس وتسعين سنة وتوفي سنة ثـلاث عشـرة وثلاثمائة أو ٣١٤هـ[١٨] ، وكان في مطلع حياته العلمية ، قد رحل هو وأبنه القاسم الى المشرق فسمع بمكة ، ومصر من ابن الجارود والنسائي والبزار ، وهم من أعيان القرن الثالث الهجري ، ورجعا الى الاندلس ، فمات الابن ، وبقي الاب حتى سنة ٣١٣هـ . فمن المعقول جـدا أن يكون الكتاب قد دخل الاندلس قبل سنة (٣٠٠هـ) اذ أن الاخبـار تقول أن ثابتا وأبنه قد أستقرا في سرقسطة وكانت منتهى حياتهما فيها .

ومما يقوي هذا الذي نذهب اليه ان القالي كان قد أخذ كتـاب الدلائل لقاسم ، على ولده[١٩] من بعده في سرقسطة أي كان له عقب ، وفيهم ولده الذي وصفه الزبيدي بانه كان مضعفا ، فلابد ــ أذن ــ أن يكون قد أستقر وتزوج ، وانجب قبل سنة : ٣٠٠هـ ، بمقدار كبير من السنوات ليتسنى لابي علي القالي ، وقد دخل الاندلس سنة : ٣٣٠هـ أن يأخذ ــ وهو الشيخ الامام ــ عن من يستحق أن يؤخذ منه كابن قاسم السرقسطي هذا .

فكتاب العين ــ اذن ــ دخل الاندلس منذ القرن الثالث الهجري ، وتداولته العلماء ، ورواه الرواة ، وعني به الدارسون ، ولم يجرؤ أحد منهم على الانتقاص منه ، وكل ما روى عن القالي ــ وهو شرقي ــ

والزبيدي ـ وهو اندلسي اشبيلي ـ انهما وضعا كتابين ، أو كتبا ، في أختصار العين ، أو في الاستدراك ، أو في انتقـــاد بعض الحروف المغيرة المحرفة التي وردت فيه . كالبـارع للقالي ، والاستدراك على العين للزبيدي ، ومختصر العين له .

وكان للكتاب في شمال أفريقيا ، ماله من مكانة عند الاندلسيين بل كان يحظى بالحفظ ، والرواية من العلماء القرويين ، هذا أبو القاسم ابراهيم بن عثمان القيرواني النحوي ، المعروف بابن الوزان (٣٤٦هـ) يحفظ كتاب العين الى جانب الغريب المصنف لابي عبيد ، وأصـلاح المنطق لابن السكيت ، وكتاب سيبويه ، وكتب الفراء[٣٠] ، فهو على هذا كان محفوظا في صدور الرجال ، كما كان مقروءا ، ومرويا عـلى طلبة العلم في مشارق الارض ومغاربهـــا ، وذلك كله يعطينا صورة واضحة عن سيرورة العـــين ، ورحلته في الافاق ، على الرغم من كثرة الاقوال ، والمزاعم المطلقة فيه ، وانا لنأتي على سرد هـــذه المزاعم ، لنستشرف منها على حقيقة صاحب العين ، ولنزيـل من الغبار ما غطى كثيرا من الحقائق حوله .

---

(١) الفهرست : ابن النديم : ٤٢ .
(٢) المزهر : ١/٤٥ .
(٣) نور القبس : ٢٢٥ .
(٤) الفهرست : ٤٣ .
(٥) المزهر : ١/٤٢ .
(٦) الارشاد : ٧/١٧٨ و١٨٤ .
(٧) المزهر : ١/٤٦ ، والارشاد : ٥/٤٢٨ .
(٨) الارشاد : ٥/٤٢٨ .
(٩) الفهرست : ٤٣ .

(١٠) طبقات الزبيدي : ٢٣٦ـ٢٣٧ و٢٣٨ـ٢٣٩ ٠
(١١) الطبقات : ٢٤٠ ٠
(١٢) زيادة على النص ، مني ، لان منذرا قصده لينتسخ منه نسخة ٠
(١٣) مقدمة البارع : للدكتور هاشم الطعان : ٦٥
(١٤) فهرسة أبي بكر بن خير ٣٤٩ـ٣٥٠ ٠
(١٥) سقط من الاصل : بن نصر بن سيار ٠ والرواية في المزهر : ٤٦/١ ، جاءت على الصواب ٠
(١٦) أنظر المزهر : ٤٦/١ ٠
(١٧) الطبقات : ٣٠٩ ٠
(١٨) الديباج المذهب : ١٠٢ ٠
(١٩) طبقات الزبيدي ٣٠٩ ٠
(٢٠) طبقات الزبيدي : ٢٦٩ ، وارشاد الاريب : ٢٧٩/١ ٠

الفصل الثالث

العين وعمل الليث والنضر فيه

قد تكون القرينة قوية بين العين، والليث ، ولكنها واهية بين العين والنضر بن شميل لولا ما ذكره ابن خلكان من ان النضر وجماعته هم الذين أكملوا العين بعد موت الخليل[1] وقد التزم بهذا الخبر الذي سنذكره عند طرح رأي ابن خلكان في كتاب العين . الا ان للرجلين يدا في أثبات حقيقة ، يسعى البحث الى الكشف عنها ، فالرجلان كانا تلميذين للخليل والاول منهما متهم بوضع الكتاب ونحله للخليل ، والثاني منهما متهم أيضا بوضع كتاب على العين ، سماه : « المدخل الى العين » . فكلا الرجلين مشارك في قضية طالما سعى البحث وراءها ليحقق مايصبو اليه الدارسون والمتتبعون لمشكلة التأليف في اللغة عند العرب ، ولا سيما هذا القرن الثاني الهجري .

أما النضر بن شميل ، فقد سبق ان رفضنا الخبر القائل بأنه وضع كتابا سماه : (المدخل الى العين) ، لانه أنكر ان يكون للخليل كتابا باسم العين ، حين سئل عن الكتاب ، وأخبر سائله بأنه ما ترك الخليل حتى دفنه بيده ، ولم يطلع على شيء من ذلك . وتبين لدينا ان في الخبرين تناقضا ، ولكننا هنا ، تؤكد ان النضر لم يعلم شيئا عن الكتاب ـ فعلا ـ لانه نجد مدة غير قصيرة ، في البادية ، يأخذ عن الاعراب ، قدرها بعض الدارسين بعشرات السنين ، ورويت روايات أخرى في تركه

البصرة ، ورحلته الى خراسان ، بعد أن ضاقت به الحال ، فقال في أهل ابصرة : « والله لو وجدت كل يوم كيلجة من باقلا ما فارقتكم ، فلم يكن فيهم أحد يتكفل له بذلك ، حتى وصل الى خراسان ، فأفاد أموالا عظيمة »[٢] ، وكان تردده كثيرا بين مرو وغيرها من مدن المشـرق ، ولقاؤه بالمأمون الخليفة العباسي ، لم يكن في بغـداد أو البصرة ، أو الكوفة ، بل كان في مرو ، كما تذكر الرواية[٣] ، وتوفي فيهـا سـنة ثلاث ومئتين[٤] فكيف يكون بعد هذا كله قد عرف أعمـال الخليل ، ونتاجاته في اللغة والادب ؟!

أن جميع ما يروى عن النضر ، وصلته بالخليل . لم يتعد القـول بأنه أخذ عن الخليل ، أو لقي الخليل ، وانه بصري الاصل ، نزل مـرو الروذ . وكان راوية عن البصريين[٥] . واغلب الظن ان أصحاب التراجم، قد وضعوا على لسانه كثيرا من الاخبار يروبها عن شخصيـة الخليل ، نعلمهم بانه كان تلميذه . من ذلك ما رواه المرزباني عن النضر : أنـه قال : « كان أصحاب الشعر يمرون بالخليل ، فيتكلمون في النحـو ، فقال الخليل : لابد لهم من أصل ، فوضع العـروض ، فخلا في بيت ، ووضع بين يديه طستا ، فجعل يقرعه بعود ، ويقول : فاعلن ــ مستفعلن ــ فعولن ، قال : فسمعه أخوه فخرج الى المسجد ، فقال : ان أخي قد أصابه جنون ... » الخبر[٦] .

والمتأمل في هذا الخبر يجده ضربا من الخيال ، أشبه بقصـة يحوكها راوية ، ويصنعها متخيل ، ذلك أن هذا الخبر نفسه حيـك في أبنه ، فقيل : هو الذي خرج على الناس يقول لهم : ان أبي قد أصابه جنون ، وروية حادثة أخرى تقول : ان الخليل قد مر بسوق الصفارين،

فتأثر من وقع مطارقهم على الطسوت فوضع العروض[٧] . فهذا وأمثاله مما يروى كلام لا طائل تحته ، ولا حجة له ، وهو من وضع الواضعين على الخليل ، أو على تلاميذه ـ وخصوصا ـ النضر بن شميل ، الرجل الصادق فيما يروى عن أستاذه الخليل .

ولذا وجد الاخباريون سبيلا ميسورة لوضع أحداث في حياة الخليل ، على السنة تلاميذه ، بل وجدوا الطريق ميسورة للادعاء ، بان تلامذة الخليل قد نحلوه كتبهم ، أو الفوا كتبا في الاستدراك عليه ، أو ما أشبه ذلك .

وكيف يبلغ تلاميذه مبلغه ، أو كيف يستطيعون ان يفعلوا شيئا كان الخليل قد أدرك نهايته .

حتى الاخفش سعيد بن مسعدة[٨] (٢٢١هـ) الذي ادعى الاخباريون أنه أستدرك على الخليل بحرا في عروض الشعر وهو (الخبب) لم يكن ـ في الواقع ـ الا خبرا لم يثبت بعد ، ذلك أن الرواة رووا ان الخليل قد نظم فيه شعرا ، فكيف ينظم فيه شعرا ، ولم يعرفه ، ثم أنه وضع في الدائرة الخامسة ، بحرا واحدا ، وهو (المتقارب) :

(فعولن فعولن فعولن فعولن) مكررا .

ومن هذه الدائرة يشتق البحر السادس عشر وهو (الخبب) .

(فاعلن ـ فاعلن ـ فاعلن ـ فاعلن) مكررا .

والاخبار تقول ـ ايضا ـ : ان الاخفش كان يسأل الخليل : « لم سميت الطويل طويلا ... فالبسيط ... فالمديد ... فالوافر .. فالكامل ... » الى آخر البحور[٩] ، يتعلم منه ، معنى العروض ،

والبحر ، والقافية ، ومصطلحات كل . وكتابه القوافي الذي وصل الينا يشهد بما نقول .

فما نسب من علم الى الخليل ، كان الخليل قد وعاه ، واستقصى أجزاءه ، ولم يغادر منه صغيرة ولا كبيرة ، الا أتى عليها ، بمقدرة الراسخ في العلم ، المدرك لعمله ، المتقن الثبت ، وبهذه الصفات عرفه معاصروه ، والاجيال التي تلت فأنْ يضعَ الخليل نفسه كتابا بأسم (فائت العين) يستدرك فيه على نفسه ، مسألة فيها نظر ، وان يضع تلميذه النضر كتابا باسم : « المدخل الى العين » مسألة أكثر تعقيدا ووعورة ، واذا كان هذا واقعا في عصر النضر واستاذه الخليل ، فلم لم يعرفه معاصروهما أو تلاميذهما أو علماء القرن الثالث الهجري ، ولم لم يرد شيء من مادتهما اللغوية ، فيما ألف المؤلفون ؟! أن ذلك كله مما وضع من الاخبار ، والحكايات ، عللنا فيما مضى سبب الوضع فيها .

والنضر يسأل عن العين ، فينكر ، ولمَ ينكرُ ، اذا كان قد وضعَ مدخلا اليه ؟! .

ان الانكار هنا موضوع ، ليثبت لنا من يريد انكار وضع الكتاب عن الخليل : انه من وضع الليث ، يقول أبو الطيب : « مصنف كتاب العين : الليث بن المظفر بن نصر ... »[10] ويقول محمد بن بكر البسطامي : العين من وضع تلاميذ الخليل[11] .

وهكذا تجري مثل هذه التقولات ، لتكون متسقة مع الحكايات الموضوعة في الشك في عين الخليل . ولكنها لم تجر على نسق واحد ، بل تضاربت ، وتناقضت ، لان مشارب الواضعين كانت مختلفة .

أما الليث نفسه ، فقد حكى هو عن عمله في الكتاب وصلته به ،

فأوضح دوره أيضاحا لايخالطه ريب ، ولا يعتريه غموض ، وكنا قد أوردنا في مقدمة هذا الكتاب ، كيف طلب اليه الخليل أن يأخذ الليث عنه ترتيب حروف : أ ب ت ث ... الــخ على ما يمثله له الخليل . فيستوعب بذلك كلام العرب ، وحكى الليث ، قال فقلت له : « وكيف يكون ذلك ؟ » .

فأوضح له الخليل طريقته في وضعه على «الثنائي» و «الثلاثي» و «الرباعي» و «الخماسي» ، وكان الليث يستفهمه ، والخليل يصف له ما يريد ان يفعله في الكتاب . ويبدو ان لليث لم يكن ـ حينئذ ـ بذاك في فهم طريقة الخليل ، فحكى عن نفسه عن قصوره في ذلك قال : « فجعلت أستفهمه ويصف لي ، ولا أقف على مايصف ، فاختلفت اليه في هذا المعنى ـ أياماً ـ ، ثم أعتل ، وحججت ، فما زلت مشفقا عليه ، وخشيت أن يموت في علته ، فيبطل ما كان يشــرحه لي ، فرجعت من الحج وصرت اليه ، فاذا هو قد ألف الحروف كلها على ماهي في الكتاب، وكان يملي عليّ ما يحفظ ، وما شك فيه يقول لي : سل عنه ، فاذا صح فأثبته ، الى أن عملت الكتاب »(١٢) .

ويمكننا ان نستنتج من هذا الخبر اشياء ، تسير في صالح الحق، وتهدم طالح الباطل .

اولها : ان الليث لم يدع تأليف الكتاب من نفسه ، بل أشار الى أن الخليل ، هو المؤلف الحقيقي للكتاب ، وان دوره مقصور على الكتابة والنسخ فقط ، وان قوله في آخــر الخبر : « الى أن عملت الكتاب » يريد : الى أن نجز نسخه على يدي ، كما يريد الخليل ، وكان ذلك في أخريات حياة الخليل .

ثانيها : ان الليث اعترف من نفسه بقصوره عن فهم طريقة الخليل ومنهجه في الكتاب ، وانه بقي جاهلا بطريقته حتى نهاية تأليف الكتاب، فلم يعمل شيئا بدون أشارة الخليل •

ثالثها : ان الليث أخبر ان الخليل ، قد رتب هيكل الكتاب بنفسه، ووضع الحروف في مواضعها في منهجه ، قبل ان يرجع الليث من الحج، وحين التقى به بعد رجـــوعه رأى ان الكتاب لم يحتج الى أكثر من تصبير المواد ، وحشو الكتاب بنصوص اللغة ، ولذلك كان يملي عليه ما يعرفه من علمه الخاص ، ويطلب اليه ان يسأل عن ما يشك فيه من مفردات اللغة ، ودلالة الالفاظ •

رابعها : ان الخليل قد وقف في عمل هذا الكتاب على تلميـــذه الليث ـ وحده ـ ولم يتعده الى غيره من تلاميذه ، ولذلك خفي على غيره من أصحابه ، وبقيت روايته من طريق الليث الى الخليل فحسب •

والحق ان تلاميذ الخليل ثلاثة رجال ـ فقط ـ هم الذين كان لهم أثر في توجيه علم الخليل ، وحفظه للاجيال ، ويبدو لي أنهم كانوا يقصدون الى تدوين علمه قصدا وعمدا ، وهؤلاء الثلاثة هم : سيبويه، وقد أخذ عنه النحو والصرف ، ودوّن ذلك كله في (الكتاب) ونسب فيه الاقوال للخليل ، ولكنه أضاف اليه أقوال آخرين ، فجاء الكتاب جامعا الى آراء الخليل آراء غيره من علماء النحو ، وآراء سيبويه نفسه، لانه كان ذكيا فطنا عالما • ولما كان قد باشر الكتاب بنفســه ، كان من الحق ان ينسبه لنفسه • والاخفش سعيد بن مسعدة ، وكان همــه وديدنه أن يأخذ عن الخليل العروض والقوافي فوضـع فيهما كتابين ، وأشتهر بذلك • والليث بن المظفر ، وقد أخذ عن الخليل اللغة ، ولكنه

لم يكن في علمها بشيء ، ولم يكن بمقدرة سيبويه والاخفش وضع شيء فيها ، فكان من أكرام الخليل له ، وهو صاحبه وملازمه ، ومن يميل اليه أن طلب اليه نسخ ما يملي عليه من الكتاب ، وقد شهد الليث على نفسه بالقصور والضعف لطلب الخليل ، ولو كان في مقدار علم سيبويه والاخفش لصنع شيئا ونسبه الى نفسه ، ولكنه رجل صلاح وتقوى وصدق ، فحكى حقيقة ، عُدّت له أمانة علمية كبرى في تاريخ علوم اللغة العربية .

أما سائر تلاميذ الخليل ، فلم يكونوا سوى طارئين على حلقة درسه للسماع .

خامسها : يلاحظ ان ما ذكره الليث عن عمل الخليل في الكتاب أنه بجملته من وضع الخليل ، ولكنه عمل ينقسم قسمين : (القسم الاول)، وهو ما جاء في مقدمة الكتاب مما يحمل اراء الخليل ، وبيان منهجه في تقسيم الحروف الى أحياز ومجاميع ، وترتيب الحروف على المخارج ، تلك الدراسة الصوتية التي عرف بها الخليل — وحده — دون سائر علماء العربية ، والتي نقلت عنه في سائر كتب اللغة واخذها سيبويه عنه ، (والقسم الآخر) ، وهو وضع أبواب الكتاب ، وفصوله ومباحثه، وحروفه وكتبه ، على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، وتقليب المواد ، وتفسيرها ، ونقل نصوص اللغة فيها ، وقد أشار الليث الى ان الخليل قصد الى هذا قبل البدء .

فأما القسم الاول ، فقد ألفه الخليل — حتما — وربما سار فيه شوطا كبيرا ، وأجتاز مراحل من الجزء الثاني من الكتاب لم تعرف — بعد — ، لانها تمثل مشكلة — أيضا — بين العلماء ، في تحديدها ،

ومعرفة الحد الذي وصل اليه الخليل بنفسه ، وهو يحشو الكتاب ، ويسرد أمثلته ونصوص اللغة من مسموعاته ومحفوظاته ، ومروياته الخاصة ، حتى رجع اليه الليث ، فكتب بيده الجزء المتبقى والخليل يملي .

وهذا القسم هو الذي حدده بعض العلماء بأنه قطعة من أوله ، أو بأنه حرف العين فقط ، أو بأنه نصف الكتاب ، أو بأنه لم يتمه ، الى غير ذلك من أوجه الخلاف بينهم في تحديد المكان الذي وصل اليه الخليل على الحقيقة .

ومن هذا الذي نستنتجه ، ومما سنعرض له من آراء العلماء الآخرين في عمل الخليل ، بمساعدة الليث الناسخ ، سنستطيع تبيين الجهد الذي ، كان الليث ، وهو ينسخ للخليل ، ما كان يريد ان يعمله لخدمة العربية الخالدة .

الفصل الرابع

اقوال العلماء

فيما يأتي سنعرض لآراء العلماء من بعد الخليل ومواقفهم ازاء كتاب العين ، لنستشرف منها على الحقيقة التي انحرفت كثير من الاقوال حول العين عنها .

السجستاني : (٢٥٥هـ)

السجستاني هو أبو حاتم سهل بن محمد النحوي البصري ، أخذ عن الاصمعي وغيره ، وله تصانيف في اللغة ، كثيرة ، روتها كتب التراجم والاخبار .

لابي حاتم موقف سلبي ضد العين ، ولكنه موقف محكي عنه ، لم ينقل عنه قول أطلقه في الكتاب ، بل حكى عنه القالي (٣٥٦هـ) : انه لما ورد كتاب العين من خراسان في زمنه : « انكره أبو حاتم وأصحابه أشد الانكار ، ودفعه بأبلغ الدفع » ولكن القالي لم يشر الى الموضع الذي صرّح فيه السجستاني عن رأيه هذا من كتبه ، بل راح يعلق على هذا الانكار بكلام أخرجه من كيسه . فقال[١٣] : « وكيف لاينكره أبو حاتم ، على أن يكون بريئا من الخلل ، سليما من الزلل ، وقد غبر أصحاب الخليل بعد مدة طويلة ، لايعرفون هذا الكتاب ولا يسمعون به ، منهم النضر بن شميل ، ومؤرج ، ونصر بن علي ــ هكذا وصوابه علي بن نصر[١٤] ، وابو الحسن الاخفش ، وأمثالهم . ولو ان الخليل ألف الكتاب لحمله هؤلاء عنه وكانوا أولى بذلك من رجل مجهول

الحال ، غير مشهور في العلم ، أنفرد به ، وتوحّد بالنقل له .

ثم درج أصحاب الخليل ، فتـــوفي النضر بن شميل (٢٠٣هـ) والاخفش (٢١٥هـ) ومؤرج (١٩٥هـ) ، ومضت ـــ بعد ـــ مدة طويلة، ثم ظهر الكتاب بأخَرَةٍ في زمان أبي حاتم وفي حال رياسته ، وذلك في ما قارب الخمسين والمائتين لان أبا حاتم توفي سنة ٢٥٥هـ ، فلم يلتفت أحد من العلماء اليه ، ولا استجازوا رواية حرف منه ، ولو صح الكتاب عن الخليل ، لبدر الاصمعي واليزيدي وابن الاعرابي ، وأشباههم الى تزيين كتبهم ، وتحلية علمهم بالحكاية عن الخليـــل ، والنقل لعلمه ، وكذلك من بعدهم ، كأبي حاتم ، وأبي عبيد ، ويعقوب ، وغيرهم من المصنفين ، فما علمنا أحدا منهم نقل في كتابه عن الخليل من اللغـــة حـــرفا » .

ربما ذكر القالي كلامه هذا في مقدمة (بارعه) ، وهو يورد رأي أبي حاتم ، ولكنه في الواقع ، يصرح برأيه الخاص حـــول الكتاب ، فكلامه ـــ اذن ـــ ذو شقين .

الشق الاول : حول رأي السجستاني وأصحابه ، وهو انكارهم الكتاب ، ونسبته الى الخليل ، والشق الثاني : هـــو مذهبه في انكار كون الكتاب من صنع الخليل ، وفي كون مؤلفه الليث مجهولا ، وفي جهل علماء القرن الثالث بالكتاب ، وأمتناعهم عن النقل منه الى كتبهم .

أما الشق الثاني ، فلو فرضنا ان السجستاني أنكر الكتاب ، فأين قيد هذا الانكار من كتبه ، ولم لم يصرح القالي به ، ثم كيف ينكره وقد حكى قبله اسحاق بن ابراهيم بن راهويه (٢٣٨هـ) الفقيه المحدث عنه حكاية ، أثبتت أنه معروف ، وأشار الى أن الخليل قد ألف منـــه

(باب العين)[١٥] . واسحاق ممن عاش في الربع الاخير من القرن الثاني الى حدود : ٢٣٨هـ من القرن الثالث ، وكان عارفا بالليث وابنه رافع . فوجه انكار السجستاني مردود فيما يرى القالي .

أما انكار القالي نفسه للكتاب ، وادعاؤه بأن أحدا لم ينقل منه من أمثال الاصمعي ولا ذكره أحد من تلاميذ الخليل ولا حاكى احد من أهل اللغة كتبه بشيء منه ، فذلك كله مردود ، فقد ذكروا ان النضر ـ وهو تلميذ الخليل ـ قد وضع كتابا في العين ـ وهو مشكوك فيه كما ذهبنا ـ ولكنه سئل عن كتاب العين للخليل ، فأنكره ـ والحق معه ـ لانه خرج الى البادية ولم يره . والمهم هنا أنه سئل عن الكتاب ، والسائلون هم أناس متقدمون لان النضر قد توفي سنة (٢٠٣هـ) وهذا يعني أنه معروف في أواخر القرن الثاني الهجري لدى الناس . ثم ان سلسلة رواية الكتاب قد ذكرت رجالا ، أخذ فيها المتأخر عن المتقدم حتى وصلت الى الخليل مارة بجملة من العلماء في القرن الثاني والثالث والرابع حتى العصور المتأخرة .

ثم ان القالي نفسه قد نقل منه في البارع ، ونسب كل قول الى الخليل ، ولم يذكر الليث ، من قريب أو بعيد ، « قال الخليل : الهاع : سوء الحرص .. »[١٦] « وقال الخليل : التعوية والتعريس ، وهو... » .. « وقال الخليل : الاهيغ : ارغد العيش واخصبه .. »[١٧] ، وغيرها كثير[١٨] .

ويبدو ان القالي كان ـ في أول أمره ـ يشك بالكتاب ولكنه حين انتدب في الاندلس مع مجموعة من علمائها ، وهم[١٩] : محمد بن ابي الحسين ، واحمد ومحمد أبنا سيد ، وهما تلميذا القالي ـ لأحضار

نسخ العين ومقابلتها ، وكانت من بينها نسخة المنذر بن سعيد البلوطي القاضي ، أقتنع بأنه للخليل لا لليث ، فبدا له ان ينسب الاقـوال الى الخليل في كتابه (البارع) .

وربما جمحت المبالغة ببعض الباحثين الى عد (البارع) نسخة من العين ، بأجراء تعديل في بعض مواده وأكمال شواهده المبتورة ، ولذلك يقول الطعان[٢٠]: «اخذ القالي هذه النسخة ــ يريد النسخة التي خرج بها المنتدبون لمقابلة نسخ الاندلسيين من العين ــ .. فوصلها فقدم لكل مادة لغوية ، بما ورد عنها في مروياته ، وأرتأى ان يخالف في ترتيب الحروف بعض الشيء ، وأضاف بعض ما ظنه مهملا ، ونسب الشواهد غير المنسوبة الى قائليها ، متى أستطاع الى ذلك سبيلا ، وأكمل الشواهد المبتورة ، فكان من ذلك كله البارع ، فالبارع ــ اذن ــ ليس الا كتاب العين موصولا »[٢١] .

ولذا فان ما تقوله القالي حول الشك في العين ينهدم كله أمام عمله الذي صنعه في العين ، وما آل اليه في النتيجة ، عندما أحس بخطـأ ما ذهب اليه في صحة نسبة الكتاب الى الخليل . وهذا كله ينضاف الى مالاحظناه ، حول النص الذي أوردناه عن الليث نفسه ، وهو يحكي قصة تأليف العين ، خصوصا ان الكتاب ألف في اخريات حياة الخليل ، وانه أختص به دون أصحاب الخليل ، مما أخر شهرة الكتاب ، ولم يخرج الى الناس مبكرا .

وأما أدعاء القالي بأن الليث كان مجهولا ، فهو كلام صحيح لان الليث ــ كما سبق ــ لم يمتلك ناصية العلم واللغة ، كما امتلكها غيره من تلاميذ الخليل ، بل كان احد الراغبين في العلم ، وكان منقطعا الى

الخليل، أو انقطاع صلته [illegible]، فلم يتأمله [illegible] كتاب أو
تأليف [illegible] يدفع القول بأنه واضع كتاب العين، في التالي
مدين بما قال [illegible]

اسحاق بن راهويه

وأما اسحاق فهو الفقيه المحدث اسحاق بن ابراهيم المشهور
بابن راهويه، كان من معاصري أبي عبيد القاسم بن سلام، وكان يفضل
للقاسم بأنه أعلم منه، وصف بالصدق والفقه، وتوفي سنة ٢٣٨هـ (٣٢).
حدث الزاهد — غلام ثعلب — (٣٤٥هـ) عن فتى، قدم من خراسان، وكان يقرأ على أبي عمر الزاهد كتاب (العين) قال: أخبرني أبي عن اسحاق بن راهويه، قال: «كان الليث صاحب الخليل بن أحمد رجلاً صالحاً، وكان الخليل عمل من كتاب العين باب العين وحده، فأحب الليث أن تنفق سوق الخليل، فصنف باقي الكتاب وسمى نفسه الخليل، وقال لي مرة أخرى: فسمى لسانه الخليل من حبه للخليل بن أحمد، فهو اذا قال في الكتاب: قال الخليل بن أحمد، فهو الخليل، واذا قال: وقال الخليل، مطلقاً، فهو يحكي عن نفسه. فكل ما كان في الكتاب من خلل فإنه منه لا من الخليل» (٣٣)..

وفي كلام اسحاق أشياء:

١ — ان الخليل ألف من الكتاب حرف العين فقط، وأتم الليث سائره.

٢ — ان الليث نسب ما صنعه الى الخليل [illegible] الكتاب [illegible]
[illegible]

٣ ــ ان الفقرة الاخيرة تشير الى ان الليث يستخدم في الكتاب اسلوبين في النسبة الى الخليل ، وهما قـــوله : (قال الخليل) فهو يعني نفسه ، و (قال الخليل بن أحمد) ، فهو يعني الخليل •

فأما الشيء الاول ، فمردود بما مضى من القول حول جهل الليث، واعترافه بقصوره ، وضعفه فيما نوى الخليل ان يعمله ، وأما الشيء الثاني ، فكون الليث ينسب عملا جبارا رائعا في اللغة يعد بدعا في تاريخ العرب ، الى غيره من الناس مهما كان هذا المنسوب اليه ، فهو أمـــر لايقره العقل والمنطق •

وأما الشيء الثالث ، فان أبن راهويه قد زعم ان الخليل ألــف الجزء الاول من الكتاب ، وانتهى من حرف العين ، وهو يمثل جــزءا كبيرا منه وهذا يعني ان الليث لم يشاركه في شيء من هــذا الجزء ، فينبغي على هذا ان يكون أسلوب نسبة الاقوال الى الخليل ، بوروده على الشكل الذي يدل على أنه قول الخليل بن أحمد •

وهذا كتاب العين بين ايدينا ، والجـــزء الاول منه[٢٤] خاص بحرف العين ينتهي الى مادة (عصم) يسلك فيه المؤلف منهجا واحــدا في نسبة الاقوال : (قال ليث قال الخليل)[٢٥] و (قال الخليل)[٢٦] •• وقال ليث للخليل[٢٧] ••

وتسير جل النقول على هذا المنهج من غير ان يذكر أسم الخليــل كاملا ، وربما وردت أقوال منسوبة الى الليث ــ وحــده ــ كقوله : (قال الليث : قلت لابي الدقيش) وهذا يحتمل امرين ، أولهما ان في الكلام سقطا بين (الليث وقلت) وهو : (قال الخليـــل) أو هو من تصرف الليث ، لان الخليل قد سمح له أن يسأل عن بعض ما يشــاء

فيه ، ليتثبت منه .

وفي آخر مقدمة الكتاب : « قال الخليل : بدأنا في مؤلفنا هـذا بالعين ... و ... » . فهل بعد هذا يكون لابن راهويه رأي في دفع الكتاب عن الخليل !؟ .

شمر بن حمدويه الهروي : (٢٥٥هـ)

هو ابو عمرو شمر بن حمدويه الهروي اللغوي ، لقي أصحاب الليث والنضر ، وتوفي سنة ٢٥٥هـ . ذكر الازهري أنه لما ألف كتابه الجيم ، حشا كتابه هذا بكثير من كتاب العين ، ولكنه عزا نقوله الى محارب . وعلق الازهري حوله بقوله : « وأظنه رجلا من أهل مرو ، وكان سمع كتاب الليث منه »[٢٨] .

وهذا يعني ان شمرا كان يرى في العين ، أنه لغير الخليل ان صدق كلام الأزهري حول شخصية محارب .

المبرد : (٢٨٥هـ)

أبو العباس محمد بن يزيد بن عبدالاكبر الثمالي الازدي ، رأس نحويي البصرة في القرن الثالث الهجري ، ولد سنة ٢٠٦هـ وتوفي سنة ٢٨٥هـ[٢٩] وقيل : ٢٨٦هـ .

كان موقفه ايجابيا من كتاب العين ، وكان يروى عنه أنه كان يرفع من قدر الكتاب ، نقل السيوطي في (المزهر) قال : « وأما كتاب العين المنسوب الى الخليل ، فهو أصل في معناه ، وهو الذي نهج طريقة تأليف اللغة على الحروف ، وقديما أعتنى به العلماء ، وقبله الجهابذة ، فكان المبرد يرفع من قدره ، ورواه أبو محمد بن درستويه »[٣٠] .

ثعلب : (٢٠٠ـ٢٩١هـ)

أبو العباس احمد بن يحيى الشيباني ، رأس نحويي الكوفة في عصر المبرد ، ولد سنة ٢٠٠هـ وتوفي سنة : ٢٩١هـ(٣١) .

يعتمد ثعلب على القول الذي يذهب الى أن الكتاب من وضع الخليل ، ولكنه يقف في وضعه على أنه المؤسس لمنهجه ، الواضع لاطره ، أما حشوه بالامثلة والشواهد ونصوص اللغة ، فليس للخليل يد فيها .

يقول : « انما وقع الغلط في كتاب العين ، لان الخليل رسمه ، ولم يحشه ، ولو كان حشا الكتاب ما بقى فيه شيئا ، لان الخليل لم ير مثله .

قال : وقد حشا الكتاب ــ ايضا ــ قوم علماء ، الا انهم لم يؤخذ عنهم ــ رواية ــ ، وانما وجد بنقل الوراقين فاختل الكتاب لهذه الجهة »(٣٢) .

وفي حكاية عن أبي محمد الانباري القاسم بن بشار (٣٠٤هـ) وكان تلميذ ثعلب ، أنه قدم الى بغداد ، وكان ابنه محمد أبو بكر صغيرا ولم يكن له دار يسكنه ، لتوسط له ثعلب عند قوم ، يقال لهم : (بنو بدر) فأعطوه شيئا لايكفيه ، وذكروا (كتاب العين) ، فقال لهم أبو محمد : « عندي كتاب العين » ، فقالوا له : بكم تبيعه ؟ فقال لهم ، بخمسين دينارا ، فقالوا : قد أخذناه بما قلت ، ان قال ثعلب : انه للخليل ، فسألهم أبو محمد ، فيما لو انكر ثعلب نسبته الى الخليل : « بكم تأخذونه » ؟ فقالوا : بعشرين دينارا .

وهنا يتحدث أبو محمد عن نفسه فيقول : « فأتيت أبا العباس

من فوري ، فقلت له : يا سيدي ، هب لي خمسين دينارا . فقال لي : أنت مجنون ، وهذا تأكيد !؟ .

فقلت له : أريد من مالك ، وخذ الحديث . فقال : فاكذب إذا . قلت : حاشاك ، ولكن أنت أخبرتنا أن الخليل فرغ من باب العين ، ثم مات . فاذا حضرنا بين يديك للحكومة ، صنع يدك على ما لا شك فيه .

فقال : تريد أن انجش لك ؟ فقلت : نعم .

قال : فأتهم فبكروا وسبقوني ، وحضرت ، فأخرجوا الكتاب وتأولوه ، وقالوا : هذا للخليل أم لا ؟ ففتح حتى توسط باب العين ، وقال : هذا كلام الخليل ، قال : فأخذت خمسين دينارا .

فمذهب ثعلب ان الكتاب وضعه الخليل ، ووصل فيه الى آخر العين ، وما بعده من وضع غيره ، كما تروي هذه الحكاية ، وهي تخالف مقالته السابقة التي تقرر ان الخليل وضع منهج الكتاب بجملته ، من غير حشو . وبهذا كان ثعلب يبدو من خلالهما موضوعيا ، بعيدا عن التطرف والهوى . فان كان في الحكايتين ما يقطع بأن الخليل لم يؤلف الكتاب كله ، بيده ، وفي رواية الليث السابقة ما يؤيد شيئا من كلام ثعلب هنا ، لأن الليث تزعم ان الخليل دله على الطريق في وضع العين ، وأنه عمل الجزء الأول بيده ، فلما رجع من الحج أتم الكتاب . الخليل يملي والليث يكتب ، مع انها تحتفظ بمطلب الخليل من الليث أن يسأل عن الأشياء التي يشك

فيها . فما بين كلام ثعلب هنا ، وما نقله الليث عن تأليف الكتاب أواصر شديدة القربى تشير الى حقيقة العمل .

وما ذهب اليه ثعلب من ان الكتاب قد حُشِيَ من علماء — فيما بعد — ليس أمرا غريبا لانه تداولته أيدي النساخ والوراقين ، وتعاقب عليه قراء ودرسة ، ونقدة لغة ، فأضافوا اليه ، وأوقعوا فيه أشياء ليست من عمل الخليل ، ولا مما أثبته الليث .

يؤكد السيوطي هذه الظاهرة في نسخ الكتاب ، فيقول : « ومن الدليل على ما ذكره أبو العباس من زيادات الناس فيه ، أختلاف نسخه، وأضطراب رواياته الى ما وقع فيه من الحكايات عن المتأخرين ، والاستشهاد بالمرذول من أشعار المحدثين ، فهذا كتاب المنذر بن سعيد القاضي الذي كتبه بالقيروان ، وقابله بمصر بكتاب أبن ولاد ، وكتاب ابن ثابت[٢٤] المتنسخ بمكة ، قد طالعناهما ، فألفينا في كثير من أبوابهما :

— « أخبرنا المسعري عن أبي عبيد » وفي بعضها :

— « قال ابن الاعرابي — وقال الاصمعي » .

هل يجوز ان يكون الخليل يروى عن الاصمعي ، وابن الاعرابي وابي عبيد ، فضلا عن المسعري .

وكيف يروى الخليل عن أبي عبيد ، وقد توفي الخليل سنة ١٧٠هـ ، وفي بعض الروايات سنة ١٧٥هـ ، وأبو عبيد — يومئذ — ابن ست عشرة سنة ، وعلى الرواية الاخرى ابن (٢١) سنة ، لان مولد أبي عبيد سنة ١٥٤هـ ووفاته سنة : ٢٢٤هـ ، ولا يجوز ان يسمع عن المسعري علم أبي عبيد ، الا بعد موته ، وكذلك كان سماع الخشني

منه سنة : ٢٤٧هـ . فكيف يسمع الموتى في حال موتهم . أو ينقلوه عن من ولد من بعدهم »[٣٥] .

والذي يتأمل العين ، يجد اسماء أعلام من القرون المتأخرة كالقرن الخامس والسادس ، من امثال الزوزني وغيره . وما ذاك الا من حشو النساخ ، وتعاليق القراة ، وهذه مشكلة تعانيها معظم الكتب المؤلفة في عصر العين او بعده بقليل ، ومن شاء أن يجد نظير هذا ، بل أكثر منه ، فليقرأ في كتاب (النوادر) المنسوب لابي زيد الانصاري[٣٦] فسيهوله ما يجد من أسماء الاعلام ممن كانوا تلاميذ لابي زيد ومن بعدهم ، كالمازني والرياشي ، والسجستاني والمبرد وثعلب والزبادي ، وغيرهم . ولو قيس النوادر وما حشي به من تعليقات المعلقين ، بالعين ومحشواته، لبان الفرق كبيرا ، اذ ربما تخلو صفحات طوال من العين من غير ذكر الخليل والليث ، وبعض الاعراب ممن عاصروا الخليل .

أبو أحمد العسكري : (٢٩٣-٣٨٢هـ)

هو الحسن بن عبدالله بن سعيد ابو احمد العسكري اللغوي ، نشأ في خراسان ، وأخذ عن جملة من علماء اللغة والدين كأبن دريد ونفطويه ، وابي القاسم البغوي ، وأبي بكر بن الانباري . وغيرهم ، له جملة من المؤلفات ، منها كتاب : ما لحن فيه الخواص ، وكتاب الحكم والامثال والمختلف والمؤتلف . وشرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف . توفي سنة ٣٨٢هـ[٣٧] .

تميز أبو احمد العسكري بطرافة المذهب فيما نقل حول كتاب العين من أخبار ، ولعل أخباره كانت مصدر ابن خلكان فيما بعد ،

في حين انطوى هذا الأخير بأن كتاب العين ألفه تلاميذ الخليل ، وكما سيأتي .

ففي مطلع مآخذه على كتاب العين من التصحيف والتحريف ، يشير العسكري الى شكه في نسبة الكتاب الى الخليل ، فيقول : « باب ما روي من أوهام علماء البصريين ، ما وهم فيه الخليل بن أحمد في كتاب العين ، أن كان عمله »(٣٨) . وبذلك يبدو شك العسكري في الكتاب واضحا ، ولكنه يذهب الى تقويته ، وتأكيده ، بما ينقل من روايات حول عمل الخليل فيه ، فيقول : فأني رأيت مشايخنا كالمجمعين على ان الخليل ، أنما عمل بعض الكتاب » و « قال : بل عمل حرف العين فقط » « وان النضر بن شميل تممه بخراسان وأجتمع معه الليث ابن المظفر ، وعلي بن ساسان الواسطي ، فاضافوا الى الكتاب مايجوز ، وجملا مما لايجوز ، رغبة في ان يكون الكتاب كاملا تاما »(٣٩) .

وهذه المقالة في الكتاب لم يسبق اليها أحد قبل العسكري ، وهي تعطي فضيلة أتمام الكتاب للنضر بن شميل وتجعل مكان الليث ثانيا ، ثم تضيف علي بن ساسان اليهما ، في حين نجد ان عظم المشتغلين في مشكلة كتاب العين ونسبته يذهبون الى أن الليث هو الذي أتمه ولا شأن للنضر بن شميل به ، بل يروون عنه انه انكر وجود مثل هذا الكتاب للخليل . فضلا عن أن طريق رواية العين جاءت مسندة الى الليث الى الخليل .

أما علي بن ساسان الواسطي ، فلم يسمع عنه أن له اشتغالا بشيء من علم اللغة أو الادب ، ولم ينقل لنا الرواة عن شخصه شيئا يذكر فيما له صلة بنسبة تتمة الكتاب الى النضر أو غيره ما عدا الليث — مشكلة أخرى يضيفها أبو احمد العسكري الى جملة الأقوال التي

دارت حول العين [illegible]

[illegible] ويؤكد العسكري نسبة تمام الكتاب من غير الخليل ، ان هؤلاء المذكورين قد « استشهدوا بأشعار المولدين ، مما لم يكن الخليل يلتفت اليه ولا يستشهد بمثله » ولذا فهو يقول : « وقد علمت في العين والحاء والراء ، وغيرها ، على اكثر من أربعين شيئا للمحدثين مثل سليمان بن يزيد العدوي وصالح بن عبد القدوس وسلم الخاسر »(٤٠) وبشار ، وممن في طبقتهم . بل وجدت فيه شيئا من شعر أبي دلامة ، والحسن بن هانئ ، وهذا أول دليل على ان الكتاب مختلف مزيد فيه »(٤١) [illegible] على ان العسكري ـ كما هو واضح ـ لم ينف ان الخليل عمل في الكتاب ولكنه لم يثبت في الموضع الذي عمله الخليل ، أو وقف عنده ، ونقل عن الزاهد [illegible] حديث اسحاق بن راهويه في عمل كتاب العين بيد الخليل ، فلم يفرغ منه ، وأتمه الليث بعد [illegible] منه [illegible] ان يكرره [illegible] ولكنه أخذ [illegible] على [illegible] في اسناده الى اسحاق بن راهويه الذي يرى العسكري فيه ان « محله من الصدق فيما يحكيه محل جليل »(٤٢) . ولو لم يكن فيه اسحاق « لما تمسك عن ذكره » [illegible] حديث ابن راهويه [illegible] في الكثير من موضع ، ولكن الغريب فيه هنا ان ابن راهويه ينقله عن النضر بن شميل فإنه قال : « كان الليث رجلا صالحا ، ومات الخليل ولم يفرغ من كتاب العين ، قال : فأحب الليث ان ينفق الكتاب كله ، فسمى لسانه الخليل »(٤٣) الخ [illegible]

وخبر العسكري هنا ، غريب ، لان صاحب الرواية فيه هو النضر ،

وفيما تقدم من حديثه ان النضر هو الذي أتم الكتاب وساعده فيه الليث والواسطي ، وبذلك يقع الخبران في تناقض كبير ، مما يدفع الاخذ بواحد منهما أو بهما معا . على ان النتيجة التي يمكننا ان نخلص اليها هو ان الخليل قد باشر جزءا منه ، ثم أتمه غيره . وتكاد الروايات تجمع على ان الليث هو الذي أتمه بعده .

وأسترسل العسكري في سرد أمثلة من التصحيف والتحريف في كتاب العين ، صدرها ان مثلها لايذهب على الخليل ، ولكنه ذكر في تضاعيف كلامه عن أبن دريد ان (الخليل خالف الناس)[٤٣] فيها أو أنه « لم يسمع من غيره »[٤٤] أو كقوله : « قرأت على أبن دريد : الشدف : سواد الشخص ـ بالشين المنقوطة ، ما رأيت شدفا ، أي : شخصا ، ثم قال أبو بكر : لاتنظر الى ما في كتاب الخليل في باب السين غير المعجمة ، فقال : سدف في معنى شدف ، فان ذلك غلط من الليث على الخليل »[٤٥] .

ومن العجيب ان العسكري حين ينفرد بالنقل من العين يقول (قال الخليل في كتاب العين)[٤٦] مما يدل على أيمانه بان كتاب العين من صنع الخليل .

وقد سبق أن سقنا قول ابن دريد في بعض تصحيفات العين ، وهي شبيهة بما ينقل العسكري في (شرح تصحيفه)[٤٧] .

ابن المعتز : (٢٩٦هـ)

هو عبدالله بن المعتز الخليفة الشاعر العباسي ، اشتغل بالعلم والادب ، ووضع كتبا في الادب والنقد والبلاغة ، منها كتابه (طبقات الشعراء) .

ولد سنه : ٢٤٤هـ . وتوفي سنه ٢٩٦هـ[٤٨] .

حكى ابن المعتز قصة طويلة ، تنتهي بأن الكتاب من تاليف الخليل ابن أحمد لم يشاركه فيه أحد ، ولكن ظروفا طرأت على الكتاب أدت به الى يكون في نهاية المطاف نسخة مريضة مخلطة ، لايشبه أوله آخره ، والى القارىء ما حكاه ابن المعتز : « كان الخليل منقطعا الى الليث ... فأراد الخليل أن يهدي له هدية ، فعلم أن المال والاثاث لايقعان عنده موقعا . فصنف له (كتاب العين) الذي لم يوضع مثله ، فوقع عنده موقعا جسيما ، وحفظ نصفه ، وكانت له بنت عم تحته عاقلة ، فابتاع جارية بارعة الجمال ، فبلغها ذلك . فنالتها غيرة عليه ، فقالت : لأغيظنه ! وعمدت الى الكتاب ، فأحرقته لعلمها بأعجابه به ، فطلب الليث الكتاب ، فلم يجده ، واخبر بحاله فاسقط في يده ، وكان الخليل قد مات ، فطلب نسخة للكتاب فاعوزته ، لان الخليل كان قد خصه به ، فاستدرك النصف من حفظه ، وجمع على النصف الباقي أدباء زمانه ، فمثلوا على النصف الاول ، ولم يلحقوا ، فالنصف الاخير الذي في أيدي الناس ليس من تصنيف الخليل »[٤٩] .

وهذه القصة التي انقلها ــ هنا ــ ذكرها المرزباني في (المقتبس) وحذف منها اليغموري بعض فصولها ، فجاءت مختصرة ، ولكنها وافية بالغرض ، وفي (طبقات الشعراء) و (معجم ياقوت) تفصيل أكثر ، لانجني منه شيئا جديدا ، سوى أن اين المعتز روى هذه الحادثة عن الحسن بن علي المهلبي ، وهو من أعلام القرن الثالث الهجري .

من سير أحداث الحكاية ، يتبين لنا ان الخليل هو مؤلف الكتاب وسواء أبقي الكتاب على حاله ، أم أحرق ــ فعلا ــ كما تروى الحكاية،

فان الاتفاق حاصل – أيضاً – على أن الجزء الأول منه قليل التخليط ، وأن الجزء الأخير منه كثيره ، ولكن هل التخليط هذا كان بسبب جديد ، هو أن الكتاب الأصلي قد تلف ، فأعاد كتابته الليث ، وكان يحفظ نصفه الأول ، ولم يحفظ النصف الثاني ، فاستعان بعلماء عصره ليحشوا القسم الثاني منه ، بعلمهم في اللغة كما هو واقع في مقالة الاضطراب فحكاية ابن المعتز لم تأت بجديد تضيفه الى ما مضى ، ولكنها شكلت سببا جديدا لحصول الاضطراب ، وأكد صنع الكتاب من الخليل .

المفضل بن سلمة : (٣٠٠هـ)

هو أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم اللغــوي الكوفي[٥٠]

وله كتب منها كتابه (البارع) ولحن العامة ، والاستدراك على الخليل .

أختلف في وفاته ، والارجح : أنها سنة (٣٠٠هـ) ، كما ذكر ابن شهبه .

كان أبو طالب من المتحاملين على كتاب العين ، ولكنه لم يبد منه أنه كان ينكر نسبة الكتاب الى الخليل ، بل قصر جهــوده على نقض كتاب الخليل ، والاستدراك عليه ، ومما نقل من كلامه على كتــاب العين قوله :

« ذكر صاحب العين أنه بدأ كتابه بحرف العين ، لانهــا أقصى الحروف مخرجا ، قال : ولو قال : بدأت بالعين ، لانها أكثر في الكلام ، وأشد اختلاطا بالحروف لكان أولى »[٥١] .

ومما يجد القارئ في النص انه سمى مؤلف الكتاب بـ (صاحب العين) كأنه يغمز الكتاب بكون مؤلفه مجهــولا ، وما أظن ذلك مراده ، فان قولهم : (صاحب الكتاب الفلاني) تعني الشهرة والعرفان

كما يقولون : صاحب الكتاب، ويريدون سيبويه ؛ وصاحب الوفيات، ويريدون ابن خلكان مثلا.

والذي يدلنا على أنه المفضل أراد الخليل نفسه، أنه وضع أكثر من كتاب على علم الخليل وقصد اليه في رده ونقضه من ذلك كتابه :

ـ البارع، قال القفطي: « واستدرك على الخليل في كتاب العين، وجعله في كتاب كبير الألفاظ، وسماه (البارع) ولما قرأ ابن مقلة هذا الكتاب على ابن دريد، كان ابن دريد يقول في بعض ما يرده: صدق أبو طالب، وفي بعض الرد يقول: كذب أبو طالب، ومات أبو طالب قبل إتمام هذا الكتاب، والذي خرج منه: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء »(٥٢).

ولقي كتابه البارع هذا نقدا قاسيا من جملة من أئمة العربية كنفطويه وابن دريد وابن الخشاب: نقل ياقوت أن ابن الخشاب قال فيه: « على أنني قد تتبعت أغلاط المفضل في كتابه الذي سماه البارع في الرد على كتاب العين فوجدت أشياء تدل على قصوره في الصناعة وضعفه في قياسها » وذكر ياقوت عن ابن الخشاب أمثلة مما انتقده فيه(٥٣).

وصنف نفطويه عليه كتابا سماه: « الرد على المفضل ابن سلمة في نقضه على الخليل »(٥٤).

وجمع ابن دريد من تكذيبه للمفضل، وتصويبه آراءه كتابا سماه « التوسط » في حجم متوسط(٥٥).

وذكر ابن النديم أن المفضل ألف كتابا ثانيا في الاستدراك على الخليل غير البارع؟ قال: استدرك على الخليل في كتاب العين خطأه،

وعمل في ذلك كتابا ، وله البارع)[٥٦] وأسم الكتاب : « الـرد على الخليل ، وأصلاح ما في كتاب العين من الغلط والمحال والتصحيف»[٥٧].

وحين وقف أبو الطيب اللغوي على ردوده على الخليل قال : « رد أشياء من كتاب العين أكثرها غير مردود ، وأختار في اللغة والنحـــو ومعاني القرآن أختيارات غيرها المختار »[٥٨] .

وقبل أن اترك المفضل ، وردوده على الخليل ، أود أن أعطي رأيي في ما ذهب اليه من تقديم العين ، ونقده الخليل به ، فان مذهبه فيمـا سردناه ، مردود من جهتين :

١ ـ ان العين ليست أكثر دورانا في الكلام من غيرها من الحروف وإلا فأين نضع حروف الذلاقة ، والهمزة نفسها أكثر دورانا من سائر الحروف .

٢ ـ ان الهمزة حرف حلقي ، واختلاطها بالحروف كاختلاط العـين بسائرها ، ولكن الذي سوغ للخليل الابتداء ، بالعين انها أنصع الحروف جرسا ، وأشدها ثباتا ، قال الازهري : « أما العـين فأنصع الحروف جرسا ، والذها سماعا »[٥٩] . في حين نجـــد الهمزة متغيرة ، لا تثبت على صوتها في كثير من الاحيان ، فالبدء بحرف صحيح ثابت الصوت ناصع الجرس ، لذيذ عند السماع، أمر لا معدى عن صحته ، ولذلك قال الخليل : « لم أبدأ بالهمزة، لانها يلحقها النقص والتغيير والحذف ، ولا بالالف ، لانهـــا لا تكون في ابتداء كلمة ، ولا في أسم أو فعل الا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء ، لانها مهموسة خفية ، لاصوت لها . فنزلت الى الحيز الثاني ، وفيه العين والحاء ، فوجدت العين أنصـــع الحرفين ،

فابتدأت به ، ليكون أحسن في التأليف وليس العلم بتقدم شيء على شيء ، لانه كله مما يحتاج الى معرفته ، فبأي بدأت كان حسنا ، وأولاها بالتقديم ، أكثرها تصرفا »[٦٠] .

ابن ولاد : (٣٣٢هـ)(٦١)

وهو أبو العباس احمد بن محمد بن الوليد بن محمد التميمي ، أخذ عن الزجاج (٣١٠هـ) وغيره ، وتوفي سنة (٣٣٢هـ) كان من رواة كتاب العين عن أبيه ، ولم يشك في أنه للخليل ، ولكنه أنتقد منهج العين في مقدمة كتابه (المقصور والممدود) فقال : « لعل بعض من يقرأ كتابنا ينكر أبتداءنا فيه بالالف على سائر حروف المعجم ، لانها حرف معتل ، ولان الخليل ترك الابتداء به في (كتاب العين) . وليس غرضنا في هذا الكتاب ، كغرض الخليل في كتاب العين ، لان العين ، لايمكّن طالب الحرف منه أن يعلم موضعه من الكتاب ، من غير أن يقرأه الا ان يكون قد نظر في التصريف ، وعرف الزائد والاصلي والمعتل والصحيح ، والثلاثي والرباعي والخماسي ، ومراتب الحروف من الحلق واللسان والشفة ، وتصريف الكلمة على ما يمكن من وجوه تصريفها في اللفظ على وجوه الحركات ، والحاقها ما تحتمل من الزوائد، ومواضع الزوائد بعد تصريفها بلا زيادة .

ويحتاج مع هذا الى أن يعلم الطريق التي وصل الخليل منها الى حصر كلام العرب .

فاذا عرف هذه الاشياء عرف موضع ما يطلب من كتاب العين[٦٢] .

والحق أن ما عرضه أبن ولاد ــ هنا ــ من صعوبات تواجه

القارىء لكتاب العين هو كل ما يمكن ان يؤخذ على طريقة الخليل في تأليف الكتاب وتبعه أو شاركه في مثل هذا النقد معاصره في البصرة، ابن دريد (٣٢١هـ) ، كما سيأتي وهي صعوبات يمكن أن تذلل اذا ما فهم القارىء المنهج بدقة .

(٦٣) [illegible]

ابن دريد : (٣٢١هـ)

[illegible]

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي اللغوي البصري، صاحب معجم (الجمهرة) الذي تأثر فيه بطريقة الخليل، ونهج نهجه إلا في بعض أجزائه، ولد سنة ٢٢٣هـ وصنف جملة من كتب اللغة، وتوفي سنة ٣٢١هـ(٦٣) [illegible]

[illegible] ابن دريد) في نسبة الكتاب الى الخليل ولكنه انتقد أسلوبه [illegible] ومن المعاصرين [illegible] كتب اللغة التي [illegible] العين [illegible] كتاب الجمهرة [illegible] بكر بن دريد [illegible] في خطبة الكتاب [illegible] ألف الخليل [illegible] كتاب العين [illegible]

[illegible]

[illegible]

وما نظن أن الليث كان متصفا بهذه الصفة التي أشار اليها ابن دريد في [illegible] الخليل [illegible] كما يرى ابن دريد ، ولذلك تخلى عن ترتيبه على المخارج والتزم بالترتيب الالفبائي لانه الايسر والاوضح في الاهتداء الى المادة اللغوية ، ومع ذلك فهو يرى في منهجه هذا وفي عمله التقدم والفضل فيقول : [illegible] ألـف

أبو عبدالرحمن الخليل بن احمد الفرهودي ـ رضي الله عليه ـ كتاب العين » •• فالمنصف له بالقلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكل من بعده له تبع أقر بذلك أم جحد[٦٥] • ونسب اليه في ثنايا الكتاب نصوصا وتفسيرات كثيرة ، ولكنه نزّه الخليل عن الغلط فقال ـ مثلا ـ في يوم بعاث : « ويوم بعاث يوم معروف من أيام الأوس والخزرج ـ في الجاهلية ـ سمعناه من علمائنا ـ بالعين وضم الباء ، وذكر عن الخليل : بالغين معجمه ـ ولم يسمع من غيره ، قال أبو بكر وليس هذا صحيحا عن الخليل أيضا »[٦٦] •

ولابن جني (٣٩٥هـ) نقد قاسٍ على جمهرة أبن دريد ، وصفه بأضطراب التصنيف وفساد التصريف ، واستكثر أوهامه وأغلاطه حتى ضرب عنه صفحا ، واهمله[٦٧] •

ولقد سبق ان أشرنا الى أن لابن دريد كتابا سماه : (التوسط) بين المفضل والخليل في كتابيهما[٦٨] • ولعله رتبه على نهج الخليل ، لانه أشبه بالاستدراك على الكتابين : العين ، والرد عليه •

الكرماني النحوي : (٣٢٩هـ)

وهو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن موسى الكرماني النحوي (٣٢٩هـ) له عناية بالنحو واللغة ، لم ينكر عمل الخليل في الكتاب ، ولكنه أستدرك عليه حروفا بكتاب سماه : « الجامع في اللغة » ، ذكر فيه ما اغفله الخليل في العين ، وما ذكر أنه مهمل ، وهو مستعمل وما ذكر انه مستعمل ، وقد أهمل »[٦٩] •

المنـذري : (٣٢٩هـ)

هو محمد بن أبي جعفر أبو الفضل المنذري ، شيخ الازهري ، وتلميذ ثعلب ، له عدة مؤلفات من جملتها كتاب في معاني القـــرآن ، وآخر سماه نظم الجمان ، وغيرهما • توفي سنة ٣٢٩هـ في هراة •

يبدو من سؤاله ثعلبا عن كتاب العين ، أنه يشك في مؤلفه الحقيقي وان لم يظهر ذلك ، فيما روى عنه ، قال : « سألت ثعلبا عن كتاب العين، فقال : ذلك كتاب ملىء غدد ، قال : وهذا لفظ ابي العباس ، وحقـه عند النحويين : ملآن غددا ، ولكن أبا العباس يخاطب العامة على قـدر فهمهـم »[٧٠] •

ولياقوت الحموي نقد على عبارة ثعلب ، انهاها بقوله : « وأراد في جراب العين حروفا كثيرة ، قد ازيلت عن صورها ومعانيها بالتصحيف والتغيير ، فهي تضر حافظها كما تضر الغدد آكلها »[٧١] •

الزجاجي (٣٣٩ هـ)

هو عبدالرحمن بن اسحاق أبو القاسم الزجاجي النحوي ، أخذ عن الزجاج ، ولقب به ، ونسب اليه ، توفي سنة ٣٣٩هـ ، وقيل ٣٤٠هـ ، وقيل غير ذلك[٧٢] ، وله مصنفات عدة ، منها كتابه الامالي ، وكتابه : اشتقاق اسماء الله وغيرهما •

زعم السيوطي في المزهر ، ان الزجاجي استكثر النقل من كتـاب العين ، بحيث لم يخل له كتاب من النقل في اللغة عن العين ، والواضح ان الزجاجي في كتابه (الاشتقاق) ينقل عن الخليل بعبارة صريحة[٧٣]•

ومن نقوله عن الخليل ، قوله : « وقال الخليل : ومكة ميعـــاد

للحجاج لعودهم اليها ، دفعة بعد أخرى ، وقال : ويقال : اللهم ارزقنا الى البيت عودا ومعادا وعودة .. »(**) .

والنص في (العين) في مادة (وعد) ، ونقله الازهري عنه في (التهذيب) بشيء من التغيير الطفيف . مما يحقق قول السيوطي : « ويكاد لايوجد لابي القاسم الزجاجي حكاية في اللغة الا منه »[٧٤] .

ابن درستويه (٣٤٧ هـ)

وهو عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي البصري ، أخذ عن المبرد الكتاب ، وله كتب منها تفسير كتاب الجرمي ، وكتاب الارشاد وغيرهما ، توفي سنة ٣٤٧هـ[٧٥] . وكان مولده سنة ٢٥٨هـ ، كما حكى عن نفسه[٧٦] .

كان أبن درستويه عضد كتاب العين ، وساعده ، وكان أحد رواته ، وألف في الدفاع عنه : كتاب الرد على المفضل بن سلمة فيمانسبه من الخلل الى الخليل[٧٧] . وسماه القفطي : « رد على المفضل في الرد على الخليل »[٧٨] . ويبدو ان أبن خلكان كان يريده ، حين ذكر كتاب العين ، وما حصل له من تغيير وخلل من تلاميذ الخليل فقال : « وقد صنف ابن درستويه في ذلك كتابا استوفى الكلام فيه ، وهو كتاب مفيد »[٧٩] . ولعل عبارة : (وهو كتاب مفيد) يريد بها (العين) لاكتاب أبن درستويه . وربما أراد أبن خلكان كتابه الآخر وهو : (الانتصار لكتاب العين ، وانه للخليل)[٨٠] .

غير ان الغريب في الأخبار عن أبن درستويه أنه ألف كتابا يرد فيه على من نقل العين عن الخليل ، وسماه : « كتاب الرد على من نقل كتاب

العين عن الخليل »[٨١] ، والغالب ــ عندي ــ ان الاسم مصحف ، ولعله كتاب : (الردّ على من نقض كتاب العين على الخليل) فتصحف (نقل) من (نقض) و (عن) من (على) • والا فما ينسجم ما ذكر عنه مع ما رواه ابن النديم في هذا الكتاب •

أبو الطيب اللغوي : (٣٥١هـ)

هو عبدالواحد بن علي اللغوي الحلبي ، صاحب كتاب مراتب النحويين ، والاتباع والمعاقبة وغيرهما من كتب الأدب واللغة ، روى عن الصولي والزاهد ونظم الشعر[٨٢] ، وقتل سنة ٣٥١هـ بحلب عند دخول الدمستق حلب[٨٣] •

وقف أبو الطيب أمام كتاب العين ، موقفا موضوعيا ، ذكر فيه ، أنه من ابداعات الخليل التي لم يسبق اليها ، اذ ألف كلام العرب على الحروف في الكتاب المسمى بكتاب العين • وهذا اعتراف منه بأنه صاحب العين ، ولكنه قال : « فانه هو الذي رتب أبوابه ، وتوفي من قبل أن يحشوه »[٨٤] •

وهذا الرأي مستمد من حكاية الليث التي قدمناها وقد قوّى فيه أيضا مذهب ثعلب السابق •

ولكن ياقوت ينقل عن أبي الطيب ما ينقض هذا الرأي ، فيقول : « قال أبو الطيب اللغوي مصنف كتاب العين : الليث بن المظفر بن نصر ابن سيار » ثم حكى عنه انه نقل هذا الرأي عن الزاهد الذي روى عن اسحاق بن راهويه مذهبه الذي سقناه[٨٥] • وهو ان الخليل وضع أول الكتاب الى حرف العين ، ثم أتم الليث بقية الكتاب ، ونسبه الى الخليل

لينفقه بأسمه . وهذا حاق مذهب الازهري كذلك .

السيرافي : (٣٦٨هـ)

اما السيرافي وهو القاضي أبو سعيد الحسن بن عبدالله المولود سنة : ٢٨٤هـ والمتوفى سنة ٣٦٨هـ[٨٦] ، فقد أخذ عن ابن دريد وابن السراج ، وألف كتبا في النحو والعربية ، منها كتابه العظيم شرح كتاب سيبويه والوقف والابتداء وغيرهما .

صَرَّح السيرافي في كتابه : (اخبار النحويين البصريين) بأنَّ الخليل هو صاحب كتاب العين ، عمل منه أوله ، فقال : « وهو أول من استخرج العروض ، وحصر أشعار العرب بها ، وعمل أول كتاب العين المعروف المشهور ، الذي يتهيأ به ضبط اللغة »[٨٧] .

وبهذا يضيف السيرافي الى رصيد الذين ذهبوا الى ان الخليل صنف أول الكتاب ، فحسب ، رأيه الصريح ، بانه صاحب الكتاب ، ولكنه لم يتم على يده .

الازهري : (٣٧٠هـ)

هو ابو منصور محمد بن احمد الازهري الهروي المولود سنة : ٢٨٢هـ ، والمتوفى سنة ٣٧٠هـ[٨٨] ، اخذ عن المنذري وأبن الانباري وغيرهما .

يضيف الازهري رأيه في ان مؤلف أول الكتاب هو الخليل بن أحمد ، معوّلا في ذلك على مذهب اسحاق بن راهويه المذكور ، ولكنه يصدر كلامه هذا بقوله : « من المتقدمين : الليث بن المظفر ، الذي نحل الخليل بن احمد ، تأليف كتاب العين جملة ، لينفقه بأسمه ويرغب فيه

من حـــوله ، وأثبت لنا عن اسحاق بن ابراهيم الحنظلي الفقيه . انه قال ... » الخ الخبر[89] .

ثم عقب على قول اسحاق بقوله : « وهذا صحيح عن اسحاق رواه الثقات عنه »[90] .

ثم روى كلام ثعلب حين سأله المنذري عن الكتاب . وعقب على قول ثعلب بقوله : « وأخبرني أبو بكر الايادي عن بعض أهل المعرفة أنه ذكر كتاب الليث ، فقال : ذلك كتاب الزمنى ، ولا يصلح الا لاهـل الزوايا » .

والازهري في كل مانقل من أخبار حول الكتاب . كان يرمي الى جعله من وضع الليث لانه لاينسب شيئا منه الى الخليل . ثم كان يرمي الى تهوين أمر الكتاب وأضعافه ، ليخلو لكتابه جو الشهرة والظهور ، ولينال المكانة التي كان ينبغي للعين ان يتسنمها ، وهو موقف ينم عن عصبية . وهوىً في نفسه لأعماله اللغوية والعلمية ، ويقوي هذا الذي نذهب اليه . أنه أستهان بكتاب الجمهرة لابن دريد ، ورمى صاحبـه بافتعال العربية والجهل ، وحدّث عن غرق (معجم الجيم) لشـــمر بن حمدويه الهروي ، ليمحوه من الوجود ، ولم يذكر (معجم الجيم) لابي عمرو الشيباني ، مع علمه ــ حتما ــ بوجوده ، وربما نقل عنه كثـيرا من اللغة وأن لم يصرح بذلك . بل كان ينسب ما ينقل عن الشيباني الى كتابه النوادر[91] .

فعل الازهري كل ذلك ، ليتم لكتابه (التهذيب) ما كان يعد من مكانة في معجمات اللغة ، فلا كتاب موثوقا به قبل كتابه ، ولا تأليف صحيحا ، قبل تهذيبه ، ومن هنا كان أعتداده بمؤلفه واضحا ، حتى في

ما كان يجده من لغة موثوقة ، وتأليف صحيح عند الليث ـ كما يرى ـ .

وها هو يقرأ كتاب العين غير مرة ، ويتصفحه تارة بعد تارة ، ويعنى بتتبع ما صحف وغيّر منه ، فيقول : « فأخرجته في مواقعه من الكتاب، وأخبرت بوجه الصحة فيه ، وبينت وجه الخطأ ، ودللت على موضع الصواب منه ، وستقف على هذه الحروف اذا تأملتها في تضاعيف أبواب الكتاب ، وتحمد الله ـ اذا انصفت ـ على ما أفيدك فيها ... وأما ما وجدته فيه صحيحا ، ولغير الليث من الثقات محفوظا ، أو من فصحاء العرب مسموعا ، ومن الريبة والشك ، لشهرته ، وقلة أشكاله بعيدا ، فاني أعزيه الى الليث بن المظفر وأوديه بلفظه ، ولعلي قد حفظته لغيره في عدة كتب فلم اشتغل بالفحص عنه لمعرفتي بصحته ، فلا تشكن فيه من أجل أنه زل في حروف معدودة هي قليلة ، في جنب الكثير الذي جاء به صحيحا ، وأحمدني على نفي الشبه عنك فيما صححته له ، كما تحمدني على التنبيه فيما وقع في كتابه من جهته أو جهة غيره ممن زاد ما ليس منه . ومتى ما رأيتني ذكرت من كتابه حرفا ، وقلت : أني لم أجده لغيره ، فاعلم أنه مريب ، وكن منه على حذر ، وأفحص عنه .. »(٩٢)

واذا تدبرنا مقالة الازهري الاخيرة هذه في كتاب العين ، نراه :

١ ـ ينسب الكتاب لليث .

٢ ـ يتتبع حروف الكتاب حرفا حرفا ليقف على زلاته واغلاطه .

٣ ـ يطلب من القراء ان يحمدوه لما عدل وقوّم من حروف الكتاب .

٤ ـ ثم يعترف من نفسه ان مازل فيه من حروف قليل في جنب ما أصاب وهو أمر عجيب من الازهري ، ووجه العجب أنه نقل عن الايادي قول بعض أهل المعرفة في الكتاب ، أنه لايصلح الا

لاهل الزوايا ، أغراقا في تهوينه ، وقلة أهميته .. اليس ذلك عجيبا من الازهري ؟؟ .

ومع ذلك كله ، فان نظرة واحدة متأملة في تضاعيف تهذيب اللغة، تطلعنا على أمر أكثر غرابة من حديثه عن الكتاب ، فهو على الرغم من نسبة الاقوال الى الليث في مطلع كل مادة يفسرها فانه يعتمد نصوص العين أعتمادا مصدريا ، كما لو استخدم مصدرا لغويا آخر غيره ، فهو ينقل مادة العين ــ في غالب الاحيان ــ ليتم بها نقوله الاخرى من مصادره ، أو يبين وجهة نظر صاحب العين ، وذلك كله الى جانب نقده ، وتفنيده لاقواله الاخرى في اللغة ، وأقوال الائمة الاخرين .

ومجمل رأي الازهري لايخرج عن قول أبن راهويه وثعلب ومن حذا حذوهما ، على الرغم من نسبته الكتاب الى الليث .

ابن المراغي : (٣٧١هـ)

وهو محمد بن جعفر بن محمد ، أبو الفتح الهمداني المعروف بابن المراغي النحوي اللغوي ، سكن بغداد ، وروى عن أحمد بن عبدالله أبن قتيبة وتوفي سنة : ٣٧١هـ[٩٣] .

لابن المراغي كتاب سماه : (الاستدراك لما أغفله الخليل) يدل على أنه ينسب الكتاب للخليل .

ابو بكر الزبيدي : (٣٧٩هـ)

هو محمد بن الحسن ، أبو بكر الزبيدي الاشبيلي المتوفى سنة : ٣٧٩هـ ، له جملة من الكتب ، منها طبقات النحويين ــ وقد طبع ــ

والاستدراك على كتاب العين . وقد طبع سنة : ١٨٠٠ ومختصر العين ، والواضح في النحو ـ وقد طبع ـ وغيرها .

يشك أبو بكر الزبيدي بكون الكتاب كله للخليل ، وقد وضع فيه كتابين كما ذكرت قبل قليل . ولكنه في كتابيه المذكورين يشير الى أن في العين خللا ، وأغلاطا ، ينبغي ان ينزه عنها الخليل ، فهو يدافع عنه بحرارة متناهية ، يبدو ذلك من رده على بعض أخوانه من أهل الاندلس ، فيقول في أول كتابه : (الاستدراك) : « وصل الينا ـ ايدك الله ـ كتابك تذكر فيه ما أولع به قوم من ضعفة أهل النظر من التحامل علينا ، والتسرع بالقول فينا بما نسبوه الينا من الاعتراض على الخليل ابن احمد في كتابه ، والتخطئة له في كثير من فصوله .

وقلت : انهم قد استمالوا جماعة من الحشوية الى مذهبهم ، وعدلوا بهم الى مقالتهم ، بما لبسوا عليهم ، وشنعوا القول فيه ، وسألت أن أحسم ما نجم من أفكهم ... أو ليس من العجب العجيب ، والنادر الغريب ، ان يتوهم علينا من به مسكة من نظر ، أو رمق من فهم تخطئه الخليل في شيء من نظره ، والاعتراض عليه في مادق أو جل من مذاهبه.

والخليل بن احمد اوحد العصر وقريع الدهر ، وجهبذ الامة ، واستاذ أهل الفطنة الذي لم ير نظيره ... ولو ان الطاعن علينا تصفح صدر كتابنا (المختصر) من كتاب العين لعلم أننا نزهنا الخليل عن نسبة المحال اليه ، ونفينا عنه من القول ما لايليق به ... وذلك أنا قلنا في صدر الكتاب : ونحن نربأ بالخليل عن نسبة الخلل اليه أو التصرف للمقاومة له ، بل نقول : ان الكتاب لايصح له ، ولا يثبت عنه ، وأكثر الظن فيه أن الخليل سبب أصله ، وثقف كلام العرب ، ثم هلك قبل

كماله ، فتعاطى أتمامه من لايقوم في ذلك مقامه . فكان ذلك سبب الخلل الواقع فيه ، والخطأ الموجود فيه .

هذا لفظنا نصا ، وقد وافقنا بذلك مقالة أبي العباس احمد بن يحيى ثعلب ، قبل ان نطالعها ، أو نسمع بها ، حتى الفيناها بخط الصولي، في ذكر فضائل الخليل »[٩٤] .

الواضح من كلام الزبيدي ، كما انهى مقالته — أنه اخذ بقول ثعلب ، وهو مذهب جمهرة كبيرة ممن تقدم ذكرهم ، وهذا كله يؤيد ما تحدث به الليث عن تأليف الكتاب ، وما رواه أسحاق بن راهويه . غير أننا نقف في كلام الزبيدي أو غيره على مبالغات ، هي من جماح القلم في غالب الاحيان ، وذلك في ادعائه — مثلا — : « ان الكتاب لايصح له ولا يثبت عنه » وهي عبارة حشرت في غير موقعها ، لانها تخالف ما تقدمها من قول وما تأخر عنها ، والا فكيف يمكن قبول مثل هذا القول ، وهو الذي رُوى له كتاب ثالث ، وضعه في العين سماه : (الانتصار للخليل)[٩٥] .

أما انه لم يذكر في ترجمة الخليل (كتاب العين)[٩٦] من جملة كتبه ، فذلك أنه أهمل ذكر مصنفات الخليل ، ولم يورد منها الا كتاب (المعمى) وقد وقع ذكره في سياق خبر ، فلم يقصد اليه كتابا من تصانيفه :

غير ان الزبيدي ، يبقى متمسكا بشكه بالكتاب ويحاول ان يبرر هذا الشك ، بما وجد في (العين) من مذاهب النحو الكوفية ، بخلاف مذهب البصريين . ويحدد شكوكه في موضوعات :

أولها : أختلاف الحروف التي رواها سيبويه عن الخليل عما وجدت مرتبة في العين .

ثانيها : ترتيبه على الثنائي والثلاثي والرباعي ، فقد أدخل الرباعي المضاعف في باب الثلاثي المضاعف ، وهو مذهب الكوفيين .

ثم قال : « ولو أن الكتاب للخليل لما أعجزه ، ولا اشكل عليه تثقيف الثنائي اللفيف من الصحيح ، والمعتل المضاعف من المعتل ، والثلاثي المعتل بعلتين ، ولما جعل ذلك كله في باب سماه اللفيف ، فأدخل بعضه في بعض ، وخلط فيه خلطا لاينفصل منه شيء عما هو بخلافه ، ونوضع الثلاثي المعتل على أقسامه الثلاثة ، ليستبين معتل الياء من معتل الواو والهمزة ، ولما خلط الرباعي والخماسي من أولهما الى آخرهما... وكان الخليل أولى بذلك وأجدر ، ولم نحك فيه عن الخليل ، ولا نسبنا ما وقع في الكتاب عنه توخيا للحق وقصدا الى الصدق ... »[97] .

والحق أن ما عرضه الزبيدي من نقد على الكتاب لم يكن كله متحققا ، ولا صحيحا ، فموضوع كوفية الكتاب ، مسألة أبعد ما تكون عن كتاب العين ، ولو افترضنا ان تلامذة الخليل هم الذين وضعوا الكتاب كالنضر ، وعلي بن نصر الجهضي ومؤرج كما يقول — ابن خلكان — فان مذهب هؤلاء — جميعا — هو مذهب البصريين في مسائل اللغة والنحو ، وهم الذين وضعوا المنهج الكامل للدرس النحوي في البصرة .

ولو سلمنا ان الليث بن المظفر هو الذي ألفه ، فانه لم يلازم في حياته كلها غير الخليل ، وعنه أخذ علم اللغة والنحو ، فاما اذا وقع الاضطراب في ترتيب الحروف ، بحيث خالفت ما رواه سيبويه عن

الخليل ووافقت في بعض وجوهها مذهب الكوفيين ، فان ذلك لايعني بحال من الاحوال كوفية الكتاب ، ولم يقل هذا القول من جمهور أئمة اللغة ، والمشتغلين في هذا المضمار ، على مدى العصور غير الزبيدي .

أما الخلط الذي زعمه من أدخال الثلاثي المضاعف في الرباعي المضاعف ، أو خلط المعتل بالياء في المعتل بالواو ، أو ما أشبه هذه المآخذ ، فان مثل هذا وقع لمن عاصر الزبيدي نفسه ، ووضع كتابا في (تهذيب اللغة) ينتقد فيه العين ، ويقف على ما وقع فيه من التخليط ، وهو أبو منصور الأزهري ، فان من جملة المآخذ عليه ، أنه لم يستطع الفصل بين المهموز والمعتل ، وبين ما يعتل بالواو وما يعتل بالياء ، فخلط بينهما خلطا واضحا[٩٨] الا قليلا ، نبه عليه خلال تفسيراته .

فاذا كان هذا يقع للمتأخرين ، وهم أولى بالدقة ، واحرى بالاستيعاب والفهم الجليل لدقائق الامور ، فلا غرابة ان نجد الاعمال العلمية الاولى ، وهي باكورة التراث العلمي ، ومنطلقه الناشيء الجديد، ينقصها الكمال ، وتجانبها الدقة ، لانها التجارب الاولى التي تولد عادة ناقصة ، ثم تتعهدها العقول ، وتحتضنها الخبرات ، سنوات طوالا حتى تستوي وتقوم على ساق ، ماثلة نحو الافضل ، والاكمل .

ولو تهيأ لاحد ان يقف على دراسة كتابي الزبيدي دراسة متأملة فاحصة ناقدة ، لخرج — حتما — بمآخذ على المنهج ، أو أسلوب العرض، أو آراء المؤلف ، لم يفطن اليها .

الصاحب بن عباد : (٣٨٥هـ)

هو اسماعيل بن عباد الوزير ، المعروف بالصاحب ، المكنى بأبي القاسم ، أخذ عن ابن فارس وغيره ، وصنف تصانيف كثيرة ، كالكشف عن مساوىء المتنبي ، وجوهرة الجمهرة ، والمحيط في اللغة . توفي سنة: ٣٨٥هـ[٩٩] .

وضع الصاحب بن عباد كتاب المحيط ، على منوال كتاب العين للخليل ، وظهر من خلاله أنه يؤمن بأنه من تصنيف الخليل بن أحمد ، ولكنه وقفه في جملته على أيراد أقوال الخليل في معظم المواد ، ثم يتبعها بالتصويب والنقد ، معتمدا على تكملة الخارزنجي البشتي ، وان لم يصرح .

ومن مقدمة المحيط نرى الصاحب يأخذ بأقوال الخليل ، ويثبتها مسلمات مقبولة لديه . « فان قال قائل : لم ابتدأ الخليل عند ذكر الابنية بالثنائي ، وقد قال سيبويه : ما تكون عليه الكلمة حرف واحد ... »[١٠٠] .

« وأعلم ان الخليل لما همّ بجمع كلام العرب أجال فكره فيما يبنى عليه كتابه ويدير عليه أبوابه ، فنظر في الحروف كلها وذاقها ، ووجد مخرج الكلام كله ... وكان ذلك العين فجعلها أول الكتاب ، ثم ما قرب منها ، الارفع فالارفع ... »[١٠١] . ثم نقل كلام العين في أبتداء كتاب الخليل بحرف العين .

غير ان الذي يبدو أن الصاحب بن عباد بارع في التأليف المعجمي، فبنى جل ردوده على الخليل على ما جاء عند البشتي في تكملته ، وذلك نحو قوله : « صنع : أهمله الخليل ، وحكى الخارِزنجي ... »[١٠٢]

« شعم : أهمله الخليل ، وحكى الخارزنجي الشعموم ... »[١٠٣] .

« قال الخليل : أعلم ان الحاء لا تأتلف معها العين في كلمة لقرب مخرجيهما ... قال الخارزنجي : قد وجدناهما مؤتلفتين : اثعنجج ... »[١٠٤] .

وذكر الخليل فيما يزيد على المئة مادة ، خلال الجزء الاول ، بين النقد والرد ، معتمدا في جلها على الخارزنجي ـ وحده ـ .

ابن النديم : (٣٨٥هـ)

هو ابو الفرج محمد بن اسحاق النديم ، صاحب كتاب الفهرست، والتشبيهات . توفي بعد سنة (٣٧٧هـ)[١٠٥] ، لانه قد ألف كتابه الفهرست في هذه السنة . عرض ابن النديم لموضوع (العين) . فذكره في مصنفات الخليل[١٠٦] وروى قصة جلبه الى البصرة من خراسان ، فقال : «قال أبو بكر بن دريد ، وقع بالبصرة كتاب العين سنة: ٢٤٨هـ ، قدم به وراق من خراسان ، وكان في ثمانية واربعين جزءا ، فباعه بخمسين دينارا ، وكان سمع بهذا الكتاب أنه بخراسان في خزائن الظاهرية ، حتى قدم به هذا الوراق »[١٠٧] .

ومع ان أبن النديم ينسبه الى الخليل من غير ان يقدم بين يدي قوله شيئا من الشك ، الا أنه ينقل ما قيل فيه ، فيقول : « وقيل : أن الخليل عمل كتاب العين ، وحج وخلف الكتاب بخراسان ، فوجه به الى العراق من خزائن الطاهرية ، ولم يرو هذا الكتاب عن الخليل احد ، ولا روى في شيء من الاخبار أنه عمل هذا البتة » .

ومازلنا الى هذا الحد من كلام أبن النديم ، نلمح ثقته في صحة نسبة الكتاب الى الخليل ، فليس بقادح ان يكون الكتاب مجهولا عند

الاخرين لعدم روايته عنه ، كما انه ليس بقادح ان تسكت الاخبار عن مؤلفه ، والكتاب في خراسان محفوظ في خزانة الطاهريين .

على أننا سرعان ما نجد ابن النديم ينقل مذهب الجمهور في علاقة الليث بالكتاب فيقول : « وقيل : ان الليث من ولد نصر بن سيار ، صحب الخليل مدة يسيرة ، وان الخليل عمله له ، وأحذاه طريقته ـ أي: افهمه منهجه فيه ـ وعاجلت المنية الخليل ، فتممه الليث .

وحروفه على مايخرج من الحلق واللهوات ، فأولها العين ..»(١٠٨) ويسرد حروف الخليل ، مع أختلاف يسير عن المألوف . وهنا نلتقي بابن راهويه ، وثعلب ، وحكاية الليث عن نفسه .

ابن فارس : (٣٩٥هـ)

هو احمد بن زكريا بن فارس الرازي الهمـداني اللغوي ، أبو الحسين بن فارس صاحب المجمل ومعجم مقاييس اللغة ، وغيرهما من كتب اللغة ، أخذ عن أبيه وابن القطان وغيرهما ، واختلف في وفاته ، والمرجح أنه توفي سنة ٣٩٥هـ(١٠٩) . وابن فارس ينسب العين للخليل في معجم مقاييس اللغة ، فيقول في كتب اللغة المعتمدة « فأعلاها واشرفها كتاب أبي عبدالرحمن بن احمد المسمى كتاب العين »(١١٠) ولكن الذي يبدو من خلال كلامه حول الكتاب أنه متردد في قبول كون الخليـل مؤلف الكتاب ، وان لم يصرح ، قال : « أما الكتـاب المنسوب الى الخليل ، وما في خاتمته من قوله : هذا آخر كلام العرب فقد كان الخليل أروع ، واتقى الله ـ تعالى ـ من ان يقول ذلك » .

وأورد أقوالا في ورعه وزهده ، ودينـه ، ثم قال : « فهذا كان الخليل من الدين ، افتراه يقدم على ان يقول : هذا آخر كلام العرب ؟

ثم ان الكتاب الموسوم به من الأخلال ما لاخفاء به على علماء اللغـة ، ومن نظر في سائر الاصناف الصحيحة ، علم صحة ما قلناه »[111] .

والواقع ان هذه العبارة وردت في آخر العين ، وهي تؤكد صحة كلام الذين ذهبوا الى أن الجزء الاخير من كتاب العين لم يكن من وضع الخليل .

غير أننا حين ننظر في مجمل ابن فارس نجده ينقـــل من الخليل مصرحاً باسمه وبالعين من غير تشكيك في مواضع كثيرة منه .

ابن جني : (٣٩٢هـ) واستاذه الفارسي : (٣٧٧هـ)

أما ابن جني ، فهو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحـوي أخذ عن الامام أبي علي الفارسي الحسن بن احمد بن عبدالغفارالفارسي النحوي (٣٧٧هـ)[112] . وبرع في النحو وألف كتبا عديدة منها كتابه الخصائص في فقه اللغة العربية ونحوها وعللها وشـرح ديوان المتنبي وغيرهما . وتوفي سنة : ٣٩٢هـ[113] .

رأى ابن جني في كتاب العين مستمد مما وجـده هو عند قراءته الكتاب ، وجمع الى رأيه رأي شيخه الفارسي الذي كان لايعبأ بـه ، ولكن ابن جني يرى في منهجه رأيا جيدا ويفضله على الجمهرة ، فقال في الخصائص : « أما كتاب العين ، ففيه من التخليط والخلل والفساد ما لايجوز ان يحمل على اصغر أتباع الخليل ، فضـلا عن نفسه . ولا محالة ان هذا تخليط لحق هذا الكتاب من قبل غيره ، فان كان للخليل فيه عمل ، فانما هو أومأ الى عمل هذا الكتاب ايماء ، ولم يله بنفسه ولا قرره ، ولا حرره ، ويدل على انه نحا نحوه انني أجد فيه معـاني غامضة ونزوات للفكر لطيفة ، وصنعة في بعض الاحوال مستحكمة .

وذاكرت به يوما أبا علي ، فرأيته منكرا له ، فقلت له : ان تصنيفه منساق متوجه ، وليس فيه التعسف الذي في كتاب الجمهرة ، فقال : الان اذا صنف انسان لغة بالتركية تصنيفا جيدا ، ايؤخذ به في العربية ! أو كلاما هذا نحوه »(١١٤) .

وظاهر كلام ابن جني انه يرى ان للخليل يدا في وضع أسسه ومنهجه وتوجيهه ، وهو مذهب ابن راهويه ومن تبعه في حين ينكر الفارسي الكتاب ، ولعله كان يرى انه من وضع غيره ، وان لم يتضح ذلك في كلامه .

حمزة بن الحسن الاصفهاني : (٣٦٠هـ)

وهو صاحب التنبيه على حدوث التصحيف وغيره من الكتب . ولد في حدود سنة : ٢٧٠هـ ورجح محقق التنبيه أنه توفي قبل سنة : ٣٦٠هـ(١١٥) .

تعرض الاصبهاني للخليل وكتابه كثيرا في كتابه (التنبيه) ولكنه كان في جميع ذلك حسن الظن به ، لم يشك في أنه من تأليفه وتأسيسه، وحين دعاه موقف من المواقف للدفاع عن الخليل وتبرئة ساحته مما تقول فيه بعض المتقولين ، عرض للفنون التي أتقنها الخليل ، وألف فيها كتبه ثم قال : « فلو كانت أيامه قديمة ، ورسومه بعيدة لشك فيه بعض الامم لصنعته ما لم يصنعه أحد منذ خلق الله الدنيا ، من أختراعه العلم الذي قدمنا ذكره ، ومن تأسيسه بناء كتاب العين الذي يحصر لغة أمة من الامم قاطبة ، ثم من أمداده سيبويه من علم النحو بما صنف منه الكتاب ... »(١١٦) .

وحقق كلامه هذا في تضاعيف كتابه ، حين نقل نصوصا منه

ونسبها الى الكتاب ، من ذلك قوله : « قول الحارث بن حلزة :

زعموا أنّ كلّ منْ ضَربَ العيـ ـرَ موالٍ لنا ونحن الولاءُ

قالوا : فمعنى قوله : « كل من ضرب العير » . أي كل من ضرب بجفنٍ على عيرٍ ، فهذا قول الخليل في (كتاب العين)[١١٧] .

ابن سيدة : (٤٥٨هـ)

هو علي بن اسماعيل بن سيدة صاحب كتابي المحكم والمخصص وغيرهما ، توفي سنة ٤٥٨هـ . لم يتعرض للشك في صاحب الكتاب ، ولكنه عده أحد مصادره المعتمدة في مقدمة كتابه المخصص[١١٨] .

أبو عبيد البكري : (٤٨٧)

وهو عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد البكري ، له جملة من الكتب، منها فصل المقال في شرح كتاب الامثال لابي عبيد القاسم بن سـلام ومعجم ما استعجم وغيره . وتوفي سنة ٤٨٧هـ[١١٩] .

جعل البكري كتاب العين مصدره ، ونسب الاقوال الى الخليل ، كما ترى في مادة (سلوق) ونسبة الكلاب اليها في المعجم[١٢٠] .

ابو البركات ابن الانباري : (٥٧٧هـ)

هو عبدالرحمن بن محمد ابن الانبـاري الملقب بكمال الدين النحوي[١٢١] ، طلب العلم بالنظامية حتى برع في النحو فدرسه فيها ، وأصبح المرجع فيه . له من التصانيف عدة كتب في اللغة والنحو والادب والتراجم ، منها كتابه : نزهة الالباء ، والانصاف في مسائل الخلاف ، وغيرهما . توفي سنة : ٥٧٧هـ .

تعرض ابن الانباري لترجمة الخليل ، وكان حسن الظن بكتابـه

العين ووردت له عبارة تدل على أنه يؤمن بأن الكتاب من تصنيفه قال : « وهو أول من أستخرج علم العروض ، وضبط اللغة ، وأملى كتاب العين على الليث بن المظفر »[١٢٢] . ومذهبه هذا يقوي رأينا السابق في أنه ابتدأ بتأليف الكتاب بنفسه حتى رجع اليه الليث من الحج ، فأملى عليه الكتاب ، ولكنه مات قبل ان يتمه .

ياقوت الحموي : (٦٢٦هـ)

وهو ياقوت بن عبدالله الرومي ، المشتهر بالحموي ، صاحب كتاب (معجم الادباء) و (معجم البلدان) وغيرهما . توفي سنة ٦٢٦هـ بظاهر حلب .

يؤكد ياقوت في معجمه مذهبنا في ان الخليل وضع منه قطعة ، واتمه الليث من بعده . قال : « وللخليل من التصانيف كتاب العين في اللغة ، ويقال : انه لليث بن نصر بن سيار عمل الخليل منه قطعة ، وأكمله الليث »[١٢٣] . ويقوي مذهبه هذا اعتماده على الكتاب مصدرا، ولكنه ينسب التصحيف فيه الى الليث لا الخليل كما هو قوله في غمدان: « صحفه الليث فقال عمدان »[١٢٤] .

القفطي : (٦٤٦هـ)

وهو جمال الدين يوسف بن علي القفطي صاحب كتاب (انباه الرواة) كان وزيرا وأديبا ، وتوفي سنة : ٦٤٦هـ .

أما القفطي ، فانه يقطع بنسبة كتاب العين للخليل ، مع انه ينقل آراء الآخرين فيه ، قال فيه : « وحصر علم اللغة بحروف المعجم وسماه كتاب العين »[١٢٥] ثم قال :[١٢٦] « وأما كتاب العين فقد اختلف الائمة

فيه ، فمنهم من نسبه اليه ، ومنهم من يحيل نسبته الى الخليل ، وقد استوفى ابن درستويه الكلام في ذلك في كتاب له مفرد لهذا النوع ، ملكته بخط تيزون الطبري ، وهو تصنيف مفيد » .

وأعاد أسم الكتاب عند ذكر مصنفات الخليل ، فقال : « والذي تحقق ان الخليل صنفه : كتاب العين في اللغة ، مشهور » .

الصغاني (٦٥٠ هـ)

وهو الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ولد سنة : ٥٧٧هـ وتوفي سنة : ٦٥٠هـ له من الكتب معجمات ذات قيمة علمية كالعباب ، والتكملة ومجمع البحرين وغيرها جعل العين مصدره ونسبه للخليل(*) ولكنه يذكر الليث والخليل في سرد أقوالهما .

ابن خلكان : (٦٨١هـ)

وهو قاضي القضاة شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان ، صاحب كتاب (وفيات الاعيان) في تراجم الرجال . توفي سنة : ٦٨١هـ[١٣٧] .

مذهب ابن خلكان غريب في بابه ، لم يقله أحد قبله ولعله استوحاه من مذهب العسكري السابق ، فقد زج في تأليف الكتاب جماعة من تلامذة الخليل لم يذكر الليث من بينهم ، ثم زعم ان الكتاب الذي وضع جزءا منه الخليل أهمله تلاميذه ، وأعادوا تأليفه على مايرون . قال : « وأكثر العلماء العارفين باللغة ، يقولون : ان كتاب العين في اللغة المنسوب الى الخليل بن احمد ، ليس تصنيفه ، وانما كان قد شرع فيه ، ورتب أوائله ، وسماه بـ (العين) ، ثم مات فأكمله تلامذته : النضر ابن شميل ومن في طبقته وهم مؤرج السدوسي ، ونصر بن علي الجهضمي ، وغيرهما ، فما جاء الذي عملوه كما وضعه الخليل في الاول،

فأخرجوا الذي وضعه الخليل منه . وعملوا ـ ايضا ـ الاول . فلهذا وقع فيه خلل كثير ، يبعد وقوع الخليل في مثله »[١٢٨] .

ويبدو ان الذي دفع ابن خلكان الى هذا القول أنه وجد الاضطراب عاما في الكتاب ، وليس خاصا بالجزء الاخير منه . ولكن فات ابن خلكان أن الجزء الاول منه ، ولا سيما مقدمته ذات قيمة عالية ، لم تزل تعبر عن شخصية مؤلفها الخليل ، فمسألة طرح الجزء الاول منه ، وأعادة تأليفه على أيدي تلامذته مسألة تحتاج الى نظر وفحص . ولكن ابن خلكان يؤكد صحة نسبة الكتاب بقوله : « له العين في اللغة ، وهو مشهور »[١٢٩] .

أما ذكره لغير الليث من تلامذة الخليل ، فلا أظنه يعارض ما ذكره الليث ، من أن الخليل طلب اليه أن يسأل عما يشك فيه ، وأقرب الناس اليه ـ يومئذ ـ هم أئمة اللغة ، من تلامذة الخليل . فكان يسألهم ، ويستعين بأقوالهم ، ليحشو بها الكتاب .

وربما كانت دعوى ابن خلكان هذه مستمدة مما رآه في كتاب محمد بن بكر البسطامي (حوالي : ٣٢٠هـ)[١٣٠] اذ أدعى في تصنيف له ان العين « من تصنيف تلاميذ الخليل » ذكر ذلك في ترجمة حياة الخليل ، أو هو قول العسكري محرفا .

ابن نباته المصري : (٧٦٨هـ)

وهو الامام جمال الدين محمد بن محمد بن نباته المصري (٧٦٨هـ) صاحب كتاب (سرح العيون) في شرح رسالة ابن زيدون[١٣١] .

ترجم ابن نباته للخليل ، وذكر تصانيفه ، ثم قال : « وصنف .. كتاب العين ، ولم يتمه »[١٣٢] .

السيوطي : (٩١١هـ)

وهو الامام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، أمام العربية في عصره ، وله من المؤلفات في النحو واللغة والقرآن والحديث الكثير ، ومن مؤلفاته في اللغة وفقهها كتابه : (المزهر) الذي عرض فيه مشكلة كتاب (العين) ونقل جملة وفيرة من آراء العلماء فيه . قال فيه: « أول من صنف في جمع اللغة الخليل بن أحمد ، ألف في ذلك كتاب العين المشهور . قال الامام فخرالدين في المحصول : أصل الكتب المصنفة في اللغة : كتاب العين ، وقد أطبق الجمهور من أهل اللغة على القدح فيه »[١٣٣] .

ويبدو ان السيوطي رفض معظم ما قيل في العين من قدح وسلك السبيل الذي أشرنا اليه ، وحين رأى مغالاة الزبيدي فيما قدح به العين ، قال : « قلت : وقد طالعته الى آخره فرأيت وجه التخطئة ، فيما خطىء فيه ، غالبه من جهة التصريف والاشتقاق ، كذكر حرف مزيد في مادة أصلية ، أو مادة ثلاثية في مادة رباعية ، ونحو ذلك .

وبعضه أدعى فيه التصحيف ، وأما أنه يُخَطَّأُ في لفظة من حيث اللغة ، بأن يقال : هذه اللفظة كذب أولا تعرف ، فمعاذ الله ، لم يقع ذلك ، وحينئذ لاقدح في كتاب العين ، لان الاول الانكار فيه راجع الى الترتيب والوضع في التأليف ، وهذا أمر هين ، لان حاصله أن يقال :

الاول : نقل هذه اللفظة من هذا الباب وايرادها في هذا الباب ، وهذا أمر سهل ، وان كان مقام الخليل ينزه عن ارتكاب مثل ذلك ، الا أنه لايمنع الوثوق بالكتاب ، والاعتماد عليه في نقل اللغة .

والثاني : ان سُلّم فيه ما أدعى من التصحيف ، يقال فيه ما قالته الائمة،

ومن ذا الذي سلم من التصحيف .. مع أنه قليل جدا ، وحينئذ يزول الاشكال الذي يأتي نقله عن الامام فخرالدين »[١٣٤] .

ولقد استقصى الامام السيوطي أقوال النقاد ، والمتعصبين ورواة اللغة ، ومؤلفي الكتب فيها حول العين ، فنسب بعض الاقوال الى أناس بأعيانهم ، واكتفى في بعض ما أورده بـ (قال بعضهم)[١٣٥] ومن هذا الضرب قوله : « قال بعضهم : (عمل الخليل من كتاب العين قطعة من أوله الى حرف الغين ، وكمله الليث ، ولهذا لايشبه أوله آخره) » .

وهذا الذي ينقله عن البعض ، هو مصداق ما جرى تأكيدنا عليه، فيما مضى من الصفحات من أن قطعة من العين كان الخليل قد انجزها ، وحددها هذا البعض بحرف الغين ، ويعني ذلك أنه انجز منه حروف الحلق ــ بتمامها ــ أو معظمها ، وكان على الليث تمام الكتاب . غير ان ما حدثنا به الليث يقود الى ان الخليل في هذا الجزء المتبقي كان قد شارك الليث فكان يملي عليه ، والليث يكتب حتى اذا عاجلت المنية الخليل ، بقي على الليث ان يسير في العمل الى نهايته ، فكان من كل ذلك كتاب العين ، الذي أكدت الاقوال ــ او معظمها ــ بأن القسم الاول منه لا غبار على جودته وحسن تأليفه ، وانما وقع التخليط فيه في أجزائه الاخيرة منه .

مرتضى الزبيدي : (١٢٠٥هـ)

أما محمد مرتضى الزبيــدي من ــ زَبيد ــ باليمن ــ صاحب تاج العروس في اللغة وغيره المتوفى (سنة : ١٢٠٥هـ) فقد ذكر في مقدمة التاج جملة مصادره ، ولم يشر الى العين من بينها . ولكنه خلال كتابه يعتمد النقل عن الليث بن المظفر ، وينسب اليه الاقوال ، والتصحيفات

التي ترد في كتاب العين . كما ترى ذلك في مادة (بعث)[١٣٦] ، ويبدو أن مثل هذه النقول دخلت الى التاج من مصادره كالتهذيب واللسان لانه ينقل تنزيه الخليل عن التصحيف كما ورد في التهذيب وغيره ، وذلك نحو قوله : « وما كان الخليل ــ رحمه الله ــ ليخفى عليه يوم بعاث ، لانه من مشاهير أيام العرب ، وإنما صحفه الليث وعزاه الى خليل نفسه، وهو لسانه . والله أعلم »[١٣٧] .

والنص بجلته كلام الازهري في التهذيب أورده في مادة (بعث) .

والخلاصة :

التي ينتهي اليها البحث ، بعد هذا الاستعراض من أقوال الائمة تتحدد في :

أ ــ ألف الخليل قطعة من الكتاب ، انتهى بها الى حرف الغين ، وكان منفردا بهذا العمل ، لانه عرض أسسه وخطته على الليث فلم يدركها ، وتركه حاجا ، ثم عاد فوجده قد أنجز ما أنجز فشاركه العمل بالنسخ والدراسة والتعلم ، حتى اذا مضى الخليل لسبيله ، تحمل الليث عبء تكملة الكتاب ــ بعده ــ وكان عملا صعبا أوقعه في أخطاء لايتحمل وزرها الخليل ، وكان الليث يسأل أصحابه عن الامور التي يشكل فهمها أو أدراكها ، فيثبت ذلك عنهم ، ودليلنا على ذلك أنه كان يسأل أبا الدقيش الاعرابي عن أشياء في اللغة ، وقد ورد في الكتاب مثل قوله : « قال الليث سألت ابا الدقيش » .

أما وقوع التخليط المدعى على جملة الكتاب ، فأمر رده أبن جني حين أخبر أستاذه بأن تأليفه منساق ، ومنهجه متوجه ، وهذا

وحده يكفي دليلا على أنه منهـــج الخليل ، وتأليفه ، الا فيما ذهبنا اليه •

وأمر ثان ــ ذكره ــ بعض الائمة المتقدمين ــ وهو أنما وقع التخليط في جملة الكتاب من المنتسخين والوراقين الذين تداولوه بالكتابة والنسخ ، ومن تعليقات المعلقين ، واصحـاب الحواشي والمستدركين ، فأدخلت جملة هذه الالحاقات بالكتاب • وحسبها الناس فيما بعد من تخليط الليث ، واغلاطه •

وهذا الذي نثبته هنا هو رأينا في الكتاب •

ب ــ ان القول بأن الليث بن المظفر أو تلامذة الخليل هـم المؤلفون للكتاب غير صحيح ، وذلك أنه مروى من طريق الليث وحده الى الخليل ، وما نظن أن واحدا منهم يسمح لليث ان يضع نفســه وحده في طريق الرواية الى الخليل ، في حين لانجد أحدا منهـم فيها • فضلا عن ان النضر أنكر السماع بالكتـاب عن شيخه • وكانت شهرة تلامذة الخليل ــ عدا الليث ــ في علم اللغة معروفة، وقد أهلتهم للتأليف فيها • ثم هم كانوا بعيدين عن موضـوع الكتاب ، ولم ترد الاخبار بأنهم كانوا يعلمون شيئا عنه أو نقلوا شيئا منه الى كتبهم ومؤلفاتهم •

وتفسير ذلك واضح من سير أحداث الموضوع ، اذ ان الخليل لم يكاشف واحدا منهم في عمل الكتاب ، فقد اختص به رفيقــه ، والمخلص له ، الليث بن المظفر وكان ذلك في أواخر أيامه بدليل وفاته قبل أن يتمه ، وحين انجز العـــل بجملته على يد الليث ،

احتفظ به الليث في خراسان ، بمنأى عن مراكز الثقافة والعلم ، فبقي مجهولا ، محجوبا عن أنظار الدارسين .

وعندي ان الليث ، انما حجبه ، خوفا من ان يُنتَقَدَ ما عمل منه بيده ، حتى اذا مات الليث وآل أمر الكتاب الى يد الطاهريين، واحتفظوا به في خزائنهم ، أخرجه الوراقون وانتسخوا منه نسخا، وصلت احداها على يد نساخ منهم الى البصرة سنة : ٢٤٨هـ ، وتداولها اللغويون والعلماء بين الانكار والتصديق ، فكان من المنكرين أبو حاتم السجستاني كما روى القالي ، ومن المتعصبين له المبرد ومن في طبقته .

أما ما حيك حول وقوع التخليط والاضطراب من القصص والحكايات ، كما قصّ ابن المعتز قصة أبنة عم الليث التي احرقت الكتاب غيظا على زوجها بسبب انصرافه الى الجارية الجميلة التي شغلته عنها ، فهي قصة جميلة ، ولكنها من نسج الخيال ، أراد بها أبن المعتز أن يدفع عن الخليل مايمكن ان يلصق به من تهم ونقد في علمه ، والقصة ــ لو صدقت ــ لاتغمط حق الخليل في الكتاب.

جـ ــ كل ما ذكر من مذاهب متضاربة ، متناقضة في ان الخليل لا يد له بالكتاب أو أن الخليل عمل الكتاب كله ، أو وضع أسسه فقط ، ولم يباشر شيئا منه ، أو غير ذلك فدعاوى تحتاج الى أدلة تسندها، وانما هي من صنع الحدس والتخمين ، وضرب الاسداس بالاخماس كما يقولون .

(١) الوفيات : ٢/٢٤٦ ·
(٢) طبقات الزبيدي : ٥٣ ·
(٣) نفسه : ٥٤ـ٥٨ ·
(٤) نفسه : ٦٠ ·
(٥) نور القبس : ٩٩ ·
(٦) نفسه : ٥٨
(٧) التنبيه : الاصفهاني : ١٩٠ـ١٩١ ·
(٨) نور القبس : ٩٧ـ٩٩ ·
(٩) نور القبس : ٧١ ·
(١٠) الارشاد : ٦/٢٢٣ · ٧
(١١) نفسه : ٦/٤١٩ ·
(١٢) الارشاد : ٦/٢٢٧ ·
(١٣) المزهر : ١/٤٢ـ٤٣ ·
(١٤) صوابه ما أشرنا اليه ، انظر فيما تقدم : تلاميذ الخليل ·
(١٥) الارشاد : ٦/٢٢٣ ومقدمة التهذيب ·
(١٦) البارع : ٨١ ·
(١٧) نفسه : ٨٣ ·
(١٨) انظر الصفحات : ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ··· الخ البارع ·
(١٩) جنوة المقتبس : ٤٧ ·
(٢٠) هو السيد هاشم الطعان في مقدمة البارع : ٦٥ـ٦٦ ·
(٢١) وكرر هذا الرأي في موطن آخر من تحقيقه : ٦٧ ·
(٢٢) وفيات الاعيان : ١/ ٦٤ ·
(٢٣) مراتب النحويين : ٣١ ·
(٢٤) بتحقيق عبدالله درويش : ١٩٦٧م/١٣٨٦هـ ·
(٢٥) العين : ١/٥٣ و٥٦ ·
(٢٦) نفسه : ١/٥٥ ·
(٢٧) نفسه : ١/٢٨٥ ·
(٢٨) التهذيب : ١/٣٠ ·

(٢٩) نور القبس : ٣٢٤ـ٣٣٣ ٠
(٣٠) المزهر : ١/٤٥ ٠
(٣١) نور القبس : ٣٣٤ فما بعد ٠
(٣٢) المراتب : ٣٠/٣١ ، والمزهر : ١/٣٩ و٤٢ ٠
(٣٣) الارشاد : ٦/١٩٨ ٠

(×) النجش : هو مدح سلعة غيرك لتباع أو ذمها لتكسد ٠
(٣٤) يعني القاسم بن ثابت السرقسطي المار ذكره ٠
(٣٥) المزهر : ١/٤٢ ٠

(٣٦) النوادر لابي زيد : الصفحات : ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ٠
(٣٧) معجم الادباء : (ط : دار المأمون) : ٨/٢٦٣ ٠
(٣٨) شرح مايقع فيه التصحيف : ٥٧ ٠
(٣٩) نفسه : ٥٧ ٠

(٤٠) سابق ، هو سابق بن عبدالله البربري ، وهو شاعر أموي متقدم ، وقد عده العسكرى هنا في طبقة المتأخرين ٠

(٤١) شرح التصحيف : ٥٨ـ٥٩ ٠
(٤٢) نفسه : ٥٩ ٠
(٤٣) التصحيف : ٦٠ ٠
(٤٤) نفسه : ٦١ ٠
(٤٥) التصحيف : ٦٢ـ٦٣ ٠
(٤٦) نفسه : ٢٤٢ ٠

(٤٧) أنظر أقوالا أخرى في ص ٧٠ـ٧١ ٠
(٤٨) نزهة الالباء : ١٦٠ـ١٦١ والوفيات (ط : محي الدين) : ٢/٢٦٣ ٠ والمنتظم : ٦/٨٤

(٤٩) نور القبس : ٥٩ ، والارشاد : ٦/٢٢٣ـ٢٢٤ والمزهر : ١/٣٩ ٠
(٥٠) أنباه الرواة : ٣/٣٠٥ ٠ تاريخ بغداد : ١٣/١٢٤ والفهرست : ٧٣
(٥١) المزهر : ١/٤٥ ٠

(٥٢) انباه الرواة : ٣/٣٠٦ ٠
(٥٣) ينظر الارشاد : ٥/٤١٧ ٠ وانظر طبقات ابن شهبة : ١/٢٥٤ ٠

(٥٤) الانباه : ١/٣١٥ ٠

(٥٥) نفسه : ٣/٩٧ ٠

(٥٦) الفهرست : ١١٥ وابن قاضي شهبة : ١/٢٥٤ ٠

(٥٧) نفسه : ١١٦ وفي البغية : أسم الكتاب : (الاستدراك على العين) ٠

(٥٨) المراتب : ٩٧ ٠ والبغية : ٢/٢٩٦ ٠

(٥٩) اللسان : ١٠/٣٤٩ ٠

(٦٠) المزهر : ١/٤٥ـ٤٦ ٠

(٦١) طبقات الزبيدي : ٢٣٨ـ٢٣٩ ٠

(٦٢) المزهر : ١/٤٦ ٠

(٦٣) خزانة الادب : ١/٤٩٠ ، وشذرات الذهب : ٢/٢٨٩ ، والوافي بالوفيات : ٢/٣٣٩ ، والمنتظم في وفيات سنة : ٣٢١ ، والنزهة : ١٧٥ ٠

(٦٤) المزهر : ١/٤٦ـ٤٧ ٠ وأنظر مقدمة الجمهرة : ١/٣ـ٤ ٠

(٦٥) الجمهرة : ١/٣ ٠

(٦٦) نفسه : ١/٢٠١ ٠

(٦٧) الخصائص : ٣/٢٨٨ ٠

(٦٨) انظر فيما سبق : المفضل بن سلمة ٠

(٦٩) الارشاد : ٧/١٩ ٠

(٧٠) الارشاد : ٦/٤٦٤ـ٤٦٥ ٠

(٧١) نفسه : ٦/٢٢٢ـ٢٢٣ ٠

(٧٢) انظر مقدمة تحقيق الاشتقاق : ٨ فما بعد ٠

(٧٣) الاشتقاق : ٣٢ ، ٨٦ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٩ وغيرها كثير ٠

(**) نفسه : ٤٣٨ ٠

(٧٤) المزهر : ١/٤٥ ٠

(٧٥) طبقات النحويين : الزبيدي ١٢٧ ٠

(٧٦) نزهة الالباء : ١٩٨ •
(٧٧) المزهر : ١/٤٥ •
(٧٨) الانباه : ٢/١١٣ •
(٧٩) الوفيات : ٢/٢٤٦_٢٤٧ •
(٨٠) الانباه : ٢/١١٤ •
(٨١) الفهرست : ٦٣ •
(٨٢) رسالة الغفران : ٥١٢ •
(٨٣) زبدة الطلب : ١/١٣٧ •
(٨٤) المراتب : ٣٠ •
(٨٥) الارشاد : ٦/٢٢٣ •
(٨٦) نفسه : ٣/٨٤ •
(٨٧) أخبار النحويين : السيرافي : ٣٠_٣١ والمزهر : ١/٣٨ •
(٨٨) لي فى الازهري وكتابه التهذيب دراسة مستفيضة نلت بهـــا الدكتوراه ، وهي الان تحت الطبع •
(٨٩) التهذيب : ١/٢٨ •
(٩٠) نفسه : ١/٢٩ •
(٩١) انظر فيما سبق ما يتعلق بالجيم للشيباني •
(٩٢) التهذيب : ١/٢٨_٢٩ • وانظر ارشاد الاريب : ٦/٢٢٢ •
(٩٣) انباه الرواة : ٣/٨٣ •
(٩٤) المزهر : ١/٤١_٤٢ •
(٩٥) الانباه : ٣/١٠٩ •
(٩٦) الطبقات : ٤٣_٤٧ •
(٩٧) المزهر : ١/٤٣ •
(٩٨) بحثنا هذا في كتابنا (الازهري في كتابه تهذيب اللغة) •
(٩٩) ترجمته فى معاهد التنصيص : ٤/١١١ ، ويتيمة الدهر : ٣/١٦٩ ، وروضات الجنات : ١٠٤ ، ونزهة الالباء : ٢٢٢ •
(١٠٠) المحيط : ١/٤٩ •
(١٠١) نفسه : ١/٥٠ وانظر : ٥١ •
(١٠٢) نفسه : ١/٢٩١ •

(١٠٣) نفسه : ٣٣٥/١ .
(١٠٤) نفسه : ٥٥/١ .
(١٠٥) الارشاد : ٤٠٨/٦ .
(١٠٦) الفهرست (ط : اوربا) : ٤٢ .
(١٠٧) نفسه : ٤٢ .
(١٠٨) الفهرست : ٤٢_٤٣ .
(١٠٩) النجوم الزاهرة : ٢١٢/٤ ، ودميـــة القصر : ٢٥٧ ، وشذرات الذهب : ١٣٢/٣ ، والنزهة : ٢١٩ .
(١١٠) معجم مقاييس اللغة : مقدمته : ١/٣_٤ وفيه طريق رواية للكتاب عن القطان عن المعداني عن أبيه عن بندار وابن حسان عن الليث غن الخليل .
(١١١) المزهر : ٣٤/١ .
(١١٢) انظر في ترجمة الفارسي : النزهة : ٢١٦ ، وتاريخ بغـــداد : ٢٧٥/٧ ، وطبقات الزبيدي . ١٣٠ .
(١١٣) في النزهة : ٢٢٨_٢٣٠ ، والبغية : ٣٢٢ ، ودمية القصر : ٢٩٧ ، واليتيمة : ٨٩/١ .
(١١٤) الخصائص : ٢٨٨/٣ . وانظر المزهر : ٤٠/١ .
(١١٥) انظر مقدمة التنبيه : ١ و٢ الى مابعدهما .
(١١٦) التنبيه : ١٩٠_١٩١ .
(١١٧) نفسه : ١٩٩ . وانظر الخصائص : ١٦٦/٣ .
(١١٨) المخصص : ١٢/١ .
(١١٩) فهرسة ابن خير : ٣٤٣_٣٤٤ .
(١٢٠) معجم ما استعجم : ٧٥٢/٣ .
(١٢١) ترجمته فى الانباه : ١٦٩/٢ وروضات الجنات : ٤٢٥ ، وفوات الوفيات : ٣٣٥/١ ، وطبقات الشافعية : ٢٤٨/٤ ، وشـــذرات الذهب : ٢٥٨/٤ .
(١٢٢) النزهة : ٢٩ .
(١٢٣) الارشاد : ١٨٢/٤ . وانظر فى ترجمته فى مقدمة ط (دار المأمون) .
(١٢٤) معجم البلدان : ٤٥١/١ و ١٥٩/٤ و٢١٠ .

(١٢٥) الانباه : ١/٣٤٣ . وانظر ترجمة القفطي في مقدمة الانباه .
(١٢٦) نفسه : ١/٣٤٣ .
(*) العباب : الصغاني ج١/الصفحـــات : ٢٣ ، ٤٨ ، ٥٤ و٦١ و٨١ ، ١١٣ ، ١١٨ و١٢٩ .. الخ .

(١٢٧) انظر ترجمته في مقدمة الوفيات بتحقيق الدكتور احسان عباس .
(١٢٨) الوفيات : ٢/٢٤٦-٢٤٧ .
(١٢٩) الوفيات : ٢/٢٤٦ .

(١٣٠) الارشاد : ١/٤١٩ .
(١٣١) طبع سنة : ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .
(١٣٢) سرح العيون : ١٥٢-١٥٣ .

(١٣٣) المزهر : ١/٣٨ .
(١٣٤) المزهر : ١/٤٣-٤٤ .

(١٣٥) نفسه : ١/٣٨-٣٩ .
(١٣٦) تاج العروس : ١/٦٠٣ .
(١٣٧) نفسه : ١/٦٠٣ .

(١) انظر في ذلك : المعجم العربي : د . نصار : ١/٢٧٥ .
(٢) نعني بالتسلط - هنا - الاستيلاء الفعلي على مادة العين وتفريغها في كتبهم . أنظر : الارشاد : ٦/٤٩٠ و ٦/٢٢٤ .
(٣) انظر في ترجمته : ٦/٤٩٠ من الارشاد . وانظر : كشف الظنون : ٦٠٥ و٦٠٦ و٦١٩ .
(٤) انظر مقدمة التهذيب : ١/٣٣ والارشاد : ٢/٦٥ .
(٥) ثمار القلوب : ٢٤٧ .

(٦) مقدمة التهذيب : ١/٤١ .
(٧) الفهرست : ٨٣ .
(٨) مقدمة التهذيب : ١/٤٠ . والارشاد : ٢/٦٥ .

(٩) الفهرسة : ٣٥٤-٣٥٥ .
(١٠) المحكم : ١/١٩ .
(١١) نفسه : ١/١٥ .

(١٢) مقدمة المختصر للزبيدي • ودشف الظنون : ١٤٤٤ • والارشاد ٥١٩/٦ • وفهرسة ابن خير : ٣٥٠ ، والانباه : ١٠٨/٣ •
(١٣) المزهر : ٤٤/١ •
(١٤) نفسه : ٤٤/١ •
(١٥) المزهر : ٤٤/١ــ٤٥ •
(١٦) الارشاد : ٣٩٤/٢ــ٣٩٥ • والكشف : ٤٨١ •
(١٧) الصلة : ترجمة : ٢٨٠ •
(١٨) الفهرسة : ٣٥٩ــ٣٦٠ •
(١٩) الارشاد : ٢٩٨/٥ •
(٢٠) الفهرست : ٤٣ •
(٢١) الفهرست : ٨٥ •
(٢٢) نفسه : ٨٤ •
(٢٣) الانباه : ٩٦/٤ــ٩٧ •
(٢٤) الفهرست : ٧٩ والانباه : ١٥٥/٣ •
(٢٥) نفسه : ٧٣ وكشف الظنون : ١٤٤٣ ، والارشاد : ١٧٠/٧ •
(٢٦) انظر الكشف : ٨٣٩ •
(٢٧) انظر مقدمة : الانوار ومحاسن الاشعار : للشمشاطي : ص : ١٠ •
(٢٨) كشف الظنون : ١٤٤٤ والانباه : ١٧٧/٣ والارشاد : ٢٩/٧ •
(٢٩) كشف الظنون : ١٤٤٤ والانباه : ٣ والارشاد : ٢٠/٧ •
(٣٠) الانباه : ١٠٩/٣ •
(٣١) الارشاد : ٤٦٦/٦ والفهرست : ٨٥ •
(٣٢) فهرسة أبي بكر بن خير : ٣٥٠ •
(٣٣) الفهرست : ٤٣ •
(٣٤) الارشاد : ٣٢/٢ •
(٣٥) الفهرسة : ١٤٢ •
(٣٦) التصحيف : ٦٠ و٦٩ و٧١ و١٣٨ •
(٣٧) التنبيه : ١٣٢ــ١٣٣ •
(٣٨) انظر : التنبيه : ١٣٣ والتصحيف : ٦٢ ؛

الفصل الخامس

الجهود حول العين

لعل الحديث في الدراسات حول كتاب العين ، يعد تكرارا لما مضت عليه الدراسات الحديثة في المعجم العربي[1] ، فقد استقصت ما وضع على منهج العين ، أو في تكملة العين ، أو في تهذيبه ، أو في أختصاره أو في الاستدراك عليه ، أو في انتقاده وبيان عيوبه ، أو في بيان ما أهمل من اللغة ، وهو مستعمل ، أو العكس ، أو في نقضه ، أو في حكاية قصته كاملة ، كما فعل ابن درستويه •

وبحسبنا — هنا — أن نورد أمثلة — فقط — لما جرت عليه الدراسات المتقدمة ، مما ثبتنا وجهتها :

الكتب التي نهجت على منوال العين :

وهي كثيرة جدا ، تشكل مدرسة من أكبر مدارس المعجم العربي، تبتدىء بالنضر بن شميل تلميذ الخليل ، الذي حكى عنه أنه وضع (المدخل الى كتاب العين) ، وتنتهي الى ابن سيدة (٤٥٨هـ) الذي وضع كتاب (المحكم) ، وبينهما جملة كبيرة من المؤلفات : هي : (التكملة : للبشتي الخارزنجي ٣٤٨هـ) (والحصائل لابي الازهر البخاري ٣١٥هـ) و (التهذيب للازهري ٣٧٠هـ) و (المحيط للصاحب بن عباد : ٣٨٥هـ) والبارع للقالي (٣٥٦هـ) • أما الجمهرة لابن دريد (٣٢١هـ) فقد نهج

منهج العين ولكنه اغفل ترتيب الحروف على المخارج ملتزما بالترتيب الالفبائي الذي أوجده النصر بن عاصم : أ ب ت ث ج ح خ .. الخ .

وهذه الكتب التي نسجت على منوال العين ، وتعقبته في كل خطوة قلبت كل ما تجمع في أذهان الناس من نقد للعين ، وشك في مؤلفه ، ولو ثبت عند صاحب التكملة أو الحصائل أو حتى صاحب التهذيب ان لا يد للخليل في هذا الكتاب ، لاهملوه ، ولما نسجوا على نسجه واقتحموا مركبه الصعب ، كما يرى ابن دريد(٢) .

ولاحظ الناس ان أصحاب هذه المعجمات قد تسلطوا على كل مافي العين من تفسيرات وشواهد وأمثلة ، فأودعوها كتبهم ، فقالوا فيهم :

ابن دريد بقرة	وفيه عجب وشره
ويدعي بجهله	وضع كتاب الجمهرة
وهو كتاب العين	الا انه قد غيره

فابن دريد غير العين ، بادخال الترتيب الالفبائي بدلا من المخرجي ، والا فهو قسم مواده على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي . واستخدم نظام التقليب الخليلي(٣) .

وقالوا في الخارزنجي البشتي :

في الخارزنجي بله	وفيه حمق ووله

ويـدعـي بجهـــله وضـع كتاب التكمـلة
وهـو كتـاب العــين الا انـه قـد نقـله

ووقف الازهري على هذا الكتاب ، فوجده كثير التصحيف ، قد ازال كثيرا من الحروف عن وجوهها[٤] . وناقده هنا يزعم انه (نقله) ، والذي نقل عن (التكملة) أنه موضوع بقصد تكملة مافات الخليل من مواد لغوية .

وقالوا في الازهري الذي وضع كتابه التهذيب ، قصدا الى تهذيب لغة العين ، وأثبات ماصح منها ، ونفي ما صحف او غير أو ازيل عن وجهه :

الازهــرى وزغــه وحمقـه حمـق دغـة
ويـدعـي بجهـــله كتـاب تهذيب اللغـة
وهـو كتـاب العــين الا انـه قـد صبغـه[٥]

وهذا النقد الموجه الى كتاب الازهري لايعدو الحق ، اذا ما علمنا أن الازهري نفسه كان قد التزم – باعترافه بمنهج العين بحذافيره – قال : « ولم أر خلافا بين اللغويين ان التأسيس المجمل في أول كتاب العين ، لابي عبدالرحمن الخليل بن احمد ، وان ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه أياه عن فيه ، وعلمت أنه لايتقدم أحد الخليل فيما أسسه ورسمه ، فرأيت ان أحكيه بعينه »[٦] .

وألف الهنائي علي بن الحسن المعروف بكراع النمل (٣١٠هـ) كتابا ، نسجه على منوال العين وسماه « المجرد » قال ابن النديم ، « مجرد الغريب على مثال العين ، وعلى غير ترتيبه ، وأوله هذا كتاب ألفه في غريب كلام العرب ولغاتها على عدد حروف الهجاء الثمانية والعشرين التي هي ب ت ث ، ثم على تلاوة الحروف »(٧) .

ويبدو من أسم الكتاب أنه قصد الى تجريد اللغة الصحيحة من غيرها ، والواضح من كلام ابن النديم أنه مؤلف على نمط العين ، فهو من جملة الكتب التي قصدت العين بالمنهج ، وقصدته ببيان خلله ..

والهنائي متقدم ، توفي سنة (٣١٠هـ) في مطلع القرن الرابع الهجري وله جملة من كتب اللغة كالمنجد والمنضد وغيرهما .

ولم يسلم أبو الازهر البخاري الذي سمى كتابه الحصائل ، فاصدا الى تحصيل ما أغفله الخليل من مواد اللغة ، لم يسلم من النقد، شأنه شأن الآخرين ، وأول ناقديه هو الازهري : قال « وأما أبو الازهر البخاري الذي سمى كتابه الحصائل ، فأني نظرت في كتابه الذي ألفه بخطه وتصفحته ، فرأيته أقل معرفة من البشتي ، وأكثر تصحيفا ، ولا معنى لذكر ما غير وأفسد لكثرته ، وان الضعيف المعرفة عندنا من أهل هذه الصناعة ، اذا تأمل كتابه لم يخف عليه ما حليته به »(٨) .

وأما البارع للقالي (٣٥٦هـ) ، فقد سبق ان أشرنا الى أنه حاكى العين ، في كل جزء منه ، حتى ذهب هاشم الطعان محقق الجزء المتبقي

من المخطوط الى أن البارع هو العين ، لولا بعض الاختلافات الطفيفة، التي أجراها القالي على كتابه ، وأشار اليها أبو بكر بن خير[٩] .

ثم كان المحكم لابن سيده (٤٥٨هـ) ، فقد نسج على منوال العين، وحاكاه في نظامه ، وابتدأ كتابه بالعين[١٠] ، فجعل الباب الاول باب المضاعف ، وهو الثنائي الصحيح كما هو منهج الخليل .

ونقل في تضاعيف الكتاب عن الخليل ، ونسب الاقوال اليـه . وحين سرد جملة مصادره قال : « وأما ما ضمناه كتابنا هذا من كتب اللغة فمصنَّف أبي عبيد و ..... والكتاب الموسوم بالعين ما صح لدينا منه ، وأخذنا بالوثيقة ... »[١١] .

وعبارته الاخيرة هذه تنسجم مع أسم كتابه (المحكم) . فكان ابن سيده قصد الى أحكام ما وجد في الكتاب المنسوب الى الخليل من اللغة ، وأهمال ماسواها ، ولم يقف كتابه على العين — وحده — بل ضم اليه جملة من كتب اللغة والأدب والنحو . فأحكم منهجه ، كما أحكم نصوصه اللغوية .

ومجمل القول : ان جميع ما وضع من كتب بعد عين الخليل ، لم يكن الا محاكاة لنظامه ، ومنهجه ، فان كان هناك من تغيير أطرؤوه على كتاب الخليل ، فهو الزيادات والتوسعات ، وبيان المصحف والمزال والمغير ، أو بيان ما أهمل وما أستعمل أو ترك ترتيبه على المخارج ، والرجوع الى نظام النصر بن عاصم .

٢ — في اختصار العين :

وابرز كتاب في هذا الموضوع كتاب مختصر العين لابي بكر الزبيدي (٣٧٩هـ) ، وهو كتاب نسجه على منوال العين أيضا . وقدمه هدية الى

الحاكم المستنصر بالله ـ تعالى ـ فأخذ عيونه ، وحـــذف حشوه ، وأسقط فضول الكلام المتكرر فيه ، وأصلح ما أختل فيه ، وأوقع كل شي موقعه ، فقال : « أن الكتاب لايصح له ولا ••• وأكثر الظن فيه أن الخليل سبب أصله ، ورام تثقيف كلام العرب ، ثم هلك قبل كماله ، فتعاطى أتمامه من لايقوم في ذلك مقامه ، فهذا سبب الخلل الواقـع به »(١٢) • وذكر العلماء أنه أختصره أختصارا حسنا •

ومع أن قوما فضلوه على كتاب العين(١٣) ، فان مذهب أبي الحسن الشاري وأبي ذر الخشني وابن خروف : « أن الزبيدي أخل بكتاب العين ـ كثيرا ـ ، لحذفه شواهد القرآن والحديث وصحيح أشـعار العرب منه ، ولما علا ذلك عن (مختصر العين) الامام أبو غالب تمام بن غالب المعروف بأبن التياني عمل كتابه العظيم الفائدة الذي سماه بـ : (فتح العين)(١٤) •

وكتاب ابن التياني المذكور (فتح العين) هو مختصر ـ ايضا ـ ولكنه منوه به في حسن تأليفه ، وأختصاره ، فقد أتى فيه ابن التياني ٤٣٦هـ : « بما في العين من صحيح اللغة الذي لا اختلاف فيه على وجهه دون أخلال بشيء من شواهد القرآن والحديث ، وصحيح اشـعار العرب ، وطرح مافيه من الشواهد المختلفة ، والحروف المصحّفـة ، والابنية المختلفة ، ثم زاد فيه مازاده أبن دريد في الجمهرة فصار هذا الديوان محتويا على الكتاب جميعا • وكانت الفائدة فيه فصل كتـاب العين عن الجمهرة ، وسياقه بلفظه لينسب ما يحكي فيه الى الخليل ، الا ان هذا الديوان قليل الوجود ، لم يعرج الناس على نسخه ، بل مالوا الى جمهرة أبن دريد ، ومحكم ابن سيدة ، وجامع ابن القزاز ، وصحاح

الجوهري ، ومجمل ابن فارس ، وافعال ابن القوطية ، وابن طريف .

ولم يعرجوا أيضا على بارع ابي علي البغدادي ، وموعب ابي غالب ابن التياني المذكور ، وهما من اصح ما ألف في اللغة على حروف المعجم »[١٥] .

ويبدو ان (تلقيح العين) لابن التياني – ايضا – هو كتاب آخر في أختصار العين ، قال ياقوت : « كتاب تلقيح العين في اللغة لم يؤلف مثله اختصارا وأكثارا »[١٦] . ووصفه ابن بشكوال في (الصلة)[١٧] : انه جامع في اللغة ، جم الافادة .

ويروى المترجمون لابن التياني قصة في هذا الكتاب تدل على فضله واباء نفسه ، وكرم خلقه ، ذلك أن الامير مجاهد بن عبدالله أبا انجيش العامري بذل له ألف دينار أندلسية على ان يكتب في مقدمة هذا الكتاب : « مما ألفه تمام بن غالب لابي الجيش مجاهد » فلم يفعل وقال :

« والله لو بذل لي ملء الدنيا لما فعلت ، ولا استجزت الكذب ، فاني لم اجمعه له خاصة ، لكن لكل طالب عامة » . فنال بموقفه هذا مدح المادحين ، وثناء الشاكرين من أمثال الحميدي وابن خير وياقوت ومن ترجم له .

وأفرد له ابن خير في فهرسته ذكرا ، ورواه بسلسلة مسندة الى مؤلفه ، وحدث بابائه وموقفه أمام ابي الجيش وذكر له اخبارا أخرى[١٨] .

ومن المختصرات المذكورة لكتاب العين كتاب (مختصر العين) لعلي بن القاسم السنجاني ابي الحسن الاديب اللغوي ، قال الباخرزي

فيه : « هو صاحب كتاب مختصر العين ... فقد سهل اللغة على طالبيها ، وأدنى قطوفها من متناوليها باختصاره كتاب العين »[١٩] .

٣ ـ المستدركات على العين :

وضع جملة من العلماء كتبا تستدرك على لغة العين ، فتثبت ما أهمله ، أو تهمل ما استعمله ؛ أو تحصل ما أغفله من مفردات اللغة ، وموادها[٢٠] ، وليس عملنا بقادر على حصر ما وضع من الكتب في هذا المضمار ، ولكننا نمثل بجملة منها .

- كتاب محمد بن جعفر المراغي اسماه الاستدراك لما أغفله الخليل[٢١] .
- كتاب أبي تراب الهروي (مطلع القرن الرابع الهجري) أستدرك فيه على الخليل في كتاب العين وسماه : « الاستدراك على الخليل في المهمل والمستعمل »[٢٢] . وقد رد عليه العلماء رده على الخليل قال القفطي « فانه خطأ الخليل في اماكن وزاد ما زعم أنه نقصه من اللغة في أبوابه ، ونقص ما زعم أنه زاده في غير بابه وهذب ذلك تهذيبا زعم انه الصواب »[٢٣] .
- كتاب الكرماني ، وسماه : « ما أغفله الخليل في كتاب العين وما ذكر أنه مهمل ، وهو مستعمل ، وما هو مستعمل ، وقد أهمل »[٢٤] .
- كتاب المفضل بن سلمة أبي طالب الكوفي ، قال ابن النديم[٢٥] : « استدرك على الخليل في كتاب العين ، وعمل في ذلك كتابا » .

وقد سبق أن أشرنا الى ان له كتابا سماه (الـرد على الخليل) ، نقضه عليه نفطويه بكتاب سماه (الرد على المفضل ...) كما نقضه ابن درستويه[٢٦] .

- كتاب أبي الحسن علي بن محمد بن المطهـر العدوي المعـروف بالشمشاطي (ق : ٤٠٠هـ) . عمل كتابا في العين ، فذكر المستعمل والغى المهمل ، والشواهد والتكرار ، وزاد على ما في الكتب[٢٧] .
- كتاب فائت العـين ، لمحمد بن عبدالواحد المعروف بغلام ثعلب (٣٤٥هـ)[٢٨] .
- كتاب : غلط العـين للأسكافي[٢٩] وهو محمد بن عبدالله خطيب القلعة (٤٢٠هـ) .
- كتاب الزبيدي أبي بكر محمد بن الحسن وسماه : (استدراك الغلط الواقع في كتاب العين)[٣٠] .

  وروى له كتاب آخر باسم : « الانتصار للخليل فيما رد عليه في العين » . وذكر المحقق ان هذا الكتاب هو (استدراك الغلط) المذكور ، أو جزء منه .
- كتاب محمد بن جعفر بن محمد الهمداني (بعد : ٣٧١هـ) سماه : كتاب الاستدراك لما اغفله الخليل »[٣١] .
- في كتاب البارع للقالي : (٣٥٦هـ) زيادات ، واستدراك كثير ، على كتاب العين ، تجرد له أبو بكر الزبيدي ، فعمل من زيادات البارع على العين كتابا سماه : « المستدرك من الزيادة في كتاب البـارع لابي علي القالي البغدادي على كتاب العين للخليل بن احمد » .

رواه أبو بكر بن خير باسناد(٣٢) . وذكر ابن النديم اسماء لغويين آخرين استدراكا على العين كالسدوسي وابن دريد ، والجهضمي(٣٣) ، ولم يثبت لنا ان لهؤلاء كتبا في هذا الباب .

٤ ـ كتب مؤلفة بأسم العين :

ذكرت كتب التراجم أن هناك من ألف مصنفات ، وسماها بأسم كتاب العين ، ولكن هذه الكتب ، مختلفة الموضوعات ، لم يظهر من بعضها الموضوع الذي تبحث فيه ، فمن ذلك كتاب : احمد بن محمد الكوفي ، أبي جعفر البرقي ، ذكر له ياقوت ، ما يقرب من مئة كتاب ، فكان من بينها كتاب (العين)(٣٤) .

ووضع محمد بن سنجر المكنى بأبي عبدالله (٢٥٨هـ) كتابا بأسم (العين) ، ووصفه أبو بكر بن خير بأنه في ستة اجزاء ، ووضع له سند رواية الى مؤلفه(٣٥) . ولعل أمثال هذه المصنفات كانت قد وضعت في اللغة ، ولها صلة بكتاب العين .

ولم تخل كتب اللغة الاخرى ، وكتب الدراسات فيها بالتعرض لكتاب العين ، ولغته ، معتمدة أو ناقدة ، ومن هذه المصنفات ، كتب التصحيف والتحريف ، ككتاب شرح ما يقع فيه التصحيف للعسكري (٢٨٢هـ)(٣٦) وكتاب (التنبيه على حدوث التصحيف) لحمزة ابن الحسن الاصبهاني (٣٦٠هـ) ، فقال : « قال ابن دريد : خالف الخليل الناس في أشياء ، منها »(٣٧) وذكر له ست تصحيفات كلها من كتاب العين ، وأشار في بعضها الى انها من أبواب خاصة من الكتاب كقوله : « وقال في حرف السين : السدف : الشخص ، وانما هو الشدف .. »(٣٨) . ونسبها الى

الليث فقال : « وهذا من غلط الليث على الخليل » ٠

ولم أر حاجة الى العناية بمنهج العين في هذا الكتاب لان الغاية منه ان اعرض لما حام حوله من مشكلات وغموض في اولياته ، ولان موضوع المنهج ، وخطة تأليفه قد استوفاها أكثر من مؤلف قبلي ٠

الخاتمـة

لقد عرض هذا البحث لاكثر من كتاب في تاريخ اللغة العربيـة ، وكلها في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، الا ما قيل عن كتابي عيسى بن عمر ، فانهما ــ ان وجدا ــ من تأليف النصف الاول من ذلك القرن ٠

وهذه الكتب التي عرض لها هي : الجامع والاكمال ، وهما لعيسى ابن عمر الثقفي ، وكتاب سيبويه ، وكتاب الجيم لابي عمرو الشيباني ، وكتاب العين للخليل بن احمد ، كما عني خلال ذلك بكثير من الكتـب التي ورد ذكرها ، لها علائق بهذه المصنفات الاولى في تاريخ البحـث اللغوي ، من ذلك كتاب الفيصل المنسوب للرؤاسي الكوفي ، وكتـاب النوادر لابي زيد الانصاري ، وكتاب الفصيح المنسوب لثعلب وغـيره وان كان هذا الاخير من تصانيف القرن الثالث الهجري ، وهو خارج عن خطة البحث ، الا أنه ذكر مثالا على ما حام حول كثير من كتب العربيـة من أخبار موضوعة ، أو ملفقة متضاربة ٠

وخلال العرض اتضح لدينا ان امّات الكتب في اللغة قد اصيبت بهزة عنيفة من تضارب الاخبار وتناقضها ، وكان الدافع الاول الى ذلك

هو المنافسة بين البصريين والكوفيين لان مثل أدعاء ابي جعفر الرؤاسي بأن كتاب العين كان قد وضعه الخليل بعد أن قرأ كتاب الرؤاسي هذا ، أدعاء باطل لايقوم على أساس من الحقيقة او العلم ، ذلك أن كتاب الرؤاسي ـ الفيصل ـ كتاب في النحو ، وكتاب العين كتاب معجمي نغوي ، على وفق خطة مبتدعة مرسومة جديدة لم يألفها العالم يومئذ ، اعتمد فيها الخليل على الاصوات ومخارج الحروف ، ونظام التقليب ، والثنائي والثلاثي وما فوق الثلاثي من المواد في اللغة ، كما هو معروف، فلا علاقة بين الكتابين .

وأما الادعاء بأن كتاب سيبويه كان مؤلفه قد وضعه متأثرا بمنهج كتاب عيسى بن عمر او الرؤاسي ـ ايضا ـ فهو ادعاء باطل ، لان مصدره الكوفيون ـ ايضا ـ كما كان خبر صنعة كتاب سيبويه بيد اثنين واربعون انسانا مصدره ثعلب الكوفي : (٢٩١هـ) .

فالمنافسة كانت عاملا ، بل سببا قويا من أسباب وضع الاخبار حول هذا الكتاب أو ذاك ، فكانت منطلق المشكلات حول الكتاب اللغوي العربي في مطلع حياته في القرن الثاني الهجري .

واذا كنا نأخذ على الكوفيين انهم وضعوا اخبارا على علماء البصرة للنيل مما وصلوا اليه من مكانة علمية ، فاننا لانكاد نأخذ ذلك على البصريين ـ ايضا ـ لما ورد من أخبار تدين أفرادهم في حوك القصص والحكايات حول مؤلفاتهم الخاصة ، ومؤلفات اضرابهم الكوفيين ، فادعاء الاخفش بأن الكسائي قد وضع كتابه في القرآن متأثرا بكتابه بعد طلبه منه فقرأه ، خبر لايقوم على أساس علمي نثق به ، والخبر الذي روى لنا عن المبرد انه قرأ كتاب الجامع أو الاكمال لعيسى ، أو ان سيبويه

قد أثبت ان لعيسى نيفا وسبعين كتابا لم يبق منها الا كتاباه المذكوران ، أخبار لايراد من ورائها الا الدعوى بأن البصريين اسبق من غيرهم في هذا المضمار ، وان كثرة التأليف عندهم كانت مسألة من المسائل المسلم بها ، وان كان الجانب الثاني من هذا الخبر يضع سيبويه وكتابه في عداد المفتعلين المقلدين ، السارقين لجهود غيرهم .

وبمثل هذه العصبية بل بأشد منها ما وضع من أخبار حول نشأة الدراسات اللغوية والنحوية الاولى ، ونسبة الاقوال الى الحجاج أو أبي الاسود ، او زياد بن ابيه ، أو الامام علي ـ رضي ـ فانها جميعا تدل على انها أخبار موضوعات ، كانت الغاية منها رفع هذا وخفض ذاك . فلو لم يوضع هؤلاء الرجال في المواضع التي اريدت لهم من تأريخ حياة الدراسات اللغوية . ولو لم يُقَيّض الله لهذه اللغة مثل هؤلاء الرجال لوضع أسسها وقواعدها ، فهل يعتقد انها كانت ستبقى هملا بلا دراسة، أو كشف عن قواعدها وأصولها ؟!

ان عملية دراسة العربية ، ضرورة اقتضتها الحياة الثقافية الجديدة المنظمة ، وقد اشترك في وضعها جملة من رجال السياسة والدين والفكر، ولا سيما الرجال المشتغلين بالقرآن ودراساته ، كأبن ابي اسحاق وعبدالرحمن بن هرمز ، وعنبسة الفيل ، وميمون الاقرن ، وأبي الخطاب الاخفش الاكبر ، ويحيى بن يعمر ، وعيسى ، والنصر بن عاصم ، ممن ذكرتهم كتب التراجم والطبقات ، فان هؤلاء وغيرهم كانوا هم الطبقة المتقدمة في حياة الدراسات المعنية باللغة ، وكان دافع هؤلاء جميعا هو الحرص العلمي ، والديني والثقافي ، وهو حرص كان لابد ان يكون ، وان يقع في أمة خرجت من عزلتها ، وطوقها المضروب عليها في جزيرة

قاحلة ، بعيدة عن أسباب الاتصال بالعالم الخارجي ، الا في مواقع قليلة منها ، ولا سيما أطرافها .

فحين خرجت الى النور ، وخلفت ظلمات الجاهلية وراءها وعرفت الحياة المنظمة المستقرة ، اندفعت الى تنظيم أمورها في كل مرافق الحياة، فكان من بين ما امتدت اليه يد التنظيم والاستقرار ، تقرير قواعد اللغة ، واعطاؤها سمة الاستقرار والثبات على قواعد وأصول مكينة ، كما وصلت اليهم من أسلافهم العرب ، فلا غرابة — اذن — أن يقع الاتفاق بين الدارسين جميعا على نقل نصوص هذه اللغة من مواطنها الاصيلة ، وروايتها من مظانها ، ومناشئها التي نمت وترعرعت فيها ، فكان الاتصال بين المدينة والبادية على اشده ، وكان التبادل واضحا في هذا المضمار بين رجل البادية الذي وفد على المدينة يطلب العيش ، فيعطي لغته الصافية الناصعة ، ويأخذ بدلها ما يسد به جوعته ويكفل له عيش يومه ، وبين عالم المدينة الذي طرق الصحراء ليشافه الاعراب ، فيروى عنهم اللغة في شعر أو نثر ، ويخرج ما في جعبته ، أو كيسه من طعام أو شراب أو دراهم للاعراب لقاء ما أخذ ، بل لقد عرف الاعراب طريقهم الى قصور الخلافة يبتغون فضل موائد السلطان لقاء ما يقدمون من حديث أو يروون من خبر ، ومن هنا عرف الباحثون أبا الدقيش الاعرابي، وأبا دثار ، وأبا ثروان ، والمنتجع ، ومبتكرا ، وأبا عدنان ، وأم الهيثم الكلابية ، وغيرهم من الاعراب الفصحاء الذين لهم فضل واضح في مد المدينة بنصوص اللغة وآدابها .

لعل هذا الاستطراد الذي جرنا اليه ، يبين لنا بوضوح المد الثقافي والعلمي الذي أخذ المدينة من اطرافها ، وجرّها الى الدراسة

والتتبع ، طوعا أو كرها ، وهو مد ينفي أن نظن ان الدراسات اللغوية الاولى كانت بسبب تنبه فلان من الناس الى ما يحيق باللغة من مخاطر ، اذ ان فلانا من الناس ما كان ليستطيع ان يقدم رجلا أو يؤخر أخرى لو لم تكن الحياة بمجموعها هي التي قد سارت الى غايتها الصحيحة المنتظرة ، وواقعها المفروض .

على أنه ، بعد الانتهاء من هذا الاتجاه المتكامل الى الدراسة والبحث واتساع الامة فيه ، ولا سيما مطلع القرن الثاني الهجري ، دخلت عناصر جديدة في تطوير عملية البحث ، وتوسيعها ، عناصر بشرية من غير العرب، وعناصر معنوية ، وأهمها عنصر المنافسة العلمية الذي سبق أن اشرنا اليه في مطلع هذه الخاتمة ، وحددنا من موضوعات المنافسة دافع التعصب لهذه المجموعة دون تلك ، وكان لهذا أثره في احداث مشكلات خطيرة كادت ان تودي بسمعة أعظم الآثار اللغوية في حياة الامة ، لولا قوة الحقيقة ووقوفها جلية أمام الباطل ، ولعل ما حصل من تقولات حول (العين) ، كما اتضح خلال البحث يعطينا صورة من صور التحامل والعصبية او الجهل بحقائق الامور . وربما كان ما تنبه اليه القفطي حول خبر الازهري في نسبة كتاب الجيم لشمر بن حمدويه الهروي (٢٥٥هـ) واهمال ذكر هذا الكتاب لابي عمرو الشيباني (٢١٣هـ) من هذا القبيل، اعني انه جاء من توهم وقع فيه الازهري (٣٧٠هـ) اذ ادعى أنه بدأ بحرف الجيم ــ وحقيقته انه مبدوء بالهمزة ــ وانه لشمر بن حمدويه ، وهو للشيباني ، فلما أحس بتخليطه في هذا الامر افتعل غرق الكتاب وتلفه ، وكأن احدا لم يقرأ الكتاب ، ولم ينتسخه ، بل لقد اتم القصة بأن شمرا كان ضنينا بعلمه ، فلم يقرأه عليه أحد ، ولا أَنسَخَه احدا

من تلامذته ، والذي حمل الازهري على هذا كله هو وهمه او جهله بحقيقة كتاب الجيم للشيباني .

وما اشبه هذه القصة ، بما وضع على لسان سيبويه من ان عيسى ابن عمر قد قد الف نيفا وسبعين كتابا ، فجاءتها آفة (منصفة) فأكلتها كلها الا كتابيه : الكامل والجامع ، وعلى هذا فليقس ما لم يقل .

اننا نريد ان نقرر في هذه الخاتمة ، ان في تاريخ التأليف اللغوي عند العرب مشكلات افتعلتها : ١ـ العصبية العلمية ، ٢ـ او العصبية العمياء ، ٣ـ او الجهل بحقائق الامور ، ٤ـ او التوهم والخلط من غير قصد الى أساءة . وكلها أمور يمكن ان يقف عليها الدارس المحص النقاب اذا تأمل وبحث عن الحقيقة من غير هوى ولا مكابرة ، وعندئذ يضع الاشياء في نصابها ، ويعطي لكل شيء حقه ، فاننا لو تحرينا الحقيقة ، وكشفنا عن وجهها ما غشاها من ضباب ، قدمنا لامتنا وتراثها العظيم الخالد ما يجب ان يعمله كل مخلص أمين .

الدكتور
رشيد عبدالرحمن العبيدي
جامعة بغداد/كلية التربية

أهم المصادر والمراجع

- الابدال : ابو الطيب اللغوي (٣٥١هـ) : ط : التنوخي ـ دمشق.
- الابدال والمعاقبة والنظائر : الزجاجي (٣٤٠هـ) : ط : ١٣٨١هـ .
- الابل : الاصمعي : (٢١٥هـ) : ط : اوكست هافنر ـ بيروت .
- ابو عثمان المازني ـ رشيد عبدالرحمن العبيدي ـ بغداد ـ ١٩٦٩
- الاتباع والمقابلة : ابن فارس (٣٩٥هـ) . ط : قازان .
- أخبار النحويين البصريين ـ السيرافي : (٢٨٤ـ٣٦٨هـ) ـ القاهرة: ١٣٧٤هـ .
- أرشاد الاريب ـ ياقوت : (٦٢٦هـ) ـ ط : مرجليوت : ١٩٢٤ ـ القاهرة .
- أساس البلاغة ـ الزمخشري (٥٣٨هـ) : ط : ١٣٤١هـ .
- اسرار العربية : ابو البركات الانبـاري (٥٧٧هـ) : ط : الترقي : ١٣٧٧هـ .
- الاشباه والنظائر ـ السيوطي : (٩١١هـ) ـ حيدرآباد ـ الدكن : ١٣٥٩هـ .
- الاشتقاق : ابن دريد : (٢٢٣ـ٣٢١هـ) : ط : هرون ـ ١٣٧٨هـ .
- الاضداد : ابو بكر بن الانباري : (٣٢٨هـ) ـ الكويت : سـنة ١٩٦٠م .
- الاغاني : ابو الفرج (٣٥٦هـ) ـ ط : دار الكتب : ١٣٤٦هـ .
- الالفاظ : ابن السكيت : (٢٤٤هـ) ط : بيروت : ١٨٩٥م .

- انباه الرواة : القفطي (٦٤٦هـ) ط : ١٣٦٩هـ والجزء الرابع منه طبع أخيرا •
- الانصاف : ابن الانباري — ط : محمد محي الدين — القاهرة •
- ايضاح المكنون : اسماعيل البغدادي : ط : ١٣٦٤هـ •
- البارع : القالي : (٣٥٦هـ) ط : هاشم الطعان •
- بغية الوعاة — السيوطي — ط : الاولى — مصر : وط : ابو الفضل، مصر •
- البيان والتبيين — الجاحظ (٢٥٥هـ) : تحقيق : هرون ١٩٤٨-١٩٥٠م •
- تاج العروس — الزبيدي (١٢٠٥هـ) — ط : القاهرة : ١٣٠٢-١٣٠٥ •
- تاريخ بغداد — أبو بكر الخطيب ابغدادي : (٤٦٣هـ) : القاهرة ١٩٣١م •
- تاريخ القرآن — الأمام الزنجاني محمود بن احمد : (٥٧٣هـ — ٦٥٦هـ) — القاهرة •
- التنبيهات : علي بن حمزة البصري : (٣٨٥هـ) — تحقيق الراجكوتي ط : دار المعارف •
- التنبيه على حدوث التصحيف : حمزة بن حسن الاصفهاني (٣٦٥هـ) : ط : آل ياسين — النهضة • بغداد •
- تهذيب اللغة : الازهري : (٣٧٠هـ) — ط : مصر : ١٩٦٤ •
- ثمار القلوب — الثعالبي (٤٢٨هـ) ط : ١٣٢٦هـ — مصر •
- الجمهرة : لابي بكر بن دريد (٣٢١هـ) — ط — الدكن •

- الجيم : لابي عمرو الشيباني - ط : القاهرة .
- الحيوان : للجاحظ (٢٥٥هـ) : تحـ : عبدالسلام هرون - ١٩٤٨م.
- خزانة الادب - عبدالقادر بن عمر البغـدادي (١٠٩٣هـ) - ط ١٢٩٩هـ - القاهرة .
- الخصائص : ابن جني - ط : النجار - دار الكتب : ١٣٧١هـ .
- رسالة الغفران : المعري (٤٤٩هـ) - تحـ : بنت الشاطىء : القاهرة.
- روضات الجنـات : الخوانساري : (١٢٢٦هـ - ١٣١٢هـ) : ط : ١٣٤٧هـ .
- الروض الانف : أبو القاسم عبدالرحمن السهيلي : (٥٨١هـ) ط : القاهرة ، تحـ : طه عبدالرؤوف سعد .
- سرح العيون : ابن نباته المصري (٧٦٨هـ) ط : الاولى ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م . القاهرة .
- شذرات الذهب : الحنبلي : (١٠٨٩هـ) ط : ١٣٥٠ . القاهرة .
- شرح القصائد : ابن النحاس (٣٣٨هـ) ط : احمد خطاب - بغداد - وزارة الاعلام .
- شرح ما يقع فيه التصحيف : العسـكري : (٣٩٣-٣٨٢هـ) ط : البابي - القاهرة .
- شرح كتاب سيبويه : السيرافي (٣٦٨هـ) - نسـخة دار الكتب : رقم : ١٣٧/نحو .
- شفاء الغليل : الخفاجي : (٩٧٧هـ-١٠٦٩هـ) : تحـ : خفـاجي : ١٣٧٦هـ .
- الصاحبي : ابن فارس (٣٩٥هـ) : ط : المؤيد : ١٣٢٨هـ .

ـ الصحاح : الجوهري (٣٩٣هـ) : تحـ : عطار : ١٣٧٦ •
ـ الصحاح ومدارس المعجمات : احمد عبدالغفور عطار •
ـ طبقات الشعراء : ابن المعتز : (٢٩٦هـ) : تحـ : عبدالستار احمد فراج ـ القاهرة •
ـ طبقات النحويين واللغويين : الزبيدي (٣٧٩هـ) •
ـ العباب : الحسن بن محمد الصغاني (٦٥٠هـ) تحقيق : آل ياسين •
ـ العربية ـ يوهان فك ـ تحقيق أبو الفضل : ١٣٧٣هـ •
ـ العين : الخليل بن أحمد (١٧٧هـ)جـ١/ط : بغداد •
ـ الفهرست : ابن النديم : (٣٨٥هـ) : ط : فلوجل •
ـ فهرسة ابي بكر بن خير (٥٠٢هـ ـ ٧٥٧هـ) : ط : ١٨٩٣م سرقسطة •
ـ القاموس المحيط : الفيروز (٨١٧هـ) ـ القاهرة ـ مؤسسة الطباعة •
ـ القلب : لابن السكيت (٢٤٤هـ) ـ ط : بيروت •
ـ الكامل : ابن الاثير (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ) ط : ١٢٩٠هـ ـ القاهرة •
ـ الكامل : المبرد : (٢٨٦هـ) ـ ط : زكي مبارك/القاهرة •
ـ الكشاف : الزمخشري (٥٣٨هـ) ـ ط : ١٣١٩هـ •
ـ كشف الظنون : حاجي خليفة (١٠٦٧هـ) ط : ١٣٦٠هـ •
ـ الكتاب : سيبويه (١٨٠هـ) ـ ط : بولاق •
ـ لباب الآداب ـ اسامة بن منقذ (٤٨٨ ـ ٥٨٤هـ) : ط : أحمد محمد شاكر ـ مصر •
ـ لسان العرب : ابن منظور (٦٣٠هـ ـ ٧١١هـ) : ط : بولاق •
ـ مجالس العلماء : الزجاجي : تحـ : هرون ـ ط : ١٩٦٢ ـ الكويت •
ـ المحكم : ابن سيدة (٤٥٨هـ) ـ ط : السقا ونصار •

ـ المخصص : ابن سيدة : ط : بولاق : ١٣١٦هـ .
ـ مراتب النحويين : أبو الطيب : (٣٥١هـ) ـ ط : ابو الفضل ـ مصر .
ـ المزهر : السيوطي : ط : بولاق .
ـ المشتبه : الذهبي (٧٤٨هـ) : تح : البجاوي ـ ١٩٦٢م .
ـ مصادر الشعر الجاهلي : د . ناصرالدين الاسد .
ـ المصون : العسكري : تح : هرون ١٩٦٠م ـ الكويت .
ـ معاني القرآن : الفراء : (٢٠٧هـ) ـ مصر : مطابع سجل العرب .
ـ معاهد التنصيص : العباسي : (٩٦٣هـ) : سنة : ١٣١٦هـ . القاهرة
ـ معجم البلدان ـ ياقوت (٦٢٦هـ) : ط : دار صادر : ١٣٧٦هـ ـ بيروت .
ـ المعجم العربي ـ د . حسين نصار : ط : الاولى .
ـ معجم ما استعجم : لابي عبيد البكري (٤٨٧هـ) تح : مصطفى السقا : ١٩٤٥م .
ـ معجم مقاييس اللغة : ابن فارس (٣٩٢هـ) : تح : هرون سنة : ١٣٦٩هـ .
ـ المنجد : لعلي بن الحسن الهنائي (كراع النمل) : (٣١٠هـ) ـ تح احمد مختار عمر .
ـ المنتظم : ابن الجوزي (٥٩٧هـ) ـ حيدرآباد ـ الدكن سنة : ١٣٠٧هـ .
ـ المنصف : ابن جني (٣٩٥هـ) : تح : الابياري ١ط : البابي : ١٣٧٢هـ .

- النجوم الزاهرة : ابن تغرى بردى (٨٧٤هـ) : ط : دار الكتب : ١٣٤٩هـ • مصر •
- نزهة الالباء : ابن الانباري (٥٧٧هـ) : تحـ : السامرائي • بغداد : ١٩٥٩م •
- النوادر : لابي زيد (٢١٠هـ) ـ ط : بيروت •
- نور القبس : اليغموري (٦٧٣هـ) تحـ : رودلف زلهايم ـ ط : ١٩١٤م ـ ١٣٨٤هـ •
- الوافي بالوفيات : الصفدي (٧٦١هـ) : نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم : ١٢١٩/تاريخ •
- وفيات الاعيان : ابن خلكان (٦٨١هـ) ـ تحـ : محمد محيي الدين: سنة : ١٣٦٧هـ •

الفهرست

فهرست كشاف

يشتمل هذا الفهرست على اسماء الشخصيات والأعلام والقبائل والعلوم ومصطلحات الفنون والكتب والصحف ، والمواضع والبلدان، مرتبا على حروف المعجم •

ولم نعتدَّ بـ (ابن أو أبو أو أخو) مما يسبق الاسم العلم ، بل نظرنا الى صدر الاسم فأبو نواس ــ مثلا ــ نجده في حرف النون •• وهكذا •

واكتفينا في بعض الأعلام بالأشارة الى وروده في الصفحات الاولى، ثم اتبعنا ذلك بأنه يرد في معظم صفحات الكتاب •

اذا وضعنا خطا (ــ) بين الرقمين فذلك يعني أن الكلام موصول، فان وضعنا (،) فارزة ، فتعني القطع •

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد (٢٦٧) لسنة ١٩٨١

سعر النسخة الواحدة دينار ونصف

الدكتور
رشيد عبد الرحمن العبيدي

مشكلات في التأليف اللغوي

في القرن الثاني الهجري

ساعدت جامعة بغداد على طبعه

١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م

مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر - بغداد